الجمهـــورية الجـــزائرية الـــدّيمقراطية الشّـــعبيـــة

وزارة التـــّعليم العـــالي والبحـــث العلـــمي

جامعـــة الأمـــير عبـــد القـــادر للعـــلوم الإســـلامية _ قسنطينـــة

كلـــّية أصول الدّين — رقم التسجيل:..............

قسم العقيدة ومقارنة الأديان — رقم التسلسل:..............

شعبـــة : مقارنة الأديان — تخصص: حوار الأديان

# أُســـسُ الحـــوارِ مع أتبـــاع الأديـــان فـــي القـــُرآن الكـــــريم

مذكـــّرة مقدّمـــة لنيل درجة الماجستـــير فـــي مقـــارنة الأديـــان _ تخصّص حوار الأديان

**إعداد الطالب :**

علوي ناجي

**إشراف الأستاذ الدكتور :**

معـــزي كمال

**لجنـــة المنـــاقشـــة :**

د بشير كردوسي........................................ رئيســـًـــا

د. معـــزي كمال........................................ مشرفا ومقررا

د.حليمي فاتح........................................ عضوا ومناقشا

د .شبايكي الجمعي........................................ عضوا ومناقشا

السنـــة الجامعيـــة 1433- 1434 هـــ / 2012- 2013 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## شكــر وعرفـــان

إلــى أستــاذي الفاضــل الدُّكتــور كمــال معــزي ، الذي لــم يبخــل عليَّ يومــاً بعلمــِهِ الواســع ، والذي أحاطني بأخلاقهِ العاليــة وتــَواضعــه الجــَــمِّ .

كمــا لســتُ أنســى كــُلَّ أســاتــذتي الذينَ تتــلمــذتُ علــى أيديهـــم ، فــكانــوا نبراســاً لــي فــي طريــق النَّجــاح فإليهــم جميعــاً أتقــدَّمُ بالشــُّكر الخالــص والعرفــان بالجميـــل .

داعيــاً لهــُم بكــُلِّ خيــرٍ .


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الإهــــداء

إلــى والــدَيَّ الكــريـمَـيــن اللــذَيــْن بــذلا الغالــي والنَّــفــيس مــن أجــل إيصالي إلى هــذه المرتبــة .

إلى أخــواتي ، إلــى أخــي وزوجتــه ، وكــُلّ أفــراد العائلة

إلــى كــُلّ ســالكٍ طريــقــاً يلتــمــسُ فيــه علمــاً

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجمهــورية الجــزائرية الــدّيمقراطية الشّــعبيــة

وزارة التــّعليم العــالي والبحــث العلــمي

جامعـــة الأمـــير عبـــد القـــادر للعـــلوم الإســـلامية _ قسنطينـــة

كلـــّية أصول الدّين

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

شعبـــة : مقارنة الأديان

رقم التسجيل:

رقم التسلسل:

# أســُسُ الحــوارِ بــين أتبــاع الأديــان فــي القــُرآن

مذكـــّرة مقدّمـــة لنيل درجة الماجستـــير فـــي مقـــارنة الأديـــان _ تخصّص حوار الأديان

**إعداد الطالب** :

علوي ناجي

**إشراف الأستاذ الدكتور** :

معـــزي كمال

**لجنـــة المنـــاقشـــة** :

د ........................................................................ رئيســًا

د كمال معزي....................................................... مشرفا ومقررا

د............................................................................ عضوا ومناقشا

د ......................................................................... عضوا ومناقشا

السنـــة الجامعيـــة 1433- 1434 هـــ / 2012- 2013 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**مُــقـــدّمة:** فـــي كـــلّ أمّـــةٍ يــبعــثُ اللهُ رسولاً، يــرُشِــدُ النّـــاسَ إلـــى الهــدايةِ ويـــنـــتشلهُــم مِــن طــريـــق الغــواية والضـــّلالة، يــبْــني نفــوسهم وأرواحـــهم على المعـــالي، ويجــعلُ مـــن نظـــرتهـــم إلـــى الحياة تلك النـــّظـــرةَ الـــرّاقيةَ المـــبنيةَ على حُسنِ التـــّواصُل والتـــّفاعل، لتـــحقيق ســـعادة الحال وفلاح المآل.

ولأنّ نبـــيّ الإســـلام محُمّـــدًا صلىّ الله عليه وسلّم جـــاء مُـــتمّمـــًا لكـــُلِّ الـــرّسالاتِ السّـــابقة ، وخاتمـــًا لحـــلقـــةِ النـــّبوات ، فقـــد جـــمع فُـــنونَ التـــّواصُلِ مـــع الآخـــرينَ ويـــشهـــدُ علـــى ذلك القـــريبُ والبـــعيدُ ، فـــقد أحســـنَ الحـــوارَ مع الصـــّغير والكبيـــرِ مـــع الـــرّجل والمـــرأة ، وحـــتىّ مع المـــُخالـــِف عـــقيدةً ومذهبـــًا .

وصـــحيحٌ أنّ الكتـــابَ الذي جـــاء به _ القرآنُ الكريمُ _ لم يـــتطـــرّق كـــثيرًا إلى لفظةِ الحـــوار واشـــتقـــاقـــاتها كلفظـــةٍ ، بَـــيْدَ أنـــّه قـــد وضع الأصُولَ الـــرّاســـخة للتّعامل مع الآخـــر، ومحُـــاورته واتـــّخاذ أحســـنِ الأساليب فـــي سبـــيلِ الـــوُصُول إلى الحـــقّ .

ومـــا لفظـــةُ " قـــالَ " ، ومـــا يتـــفرّعُ عنهـــا مـــن صيـــغٍ :"كـــقُلْ " ، و" يقـــولُ" و" يســـألونك"، وكـــذا الكثير مـــن القصص الواردة فـــي آيات الذكر الحكيم ، والتي يلمس القارئ مـــن خلالها مـــدى أصالة مـــبدأ الحوار، مـــن حيث النظرة القرآنية .

وقد كـــان اختـــيارنا لهـــذا الموضوع ، نـــظـــرًا لمـــا يكـــتسيـــه مـــنَ الأهميّـــة العلميةِ وكـــذا العملـــية .

فأمّـــا عنِ الأهميـــّةِ العلميـــة ، فلأنـــّه موضوعُ السّـــاعة ، ولأنّ الانـــفتـــاحَ الحضاريّ الـــرّهيـــب الذي نـــعيشـــُه فـــي هـــذا العصـــر ، لا يـــليقُ مـــعه أن نبقى بـــعيدينَ عن الأحـــداث ، أو نـــقفَ موقـــفَ



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المتفــرّجِ _ الذي ليس له مــن الأمر شيء ٌإلاّ الحــوقــلةَ والاستــرجاعَ _ ومــن هــذا المنطلــق فإنــّه مــنَ الواجــبِ التــّطرُّقُ إلى هكذا مواضيعَ والتــّعرّضُ لهــا بالــدّراســة العــلمية الــدّقــيقــة ، وبيــان مــوقــفــنا مــنَ الحــوَارَ ومــوقــعنا فــيه .

كــما لا تــخفى أهميــّةُ الموضوع ، مــن الــنّاحية الــعملية الــتّطــبــيقية ، فلا بُدّ على المــسلمين _ وخــصُوصًا فــي هذا العصر _ أن يــتخلّــوا عن التــقوقــُع على الذّات ، أو الــبُكاء على الأطــلال وذِكــْرِ مآثــر الأجــداد ، والاتــّكال على الحــُلول الآنية ، ومحُاولة تبــرير العــجز عــن طريق إلصاقــه بنــظرية المؤامــرة العالميــة المــدُبّــرة ضدّهم ، وهذَا فــي الحــقيقــة تبــريــرٌ للفشــل وتــقاعسٌ عــن العمل ، وهــذا البحــثُ محُاولةٌ مــنَّا لــتصحيح بعــضِ المفاهيــم ، ومُــقارَبــةٌ تدعــو إلــى ضرورة التــّحرُّكِ الإيجــابي لعمارة الأرض بالخــير والســّلام .

ولأنّ بحــثــنا يتعلــّقُ بفكــرة الحــوار، وأسُــسِه فــي القــُرآن، ومــوقف القــُرآنِ مــن الآخــر، فإنــّنا سنــُحاولُ مُــعالجــةَ الإشكالية الآتيــة:

مــا هي الأســُسُ التي يــُمكنُ اســتــنباطــَها مــن القرآن الكريم ، في قضيــّة الحوار مع أتبــاع الأديــان ؟

وتــنــبثــقُ عــن هــذه الإشكاليــة مجموعــةٌ مــن التــّساؤلات ، يمــكنُ إجمــالهُــا فــي الآتــي :

_ كــيف ينظــرُ القرآنُ الكريمُ إلى الآخر المــُختلــِف عُمومًــا ؟

_ هل تــتغيــّر أسُــسُ النــّظرة والحــوار مــعــه حسب الظــّروف والمــراحل المختلفة ؟

_ ما هي أهــمّ هــذه الأســس ، قبــل وأثنــاء وبعــد الحــوار ؟

_ مــاذا عــن بعض المــفـــاهيم المطروحة ، والتي لها علاقة بالمــوضوع ، كمفــهوم : الجــزيةِ وأهل الذمّــة ، ومفهــوم الحــرب فــي الإسلام وموقفه مــنها ؟ وقــضــيّة الــردّة وكيف تعامــلَ معـــها ؟

هــذه التساؤلات وأخرى ، ســنحاول الإجابة عنها مــن خلال بحــثــنا ، بمشيئة الله تعالى .

أمّــا عــن أسباب اختيــارنا للموضوع ، فمنها أسبـــابٌ ذاتــيةٌ ، وأخــرى موضوعيـــةٌ .

**ذاتــية:** وتتعــلــّقُ برغبتــنا فــي تصحيــح بعــض المفاهيــم ، والمــُساهمة فـــي بيـــانِ الوجــه النّــاصــع لهــذا الــدّين العظيــم ، وكــذا قــلقنا واشمئــزازنا مــن كــثير منَ الســلُّوكات الصّــادرةِ عــن بعــض المسلميــنَ ، وحتىّ مــن بعــض المــُتعلــّميــن منهم أو المحــسوبيــنَ على الطــبّقة المــُثــقــّفة ، فإمــّا أن تجــدَ منــهم المــُتشدّدَ فهمًا وتطبيقًا وهـــو بذلك يــُسيءُ إلى الإسلامِ أكــثرَ مــمّا يحــُسنُ ، وإمـــّا أن تجدَ المتهاون المستــهتــرَ الــذي لا يــَهُمــُّه أمــرُ ديــنــهِ مــن قـــريبٍ أو بعيـــدٍ، وكِلاَ الطّــرفــين على شطــطٍ والصــّحيحُ هـــو المنـــهجُ المــُعتــدلُ الذي لا تهــويلَ فيـــه ولا تهـــوينَ .

**مــوضوعيـــةٌ :** ومــن أهمـــّها :

_ أهــميّــة المــوضوع ومكانـــتُه العلميـــةُ والعمــليةُ

_ تــوفــّــر المـــادّة العلميـــة حول الموضوع بقدر لا بأس به .

وعــن الأهــداف المــُتوخّاة مــن وراء هذا البــحث فــنــُوجــزُها كالآتـــي:

_ مُــحاولة الإســهام فـــي الإنتـــاجـــات العلـــمية ، المــُتعلــّقة بمثـــل هـــذه القضايا .

_ تصحيـحُ الصــوُّر النــّمطية الــرّاسخــة فــي مُــخَيــّلة كُــلّ طرفٍ عــن الآخر .
_ تــشجيـع الأفكــارِ والفَــعاليات الــدّاعمة لقضيــّة الحــوار على مــختلف الأصعدة .
هذا وقــد ركّــزنا فــي بــحــثنا على جــانب الحــوار فــي القــرآن الكــريم ، وذلك لِــســَعةِ آفــاقِ هــذا الموضــوعِ وعــدم إمكانيــةِ حصرهِ فــي بحــثٍ كهذا ، وكذلك بســبب التــّقيــُّد بمــُدّة زمــنيةٍ محــُدّدةٍ ، لتقــديمِ البــحثِ .
ولا يفوتــُنا أن نشــيرَ إلــى بعــضِ الــدّراساتِ الســّابقة التي تناولت الموضوع ، ومنها _ على سبــيل المثال لا الحصر _ هــذه الأعمال :
_ الحوار في القرآن ، لمحمــّد حسين فضل الله .
_ أدب الحوار في الإسلام ، لمحمد سيد طنطاوي .
_ أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، لصالح بن عبد الله بن حميد .
وغيــرها مــن الــدّراساتِ حــولَ الموضــوع .
إلاّ أنّ المــُلاحَظ فيهــا ، أنهــّا فــي أكــثرها تطــرّقت للموضــوع بــشكل عام ، ولذلك فســنــُحاول التــّخصيصَ أكــثر ، والتــّركــيزَ علــى أبــرز الأســُس والمنطلقات القرآنية لعملــية الحوار ، ولذلك فقــد جــاء البحــثُ على شاكــلةِ : التــّفسير الموضــوعي .
ولعلّ مــن أبرز الصُّعوبات ِالتي اعتــرضت طريــقنــا في هــذا البحــث:
_ مُــشكلة الوقت، وكــذا كثــرة الانشغالات مما صَعّــبَ علــينا المــهمّة أكثر، وجعلــنا _ رُبمّــا _ نــُقَــصّرُ فــي كثيــرٍ مــن مفاصل البحث.
ومــن الصّعــوبات أيضًا : تكــرار المــادّة العلــمية فــي الكــثيــر مــن المصادر والمراجع _ لا ســيما التفاســير _ ولــذلك وَجدتــُنا نقــتصر في

كثيرٍ من الأحيان على التفاسيرِ الأصلية ،كتفسير الطّبري ، والرّازي ، وغيرهما .

أمّا المنهج المُتّبع ، فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التّحليلي بالدّرجة الأولى وكذا المنهجُ الاستنباطي ، والمنهج المُقارن في بعض الأحيان .

هذا وقد اتبعنا خُطّةً تتمثّل في الآتي:

**<u>مقدّمة:</u>** وتحدّثنا فيها بصورةٍ عامّةٍ مُختصرةٍ عن الموضوع، وأسباب اختياره، و الأهداف المرجُوّة منه، وكذا الإشكالية المراد معالجتُها.

ثمّ تطرّقنا في فصلٍ تمهيدي إلى ثلاثة مباحثَ كالآتي:

**<u>المبحث الأوّل :</u>** وتعرّضنا فيه إلى عناصرِ العُنوان ، بالشّرح والتّحليلِ .

**<u>المبحث الثّاني</u>** : وتحدّثنا فيه عن الطّبيعة العالمية للإسلام .

**<u>المبحث الثّالث :</u>** وكان عن أبرز الأديان ، التي ذُكرَت في القرآن الكريم .

ثمّ أضفنا ثلاثةَ فصولٍ أخرى كالآتي:

**<u>الفصل الأوّل :</u>** ويتعلّقُ بما ينبغي أن يكون قبل الحوار من أسس ، وقسّمنا الفصلَ بدوره إلى ستّةِ مباحثَ .

**<u>الفصل الثّاني :</u>** تطرّقنا فيه إلى الأسس القرآنية أثناء الحوارِ ، وقد احتوى الفصلُ علىَ تسعةِ مباحثَ ، وذلك لما يقتضيه حجمُ المادّة العلمية .

**<u>الفصل الثّالث :</u>** وذكرنا فيه الأسسَ اللاّزمةَ بعد عملية الحوار ، وقسّمناه إلىَ ثلاثةِ مباحثَ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**الفصل الرّابــع :** وقد حــاولــنــا أن نتــطرّق مــن خلالـــه إلى بعض القضايا والشُّـبهاتِ المــُثارَة ، حول موقــف ِالإســلام مــنَ الآخــر المــُخــتلف ، و قسّمناه إلى ثلاثة مباحثَ .

إضافةً إلى ذلك الخـــاتمــةُ، والتـــي ذكــرنا فيهـــا أهمّ النـــّتـــائج ِالتي توصـّلــنا إلـــيها مــن خلال البحــث وكــذا بعــضَ المــُقتــرحاتِ والــتّــوصياتِ، فيما يخــصُّ ضرورةَ إسهـــامِ المســلمــين فـــي مثل هـــذه القضايا البالغـــة الأهميـــّة.

هــذا واللهَ نسأل، أن يــُلهمــَنا الهــدايةَ والـــرّشادَ والتـــّوفيــقَ والسّـــدادَ.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# خطة البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## خـــطـــَّة البـــحـــْثِ :

مـــقـــدّمـــة .

**الفصـــل التـــّمهـــيدي .**

**المبحـــث الأوّل** : تحليـــل العنـــاصر الواردة في العـــنوان .

**المبحـــث الثـــّاني** : عـــالميـــة الإســـلام .

**المبحـــث الثـــّالث** : الأديـــان المـــذكورة فـــي القـــُرآن .

**الفصـــل الأوَّل : الأســُسُ القـــُرآنيـــة لمـَا قبـــل الحـــوار .**

**المبحـــث الأوَّل** : وحـــدة المصـــدر .

**المبحـــث الثـــّاني** : الاختـــلاف سنـــّة كونيـــة .

**المبحـــث الثـــّالث** : لكلّ طرفٍ الحرّية فيمـــا يعتنـــق من ديـــن .

**المبحـــث الـــرَّابع** : تهيئـــة الظـــّروف المنـــاسبة للحـــوار.

**المبحـــث الخامـــس** : عدم التـــّعصُّب للأفكار المـــُسبقة والتـــّسليم بالحقّ أينما ظهر .

**المبحـــث الســـّادس** : مبـــدأ التـــّكريم الإلهـــي للإنســـان .

**الفصـــل الثـــّاني : الأســُسُ القـــُرآنيـــة أثنـــاء الحـــوار.**

**المبحـــث الأوَّل** : الانطـــلاق مـــِنَ المـــُشتـــرك .

**المبحـــث الثـــّاني**: المـــوضوعيـــة والتـــّخلص منَ الأفكـــار المـــُسبقـــة عـــن الآخـــر .

**المبحـــث الثـــّالث** : عـــرضُ أقوال الآخر مـــِنْ مصـــادره .

**المبحـــث الـــرَّابع** : التـــزام الحجـــّة والبرهـــان .

**المبحـــث الخامـــس** : التـــزام الأدب وحســـن إدارة الحـــوار .

**المبحـــث الســـّادس** : خطـــاب العقـــل والفطـــرة .

**المبحـــث الســـّابع** : اللـــّين وخفـــض الجنـــاح .

**المبحـــث الثـــّامـــن** : المعـــرفة لموضـــوع الحـــوار .

**المبحـــث التـــّاســـع** : الحـــوار مـــع أيِّ طـــرفٍ كـــان .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**الفصـــل الثـَّالث : الأسـُسُ القــُرآنيـــة لمــا بعــد الحــوار .**

**المبحـــث الأوَّل** : التـَّسليـــم بنتـــائج الحــوار .

**المبحـــث الثـــَّاني** : العمـــل على خدمـــة القضـــايـــا المــُشتركـــة .

**المبحـــث الثـَّالـــث** : التــَّعـــَايــُشُ .

**الفصـــل الـــرَّابع : قضايا مــُثارة حول المــوقف القــُرآني مــِنَ الآخـــر .**

**المبحـــث الأوَّل** : القتـــال أو الحرب في نظـــر الإســـلام .

**المبحـــث الثـــَّاني** : الجزيـــة وأهـــل الـــذِّمـــَّة .

**المبحـــث الثـَّالث** : قضـــيـــَّة الـــرّدَّة والمـــوقف منهـــا .

**خـــاتمـــة .**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل التمهيدي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الــفــصــلُ التــّمــهــيدي

### المبــحثُ الأوّل: تحــليل الــعنــاصر الواردة فــي العــنــوان:

**1 _ الأســُس:**

**أ_ لــغــةً**: الأُسُّ، والأَسَسُ والأسَاسُ: مُــبــتدأ كلّ شــيء، والأساسُ والأُسُّ: أصــل الــبناء.

وأسّــسْتُ دارًا: إذا بَــنَــيْــتُ حُــدودَهــا، ورَفَــعْــتُ مِــنْ قــواعــدهــا، وأ ُسُّ الإنسان وأَ سُّــهُ : أصْــلُــهُ[1]

**بـــ _ اصطلاحــاً**: الأســاسُ: جــزُءُ البــناء الــذي يَــنقــُل أحمالَــه إلــى الأرض و يتكــوّنُ مـــن قواعـــدَ يرتكـــزُ عليها المــبنى. [2]

والأســُسُ المقصود بهــا في بحــثــنا، هي تلك المرتكــزات، والمنطلقاتُ التي تُــبنى عليها عمليــةُ الحوار.

**2 _ الحـــوار:**

**أ _ لــغــةً**: الــحَوْرُ: الرجوع عــن الشيء وإلــى الشــيء، وحار إلى الشــيء،وعــنه حَوْرًا ومَــحَارًا ومَــحارَةً، وحُــؤورًا: رجــع إليه وعنه.

وكلّمتُــه فــما رجع إلــيَّ حَــوارًا، وحِوارًا، ومُــحاوَرَةً وحَــوِيــرًا، ومَــحُــورةً أي: جــوابًــا.

والمــُحــاوَرَةُ: المــُجــاوَبــَةُ، والتــّحاورُ: الــتّــجاوبُ. [3]

**بـــ _ اصطلاحا**: المقــصود بالحــوار: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُــقصد بها تصحــيح المواقف، أو إظهار الحُجج. [4]

---

[1]- ابــن مــنــظور، لســان العــرب ، ط1 ، دار الكــتب العــلميــة ، بيــروت ، لبنان ، 2005 - 1426هــ جــ 4 ، ص 122.

[2]- ياســين صــلواتي ، المــوسوعة العربية المــُيسرة والموسّعــة ، ط 1 ، مــُؤسسة التاريخ العــربي ، بيروت ، لبنان 1422هــ - 2001 م ، جــ 1 ، ص 385.

[3]- ابن منظور ، مــصــدر ســابــق ، جــ 3 ، ص 204 – 205.

[4]- صالح بن عبــد الله بــن حميــد ، أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، ط 1، دار المنــارة ، جــدّة ، الســعوديــة 1415هــ - 1994م ، ص 6 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والحــوارُ هــو المـُراجـعــةُ فــي الكــلامِ، والتــّجاوبُ بمــا يـقتـضــي ذلك مــن رَحــَابــَةِ الصّــدرِ، وسمــاحةِ النـّفسِ، ورَجاحــةِ العقــلِ، والتــّعامُل المتحضّــر الرّاقي مــع الأفكار والآراء جمــيعًــا. (1)

**3 _ أتبــا ع الأديان:**

**1 _ أتبــا ع:**

**أ_ لغــةً:** تــَبــِعَ الشيءَ تــَبــَعَاً، وتــَبــَاعًا، وتــَبــِعْتُ الشيءَ تــُبُوعاً: سِــرْتُ في إثــره، واتــَّبــَعَهُ، وأتــْبــَعَهُ وتــَتــَبَّــعَــهُ: قَــفاهُ وطــلبهُ.

والاتــِّبَــاعُ: أنْ يســير الرّجُلُ، وأنتَ تسيرُ وراءه. (2)

**بــ _ اصطلاحــًا:** مــن الــتــّبــا عِ ، وهــو الــوَلاءُ. (3)

**2 _ الأديــان:**

**أ_ لغــةً:** الدِّيــنُ: الطــَّاعــَةُ، ودِنــْتُــهُ ودِنــْتُ لــهُ أي: أطــَعْــتُهُ.

ومــن مــعانيها: الحــسابُ والجـزاءُ، والعادةُ والشـَّـأنُ.

ودِنــتُهُ، أَدِيــنُهُ دَيــنــًا: سُــسْــتُــهُ.

ودِنــْتــُهُ: مَــلَــكْــتُــهُ.

ودَيــّنْــتُــهُ القَــوْمَ، أي: وَلــّيْــتُــهُ سِــيَاسَــتــَهُــمْ. (4)

**بــ _ اصطلاحــًا:** يقــُول الــدّكــتور محمــّد درّاز _ رحمــه الله _ عــن مــَعــْنــَى الــدّيــنِ أنــّهُ: " الاعــتــقــَادُ بــِوُجــُودِ ذاتٍ أو ذَواتٍ غَــيْــبِــيَّــةٍ عُــلــوِيَّــةٍ لــهــَا شُــعــُورٌ واخــتــيَــارٌ، ولــها تصــرّفٌ وتدبــيــرٌ للــشُّــؤون التــي تعــني الإنــســانَ، اعــتــقــَادًا مــن شــأنــه أن يــبــْعــثَ عــلى مُــناجــاةِ تلك الــذّاتِ

---

[1] – عبــد العــزيز عــثمان التــويجــري ، الحــوارمــن أجــل التعــايش ، ط 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، مــصر 1419هـــ – 1998م ،ص 13 .

[2] – ابن منظور ، مــصدر ســابــق ، جـــ 5 ، ص 25- 26.

[3] – محمــّد فريــد وجــدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، د ط ، دارالفكــر، بيروت ، لبنان ، د س ط ، جـــ 2 ، ص 523.

[4] – ابن منظور ، مصدر سابــق ، جـــ 7 ، ص 760 – 761.

السّــامِـيــَةِ فــي رغـبــةٍ ورهبــةٍ، وفــي خــُضُــوعٍ وتــَمــْجــيــدٍ...هــذا إذا نــَظــرْنــَا إلــى الــدّين مــِنْ حيــثُ هــُوَ حــالةٌ نفسيــةٌ بمــعــنىَ التديُّــنِ، أمــّا إذا نظــرنا إليــه مــن حيــثُ هــو حــقــيقــةٌ خــارجيــةٌ فهــو: جمُـلــَةُ النــّوامــيسِ النــّظريةِ التــي تــُحَــدِّدُ صِــفاتِ تلك القــُوّةِ الإلهــيةِ، وجمُــلة القواعد العمليةِ التي ترسُم طريــقَ عــبادتهــا ". [1]

* **أتباع الأديان**: بمــا أنَّ الدِّيــنَ انقــيــادٌ فكــريٌّ ورُوحــيٌّ، وإذعــانٌ عمــلي لِــمَا تمُــليــه العــقيدةُ عــلى مُعــتــنِقِــها، فإنّــه بهــذا المفــهوم يمــكن إدراجَ كــلّ الأديانِ _ بــما فــي ذلك الوضعــية مــنها _ تحت هذا المــُسمَّى.

وقــد ســمّى القرآنُ الكــريمُ مــذهبَ أهــلِ الشِّــركِ دِينــًا فقــال: " لكُم دينكُم ولــِيَ دِيــنِ ". [2]

وبــيَّــنَ فــي كــثيــرٍ مــن المواضع بــُطــلانَ هذا الدّيــن مــن عــدَّة أوجُــهٍ، كما ذكر الكثير مـــن اعتقادات أهل المِــلَلِ والنــِّحَلِ المختــلفة.

ولأنَّ الأديان الثلاثة: اليهودية، المسيحية، والإسلام، هي الأكثر انتشارًا ونفوذًا، والأقوى تأثيرًا فــي عالم اليوم، فقد رأينا التــّركيــزَ عليهــا أكــثر مــن غيرهــا.

**4_ القــرآن**:

**أ_ لغــةً**: مِــنْ: قرأتُ الشــّيءَ، أي:جمَــَعْــتُهُ وضَمَمْتُ بــعضَه إلى بعضٍ، ومــعــنى قــرأتُ القرآنَ: لَفَــظْــتُ بــهِ مجموعــًا، أي: ألــقَــيْــتُــهُ.

وســُمِّيَ القرآنُ بذلك، لأنــَّهُ جمَــَعَ القصــص والأمــرَ والنــّهيَ، والــوعدَ والوعــيدَ والآيــاتِ والســُّوَرَ بــعــضها إلى بــعــضٍ، وهو مــصدرٌ، كالغــُفران والكُــفران . [3]

**بــ _ اصطلاحــًا**: هــو كتــابُ الله المــُنــَزَّلُ علــى محــمّــدٍ صلىّ الله عليه وسلّــم

1 – محمّد عبد الله دراز ، الــدّين : بحــوثٌ ممهّدة لدراســة تاريخ الأديان ، د ط ، د م ن ، د س ن ، ص 49 – 50.

2 – الكافرون : 06.

3 – ابــن منــظــور ، مــصدر سابــق ، جـــ 1 ، ص 133 – 134.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بلفظـه ومعـنـاهُ، عن طريـق الملك جبريل عليه السلام، المـَنـقـُول بالتـّواتـُر (*) المـُفـيدِ للـقطع واليقـينِ، المـُعْـجِـزِ لفظـًا ومعـنىً، المـُنـَزَّل باللـسان العـربي المـُتعبـّدِ بتـلاوتـه. (1)

**المـبـحث الثـّانـي:**

**عـالمـية ُالإسـلام:** مـُنذُ الوَهـلة الأولى لظـُهُـوره، أعلنها الإسلام مُـدَوِّيـّةً فـي الآفـاق أنـّه رسالةٌ عالميةٌ، وأنـّه ليـس حـِكراً علـى قـومٍ دون آخريـن، ولا زمـانٍ غير آخر، بل هو رحمةٌ للعالمـينَ منذ ظهوره إلى يوم الدّيـن.

وقـد تجـسَّدت هـذه الفكـرةُ، فـي حيـاةِ الـرّسـُول صلىّ الله عليه وسلّم، حيـثُ جمـعـتْ دعـوتُه أجنـاسـًا مُـتبايـنَـةً، فكان مـن أتباعها: أبو بكـر الصّدّيق العربي وسلمـان الفـارسي، وصـُهـيـبٌ الـرّومي، وبلال الحبشي، وغيرهم كـثيـر عليهـم الرّضـوان جميعًـا.

كـما آمـنَ بـه الرجال والنساء والصّبـيانُ، ومـن كـل شرائح المجـتمع، وكانت الآياتُ تـتـنـزّلُ تِبـاعًـا، فـي هـذا الشّـأن، ومـن أبرزها _ على سبيل المثال لا الحصر _ قوله تعالى " ومـا أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين ". (2)

وكذلك قوله تعالى: " يا أيـّها النـاسُ إني رسول الله إليكم جميعـًا ". (3)

وغيـرها مـن الآيات كثيـر،لا يـَسَعُـنا المـقام للإحاطة بهـا، كـما تدلّ المكاتباتُ التي كـانت بيـنَ الـرّسول صلىّ الله عليه وسلّم ومـُلوكِ عصره، دلالةً واسعـةً عـلى هذا المعـنى.

(*) – التـّواتـُرُ : نـقـلُ الخـبـَرِ مـن جمـاعةٍ مـستـفـيضـَةٍ إلـى جمـاعـة أخرى ، بحـيثُ لا يمُـكِنُ تواطـُؤُهم على الكـذب.

1 – محـمـّد بن محـمـّد أبو شـهبـة ، المـدخل لـدراسة القـرآن الكريـم ، ط 1، مكتبة السُّـنَّـة ، القاهـرة ، 1412هـ– 1992 م ، ص 7.

2 – الأنبـياء : 107 .

3 – الأعـراف : 158.

و لعــلّ مــن أهــمّ الخــصائص التي ســاعدت على انتشــار الإسلام بالســرعة والنفوذِ ــ اللّــذَيــْنِ يــَنــدُرُ أن يــتحــقــّقَ مثــلُهما لغيــره مــن الأديان ــ وتحقيق مبدأ العالمية مــا يــأتي:

- وفــاؤُه بالحاجات الأساسية للإنسان، كقــُدرته على المــُوازنــةِ بيــنَ أشــواقِ الرّوح وحاجاتِ الجــسدِ.
- القــدرة علــى الإجابــة علــى مخــتــلف التــّساؤلات ــ العــقدية منــها خاصّــةً ــ وإعطائــه تــَصَــوُّرًا واضحًا حولهــا، لا سيما الإله، اليوم الآخر، الجزاء...
- التــّشــريعــات التي جاء بهــا، والتــي تــُراعي العدالــة َوالتــّوازن، دون تقصيــرٍ أو إخلالٍ فــي حــقّ الآخــريــنَ.

" والإسلامُ ليس اسمــًا دالاّ ًعــلى شــخصٍ بــعيــنه، أو أمّــة بــعينها، وإنــّما يــدلُّ علــى صِفــةٍ مخصوصة كلُّ مــن اتصف بها فهو مسلم ".(1)

كمــا أنّ الإســلامَ يــحمــلُ عنــاصرَ التجــدُّد والقــوّة، ممــّا يجعلــه صالحــًا لــكلّ زمــانٍ ومكــانٍ، مُستــجــيــبًا لمــُستجدّاتِ كــلّ عصرٍ، كــمــا أنــّه استمرارٌ لمسيرةِ الأنبيــاء والــرُّسل الســّابقيــنَ.

ولــم يدع مجــالاً للعــُنصُــريــّةِ، والتــّباهي بالأنساب والأعــراق، فــلا فــرق فــي الإســلام بــين أبــيــضَ ولا أســودَ، ولا أحمــرَ ولا أصفــرَ إلاّ بمــا قــدّم مــن حــُسْنِ الــعملِ، والأصــلُ فــي ذلك كلــّه، قــولــُه تعالــى " يا أيــُّها النــّاسُ اتــّقوا ربَّــكُمُ الذي خلقكــُم مــِنْ نــفسٍ واحــدةٍ وخلــقَ منــها زوجــَها وبــثَّ مــنهمــا رِجَــالاً كثــيــرًا ونســاءً ".(2)

فأصــلُ الإنســانيةِ جــمعــاءَ واحــدٌ، تجــمعُ بيــنهُم الأخــوّةُ الإنسانيــةُ العــامــّة ثــمّ يختــلفُ النــّاسُ بعــد ذلك بيــنَ مُحــسنٍ أو مُــسيءٍ، ويــبقى جــزاؤهــُم عنــدَ ربهّــم وربّ جميــع الخلائــق.

---

1 – عبد الله بن حسين الموجان ، الحوار فــي الإسلام ، ط 1 ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، جــدّة ، السعــودية ، 1427 هــ – 2006 م ، ص 233

2 – الــنــّساء : 01.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولا يفوتـنـُـا فــي هذا السـّياق، أن نـُشـيرَ إلـى فكرة التـّعارُف الإنـساني، والتــي وضـع القرآن الكريم أساسـَها المكـينَ فقال: " يــا أيـُّها النـّاسُ إنــّا خــلقـناكم مــن ذكــرٍ وأنــثى وجــعلناكم شـعُوبـًا وقــبائــلَ لـِتـَعـَارَفــُوا إنَّ أكــرمكُم عــند اللهِ أتقاكــُم إنَّ اللهَ عليمٌ خبـيـرٌ ".[1]

فلا مــكان إذَنْ للـتـَّفرقةِ العنـصرية، أو ادّعـاء الأفضلية لأحــدٍ إلا ّبــما قــدَّم مــن أعمــال صالحــةٍ.[2]

ومــن هــذا المـُنـطلـق فــقــدْ تـعرّض القــرآن ُالكــريم إلـى ذكــر الأديــان السَّــابــقةِ لــه، وبـيَّــنَ أنَّ الأصلَ فــي كــلّ الدّيــانات السّماويــة، هــو التـّوحيدُ والعمــَلُ علــى إسـعادِ الإنـســان والســُّمُوِّ بــهِ إلى المـراتبِ العــاليةِ والأفكارِ السّاميةِ وأنّ الشـِّـركَ والانحرافَ، عارضٌ ســاعدت علــى تــوطيدِه عــواملُ مــخــتلفةٌ .

ولذلك فإنــّنا ســنحاولُ أن نتطــرّقَ فــي بحثــنا هــذا إلــى أهــمّ المــذاهبِ والأديانِ المــذكورةِ فــي القرآنِ الكريم.

**المــبحثُ الثــّالث: الأديــان المــَذكُورة فــي القــُرآن:**

**أوّلاً: الــوَثــنــيــَّة ُ:** ويـرى بعـضُ البـاحـثينَ أنَّ أصـُولَ الــوثــنيةِ تــرجعُ إلــى مــا بعدَ وفــاةِ آدمَ عليــه الســّلام، وذلك أنَّ بعــضَ بــني شَـيــْثٍ ابنِ آدم لــمّا ماتَ جــدُّهــم جــعلــُوهُ فــي مــغارةٍ، فــي الجــبل الــذي أُهــبِطَ عــليه آدم عليه السلام بــأرض الهــندِ،وكــانوا يــأتونَ جــسَدَهُ فــي المــغارة فيــُعَــظّمونهُ ويــترحــّمون عليه فــقال بعضُ بنــي قابــيل ابن آدم: يــا بنــي قــابيلَ، إنَّ لِــبني شـيثٍ دُوَارًا يــدُورونَ حَــولــهُ ويُــعــظّمونهُ،و لــيس لكــُم شــيء ، فــنَحَتَ لــهُم صــنمًا، فــكــان أوّلَ مــا عــُمِلَ مــن الأصنام.[3]

---

[1] – الحــجــرات : 13.

[2] – محمــّد أبــو زهــرة ، المجتمع الإنساني فــي ظــلّ الإســلام ، ط 2 ، الدار الســعودية للنــشر والــتوزيع جــدّة ، الســعودية ، 1401 هــ – 1981 م ، ص 46 – 52.

[3] – محمــود بن الشــريف ، الأديــان فــي القــرآن ، ط 5 ، شركــة مكتــبات عــُكاظ للنشر والتوزيع ، السعودية 1404هــ- 1984م ، ص 36- 37.

ثُمَّ اتّخذ النّاسُ أصنامًا، عبدُوها على مَرِّ الزّمنِ، وكانتْ في الغالبِ تماثيلَ لرجالٍ صالحينَ، مضى على وفاتهم قدرٌ منَ الزّمنِ، وبعدَ تقادُمِ العهْدِ وتعاقُبِ الأجيالِ، أُحِيطتْ هذه التّماثيلُ بهالةٍ منَ التّقديسِ، إلى درجةِ العِبادَةِ.

و منَ الأمثلةِ على ذلك ما ذُكِر في القرآن مثلَ: وُدّ، وسُواع، ويغوث، ويعوق، ونسر...

وقد كانتِ الجزيرةُ العربيةُ على دينِ إبراهيمَ الخليل عليه السّلام، إلى أن قامَ عمرو بن لُحَيٍّ بجلبِ أصنامٍ من خارج الجزيرةِ، فاتّخذت بعد ذلك كُلُّ قبيلةٍ صنمًا لها، وانتشرت الوثنيةُ بعد ذلك بينَ القبائل العربية، إلىَ حينِ مبعثِ النّبي محمّد صلىّ الله عليه وسلّم.[1]

هذا وقد ذكر القُرآنُ الكريمُ أصنافَ المُشركينَ وعقائدَهُم، وبعضَ تشريعاتِهم، وسنحاول ذكر بعض الآيات الواردة في ذلك كَنَمُوذجٍ.

***عبَدَةُ الأصنام:** يقولُ الحقُّ سبحانه عنهم: " ويعبدون من دون الله ما لا يَضُرُّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شُفعاؤنا عند الله ".[2]

*** الذين يعبُدُون الأشخاص والأسياد:** وذلك مثلَ قولِ اللهِ تعالى: " إنَّ الذينَ تدعون منْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أمثالكُم فادعوهم فَلْيستَجِيبُوا لكُم إنْ كُنتُم صادقينَ ".[3]

*** عبَدَة الملائكة:** حيثُ يقول القُرآنُ عنهُم مثلا: " ويومَ يحشُرُهمْ جميعًا ثمّ يقول للملائكةِ أهَؤُلاءِ إيّاكم كانوا يعبدونَ ".[4]

*** عبَدَةُ الجنّ:** وعنهم يقول الحقّ عزّ وجلّ: " وجعَلُوا لله شُركاءَ الجنَّ وخَلَقَهُمْ وخَرَّقوا لهُ بَنِينَ وبناتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبحانه وتعالى عمّا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - محمود بن الشريف ، مرجع سابق ، ص 36- 42.

[2] - يونس : 18.

[3] - الأعراف : 194.

[4] - سبأ : 40.

يـَصِفُــونَ ".[1]

*** الـدَّهــْريــُّون:** أو الـدّهـرية ُ، وهُم ُالذيـن لا يـعـترفُونَ بـوجـود الحساب والجـزاءِ، وإنـّما هـي حيـاةٌ واحدةٌ يحياها الإنسانُ ثـمّ يمضي إلـى فـَناءٍ لا عـَوْدَةَ بـعده، وقـد ذكـر القـرآن الكـريم شأنهم فـي قوله تعـالى: " وقـالوا مـا هـي إلاّ حـياتـُنا الدُّنـيا نـموتُ ونـَحْـيَا ومـا يـُهلكـُنا إلاّ الدَّهــرُ ".[2]

كـما أشـار القـُرآن ُالكـريمُ إلـى عـبَدَةِ الظـّواهر الطـبـيعيـةِ، والكـواكـبِ وغيـر ذلك مـن المـعبوداتِ مـن دونِ اللهِ، ولذلك فقـد رأيتُ الاكـتفاء بـما ذُكِـرَ لأنّ ما لم أذكره ينـدرج فـي نـفسِ السّيـاقِ.

**ثـانيـاً: الحـَنـيـفـيـّةُ:** وأتبـاعـها يُـطلـقُ علـيهـم اسـمُ: الحُـنـفـاءِ وهم طائفةٌ مـن العـرب ظـلّوا يـبحـثـُونَ عـن الـدّين الحـقّ، فـكانوا بـعيـدينَ عـن الشـّرك، فاهـتدى الكـثيـرُ منهم إلى اتـّباعِ مِلـّة إبراهيمَ عليه السلام.

والمـقصودُ بالحنفـاء: مَـنْ مـالَ عـنِ الشـِّرك، وعـن اليهوديـة أو النّصرانية حينها إلى ديانة النـّبيّ إبراهيم عليه السلام.

وقـد تجـنّبَ هـؤلاء أعمـالَ الدّنـاءةِ، الـتي كانت مـنـتشرةً بين العرب آنذاك مـن شُـرب الخمر والفواحش، والعـاداتِ المنكرةَ.[3]

ومـن الآيـات الـتي أشارت إلى هذه الـدّيانةِ قولُ اللهِ عزّ وجلّ:" ومـَنْ أحـْسَنُ دِينـاً مِـمَّنْ أسْلَمَ وجهَهُ للهِ وهُـوَ مُحْـسِنٌ واتـّبعَ مِلـَّةَ إبـراهيمَ حـَنـيفـاً ".[4]

**ثـالـثـاً: المـَجـُوسـيـّةُ:** وهـي ديـانةٌ وثـنيةٌ، تقولُ بإلهـين اثنـين أحدُهـمَـا للخير والآخر للشـرّ، وبيـنهما صراعٌ دائـمٌ إلـى قيامِ السّاعة، والتي تقومُ حسبَ اعتقادهم بانتـصار إلـه الخيـر على إلـه الشّـرّ.

[1] – الأنـعا م : 100.

[2] – الجـاثـيـة : 24.

[3] – مـحمود بـن الشريف ، مـرجع سابـق ، ص 73.

[4] – النـّساء : 125.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وبعــضُ الباحــثين، يقولــون أنــّهم كانوا أهلَ كتابٍ، ولهــم رسولٌ ولكــنَّهم حرّفُوا وبــدّلــُوا مــع مُرور الــزّمــن.[1]

وفــي القــرآن الكــريم يقــولُ الحــقُّ سبــحانه: " إنّ الذين آمنــوا والــذين هــادُوا والصّــابئــينَ والنــّصارَى والمــَجُوسَ والــذينَ أشــركُــوا إنّ اللهَ يفصِلُ بيــنهُم يومَ القيامةِ إنّ اللهَ على كُــلِّ شيءٍ شهيــدٌ ".[2]

**رابــعــاً: الــصّــابـئــةُ:** وهــي طائــفــةٌ يــُقدّسُ أصــحابــُها الكــواكبَ والنــّجومَ ويــُعظــّمونــَها، وتــَعتــبــِرُ هــذه النــّحْلَــةُ يــَحْيَ عــليه السلام نبيــًا لها ويــُعَدُّ الاتــّجاهُ نحــو نجــم القطب الشــّمالي والتــّعميدُ فــي المياه الجارية من أهمّ طُقُوسِ هــذه الــدّيــانةِ.[3]

وقــد ســبــقَ ذكــرُها في آيــة الحــجِّ.

**خــامــســاً: اليــَهــُوديــّةُ:** إذا رجــعــنا إلــى كلمة اليــهود منَ النــّاحية اللغوية نجــدُها تحــملُ عــدّة مَــعان ، نــذكرُ مــنهــا:

1. **التــّوبــةُ والــرُّجــوع:** فــلفظةُ يــَهــُودُ، مــُشــتــقّةٌ مِــنْ:

هــَوْدٍ، والهــَوْدُ: الــتــّوبــَةُ.

وهــادَ، يــهُودُ هــَوْدًا، وتــَهَوَّدَ: تــاب ورجع إلــى الحــقِّ فــهو هــائدٌ، وقومٌ هُودٌ.

وفــي القرآن الكريم: " إنــّا هــُدْنا إلــيك "[4] ، أي: تــُبــْنا إلــيك.

2. **اســمٌ للــقــَبــيــلــَة:** وقيلَ اسمُ هــذه القــبيلةِ: " يــَهُوذ "، فــَعُــرِّبَ بِقلبِ الــذّالِ دَالاً.

و قــد قال تعالى: " وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هُودًا أو نصارى "[5]

---

[1] – مانع بــن حــمّاد الجــهني ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ط 4 ، دارالندوة العالمية ، الرياض ، السعودية ، 1420 هــ ، جــ 2 ، ص 1139 – 1140.

[2] – الحــجّ : 17.

[3] – مــانع بــن حمــّاد الجهنــي ، مــرجع سابــق ، جــ 2 ، ص 714.

[4] – الأعــراف : 156.

[5] – البــقــرة : 111.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3. **التـحريكُ:** فالـهـيْدُ: الحـركةُ، وهـادَهُ، يَـهِيدُهُ هـيْدًا، وهـيَّدَهُ حـرَّكـهُ، وأصلَـحَـهُ.

4. **التـطريبُ والإلـهاءُ:** فمـن معـاني التـهويد: التـطريـبُ والإلـهاءُ. وهـو مـهَـوِّدٌ أي: مـلهٍ ، ومـطـرِّبٌ.

ومـن معـانيـه: التـرجيعُ بالصـوتِ فـي ليـنٍ.

وهوَّدَ: إذا غـنّى، والتـهويدُ: هـدْهـدَةُ الـرِّيحِ فـي الـرَّمل، ولِيـنُ صوتـها فيـه.[1]

أمّا إذا رجعنـا إلى المـعنى الاصطلاحـي للكلمة، فإنّ بعـضَ الباحثـين يرى أنّ أصلَ كلـمـة: "يـهُـود" تـعـودُ نسبـتُها إلى: " يهوذا " وهو الابنُ الرّابع للنّبي يعقوب علـيه السّلام [2]

وقـد ذكـر القرآن الكـريم: اليهودَ في مـواضع كثيرة، ولكنّ الملاحَـظَ ، أنـه فـرّق بيـن " بني إسرائيل " ذُرّيـة إبـراهيمَ الخليل مـن جـهةٍ، وبين "اليهود" من جـهةٍ أخرى وذلك باستـعمال اسميـن يـحَدّدُ بهـما طبـيعةَ القومِ فـي كـلِّ مـرّة، فيطلـقُ اسمَ: " بنـي إسـرائيـل " فـي مواضـع الـرّضى، واسمَ:" اليهود" فـي مـواضـعِ السّخطِ عليـهـم.[3]

والمـتـتـبِّعُ للأدوارِ التـاريخـية حسـب التـسلسُلِ الـزّمني، يجـد أن التـسميةَ قـد مـرّتْ بمـراحلَ مـختلفـةٍ، مـرورًا بعـصر إبـراهيم الخليل، وبعـده ابـنـه يعـقوب عليهمـا السلام، إلـى غايـة عـصر النـبي مـوسى عليه السلام، وذلك بعـد حوالـي خمـسمـائـة عـامٍ مـن عصر إبراهيم الخليل، حيـث اشتـهر بنـو إسرائيـل حيـنـها باسـم: " قـوم موسى" وقـد كانـوا يـرزحـون تحـت نـيْـرِ استـعبـاد فـرعـونَ.

---

1 - ابـن منظـور ، مـصدر سابـق ، جـ 2 ، ص 816 – 819.

2 - مختـار فـوزي النـعال ، مـوسـوعة الألـفاظ القـرآنيـة ، ط 1 ، مكـتـبة دار التـراث ، دمـشق ، سورية ، 1423 هـ - 2003 م ، ص 852.

3 - أحـمد سوسـة ، مـفـصّل العـرب واليـهود في التـاريخ ، ط 5 ، منـشورات وزارة الثـقافة والإعـلام ، الجمـهورية العـراقـيـة ، 1981م ، ص 489.

أمـّا الـدّور الثـّالث، فـهو الـدّور الذي يـبـدأ بسبـي اليـهود إلى بابـل فـي القـرن السادس قبل الميلاد ( 597 – 586 ق م )، وهـؤلاء هـم بقايا جماعة يهوذا، وقد سمُـّوا بهذا الاسم نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة، وقد كان لهم في هذا الدور النصيب الأكبر في تكوين الـدّيانـةِ اليـهوديـة وتطـويرها[1]

**ســادســاً: الـنـّصـرانيــةُ:** وتُطـلقُ النـّصرانيـة عـلى الـدّين الـذي جـاء بـه عيـسى بن مـريم عليهـما السـّلام، ويـعـودُ سـببُ هـذه التـّسمية إلى أمريـنِ همـا:

1 ـ إمـّا أن يكـون إلى النـّصر، حيـث سمُـّيَ حـوَارِيـُّو عيـسى وأصحـابُه المقرّبونَ بذلك، وفـي القرآن: " قال الحـَواريـُّونَ نحـنُ أنصـارُ الله ".[2]

والمسيحـيةُ كمـا اشـتـهرت تـسمـيتـُها: اسمٌ للدّيانةِ التـي تُـنسب إلـى المسيـح عليـه السـّلام.

والمسيــحُ لقبٌ لــه مـُشـتقٌ من الكلمة العبرية :" messiah "، وتعني: المـُنقِذَ الموعودَ.

كمـا تعنـي فـي اللغـة العـِبريـة : المـمْسُوحـَةُ سـرُّتـُه بالـزّيـتِ المـُقَـدّس " yehoshua "، بدلالـةِ يـَهُوه المـُنقذ " yahwesaves "، ثـُمّ اختصرت الكلمة إلـى "yeshua "، أو " yeshu " ، أي: يـَسُوع.

وقـد تـرُجمت الكلمة إلـى اليونانية بصيـغة: " khristos "، ومنها جاء الاسمُ التّاريخي للـدّيـانة المسيـحية: " christianity ".[3]

هـذا ويـذهـبُ كـثيـرٌ مـن الباحـثيـنَ إلـى أنّ المـَسيحيـةَ التـي بشـّر بهـا المـَسيـحُ عيـسى عليـه السـّلام، قـد تحوّلـت إلـى ديـانـةٍ وثـنـيةٍ تقـومُ على التـّثـليـثِ على مـرحـلـتيـن:

[1] – المـرجع نـفـسه ، ص 342.

[2] – الصـّـفّ : 14.

[3] – عرفـان عبـد الحميد فـتـّاح ، النصرانية : نشأتـها التاريخية وأصول عقائدها ، ط 1 ، دار عمـّار ، عمّـان ، الأردن ، 1420 هــ – 2000 م ، ص 13.

**الأولى**: كانت على يد "بولس "(*)

**الثانية**: حيثُ انتشر مذهبُ "بولس " بقُوّةِ السّيفِ ، وذلك في المَجْمَعِ المَسكُوني الأوّل، وهو مجمع " نيقية " المنعقد عام 325 م.[1]

وقد ذكر القرآن الكريم الشّخصياتِ الأولى للنّصرانية بأحسن الأوصاف، فتحدّث عن شرف مريم عليها السلام وطهارتها، وعن نُبوّة عيسى عليه السلام، وبيّن بَطُلانَ عقيدة التثليث، وكذا عقائد النّصارى التي أدخلت مع مرور الزمن، كقضية الصّلب والفداء وغيرها، كما تحدّث عن رهبانهم وتعلُّقهم بالدنيا، وتحريفهم الكَلِمَ مِنْ بعدِ مَواضعهِ.

فمِنَ الآياتِ التي تحدّثت عن دعوةِ عيسى عليه السّلام مثلاً قولُ الحقِّ سُبحانه: " وقال المسيحُ يا بني إسرائيلَ اعبُدُوا اللهَ ربّي وربّكُم إنّهُ مَنْ يُشركْ باللهِ فقَدْ حرَّمَ اللهُ عليه الجنّةَ ومأواهُ النّارُ وما للظّالمينَ مِنْ أنصارٍ ".[2]

وعن مكانةِ البيتِ الذي تنحدِرُ منه السّيدةُ مريمُ عليها السّلامُ، يقولُ الحقُّ سُبحانهُ: " إنّ اللهَ اصطفىَ آدمَ ونُوحًا وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمْرَانَ علىَ العالمينَ ".[3]

والمُلاحظُ في التّعبيرِ القُرآنيّ يجدُ صيغةَ: " آل "، وهي صيغةٌ تُخَاطَبُ بها العائلاتُ الكريمةُ الطّيّبةُ ، بينما لا نجد في القرآن الكريمِ ذكرًا لآلِ محمّدٍ صلىّ الله عليه وسلّم بهذه الصّفة، رغم مكانته العالية، كما لا نجد

(*) - أصلُ "بولس" يهودي ، وقد كان في صدر حياته من أشدّ أعداء المسيحية ، ويُسمّى أيضا " شاول " ، توجّسَ منه تلاميذ المسيح ، فتقرّب من "برنابا "، حتى شهد له بالإيمان ، ومن ذلك الوقت ، صار "بولس" القوة الفعّالة ، والحركة الدّائبة في مسيرة المسيحية ، وقد اصطحب "برنابا "في رحلاته ، حتى اختلفا وافترقا ، وتُنسب إليه "رسائل بولس" ، قيل أنه قُتل في اضطهادات "نيرون "سنة 66 أو 67 (*).

(*)- محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، تقديم عمار طالبي ، د ط ، دار الشهاب، الجزائر ، د س ن ، ص 46 – 47.

[1] – عبد الغني عبّود ، المسيح والمسيحية والإسلام ، د ط ،د م ن ،القاهرة ،1986 م – 1396 هـ ، ص 85 – 86.

[2] – المائدة : 72.

[3] – آل عمران : 33.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سـُورةً مُـسمّـاةً باسمِ والـدةِ النـّبي محُمّـدٍ صلىّ الله عليه وسلّم، عكسَ ما نجـدُه فـي شـأن والدة المـسيـح عليه السلام حيثُ وردت سـورةٌ بأكملها تحت اسم مـريم.
وبيـّنَ فـي مواضع كثيـرةٍ بـُطلانَ ما يعـتقدهُ النـّصارى فـي شخـص المسيح وأمـّه عليهما السـّلام، نكتـفي بذكر بعـضها كالآتي:

- " إنّ مـثَلَ عيسى عند الله كمـثَلِ آدمَ خلقهُ مـن تـُراب ٍثـمّ قال له كُن فيكون ".[1]
- " يـا بنـي إسرائيـلَ إنـّي رسولُ الله إليكـم "[2]
- " وما قـتلـُوه وما صلبـُوهُ ولكـنْ شـُبِّـهَ لهـم " [3]
- " ومـُبشّـرًا بـِرَسول يأتـي مـِنْ بـعدي اسمُه أحمـد " [4]

وقـدِ اسـتـعملَ القـرآنُ الكـريمُ لفظـةَ: " النـّصرانيـةِ " بـدلَ:" المـسيحيـةِ " وذلك لأنّ الـدّينَ لا يـُنسـَبُ إلـى من يـدعـو إليـه، ولأنّ لفظـَةَ:" المـسيـحيةِ " لم تـظهـرْ إلاّ بعـدَ تحـوُّل: " بـولس " ، الذي كان يهوديـًا إلى النـّصرانية،ومحاولاتهِ فـي نشـرِ المـسيحيـةِ بـثـوبها الجـديـدِ. [5]

هـذا وقـد حـدثَ الاتـّصالُ المـُبكـّرُ بيـن المـُسلميـن واليـهود والنـّصـارى وقـد عـرفَت العـلاقـاتُ المـُتبـادلةُ فـي العـهد النـّبوي مستوىً من أرقى مستوياتِ التـّعامـُل مع الأقلـّيات بالمفهـومِ الحـديثِ، فلـم يتـعرّض لهمُ النبيُّ صلىّ الله عليه وسلّم ولا لحـريـّاتهم الشـّخصيـة، بل قـنـّنَ ذلك في وثيـقةٍ دُسـتوريـةٍ صانـتْ حُقُـوقَ الجميـعِ ، و ذلك مـا سنـتطـرّقُ إليـهِ فـي الفصـولِ اللاّحقـةِ .

---

[1] – آل عمران : 59.
[2] – الصـّـف : 06.
[3] – النـّســاء: 157.
[4] –الصف: 06.
[5] – محـمـّد أحمـد الخـطيـب ، مقـارنة الأديان ، ط 1 ، دار المسيـرة ، عمّان، الأردن ، 2008م – 1428 هـ ، ص 229.

# الفصل الأول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**الفصلُ الأوّل : الأسُس القـُرآنيةُ لمـَا قبلَ الحوار :**

لا شكّ أنّ أيّ حدثٍ أو مُمارسةٍ عاديةٍ للنّاسِ ، تكوُن ثمرةً لبذرةٍ سبقتهَ في عالـَم الفكرةِ ، قبل أن تتجسّدَ _ في شكلها النّهائي _ على أرض الواقعِ فكيف إذا كان الأمرُ مُتعلـّقًا بأفكار ومُمارساتٍ حضاريةٍ راقيةٍ ، كمبدأ الحوارِ الثّقافي والدّيني ، ولأنّ القـُرآنَ الكريمَ قد حوَى جوامعَ قواعدِ التّواصلِ الإنساني فلا عجبَ أن نجد فيه التـّأصيل لهذه الفكرة ، والعملَ على إنجاحها على أعلى المـُستويات، و لذلك فسنحاولُ الحديث في هذه السّطورِ عن أسُسِ الحوارِ قبل الخوض فيه ، أو دعنا نقولُ بعبارةٍ أخرى ، جانب التّنظيرِ قبلَ التطبيقِ .

**المبحثُ الأوّل : وحدَةُ المصدر** : تنقسمُ الأديانُ من حيث المصدرُ إلى قسمين كبيرينِ :

**أوّلاً : أديانٌ مصدرها الوحيُ** : وهي ما يـُطلق عليها : الأديان السّماوية ومُحرّكها الأساس الكتبُ المقدّسة المنزّلة على رسل الله وأنبيائه عليهم السّلام وأبرز هذه الكتب : التوراة ، الإنجيل ، القرآن ، وهذه الأخيرة كانت همزة الوصل بين السّماء والأرض ، عن طريق الوحي الإلهي ، فكلّها تشترك في أصل المبدأِ بغضِّ النظرِ عمّا اعترى بعضها بعد ذلك من إدخال شوائبَ من الفكر البشري أو أهواء بعض رجال الدّين ، عبر حِقَبٍ متباعدةٍ على جوهر هذه الأديان .

**ثانيًا : أديانٌ وضعيةٌ** : وهي معتقداتٌ مصدُرها العقلُ البشري ، وتعرف بالأديان الوضعية ، وتعتمد هي الأخرى في مـُنطلقاتها على على أسفار مـُقدّسة عند أصحابها ، كأسفار " الفيدا " الهندوسية ، و " الأبستاق " الزّرادشتية ، وغيرها وهي في أكثرها تتمثّل في روايات شفويةٍ يرجع أصلها إلى أناسٍ عاشوا في فتراتٍ زمنيةٍ معيّنةٍ .

ولمّا كان بحثُنا يتعلّق بالقرآن الكريم _ آخر الكتب السماوية المنزّلة _ فقد رأينا أن نبدأ بالبحث في مصدرية القرآن الكريم، وكيف تناولَ الكتب المقدّسة الأخرى ومحتوى ما ورد فيها.

في البدءِ سنذكر كلامًا نفيسًا للدّكتور محمّد دراز _ رحمه الله _ عن مصدرية القرآن ، ثمّ نرى بعض ما يقوله أحد المستشرقين ، ونحاول بعد ذلك تقرير الصّوابِ في هذا البابِ .

يقول درّاز _ رحمه الله _ وذلك بعد ما ساق جمُلةً غير يسيرةٍ من الدّلائل على أنّ القرآن الكريم إلهي المصدر ، ويستحيل تمامًا أن يكون من أفكار محمّد صلىّ الله عليه وسلم التي تلقّاها وتلقّفها من هنا أو هناك : " نعَم إنها لعجيبةٌ حقًّا: رجلٌ أميٌّ بين أظهُر قومٍ أميّين، يحضُر مَشاهدهُم _ في غير الباطل والفجور _ ويعيشُ معيشتهم مشغولاً برزق نفسه وزوجه وأولاده، راعيا بالأجر أو تاجرا بالأجر، لا صلةَ له بالعلم والعلماء، يقضي في هذا المستوى أكثر من أربعين سنة

من عمره ، ثمّ يطلُع علينا فيما بين عشيّةٍ وضُحاها ، فيُكلّمُنا بما لا عهد له به في سالف حياته وبما لم يتحدّث إلى أحدٍ بحرفٍ واحدٍ منه قبل ذلك ، ويُبدي لنا من أخبار القرون الأولى ، ما أخفاه أهلُ العلم في دفاترهم و قَماطرهم أفي مثلِ هذا يقولُ الجاهلون : إنّه استوحى عقلَه واستلْهَمَ ضميرَهُ؟ !

أيُّ منطق يُسَوِّغ أن يكون هذا الطّورُ الجديدُ العلميُّ نتيجةً طبيعيةً لتلك الحياة الماضية الأمِّية ؟ ! إنّه لا مَناصَ في قضيّةِ العقل من أن يكون لهذا الانتقال الطَّفريِّ سرٌّ آخرُ يُلتمَسُ خارجًا عن حدُودِ النّفسِ وعن دائرة المعلومات القديمةِ "[1]

[1]- محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم ، ط 4 ، دار القلم ، الكويت ، 1397 هـ – 1977 م ، ص 38.

ويقول في موضعٍ آخرَ : " بل انظُر إلى جمُلة ما في القرآن من النّواحي الإخبارية ، كيف يتناولُ بها محُمّدٌ صلىّ اللهُ عليه وسلّم ما وراء حسِّهِ وعَقلهِ من أنباء ما كان ، وما سيكونُ وما هُو كائنٌ ، وكيف أنّه كُلّما حدّثنا فيها عن الماضي صدَّقتْهُ شواهدُ التّاريخِ ، وكلّما حدّثنا عن المستقبل صدَّقتْهُ الليالي والأيّام ، وكلما حدّثنا عن الله وملائكته وشؤون غيبه صدقته الأنبياءُ والكتب ، ثمّ اسألْ نفسَكَ بعد ذلك : أترُى هذا الرّجُلَ الأمّي جاء بهذا الحديث كلِّه منْ عندِ نفسهِ ؟ ! "[1]

وعن الموضوع نفسه ،وفيما يتعلّق بصلةِ القرآن الكريم باليهودية والنّصرانية نجد بعضَ المستشرقين ، يزعم بأنّ محُمّدًا صلىّ الله عليه وسلم قد استقى آيات القرآن من نصوصِ الكتابِ المقدّس ولم يأت بجديد .

ومن الذين أرادوا إثباتَ هذا الزّعم : " فلَهَلْمْ رودولف " حيث يقول :
" وعندما ننتقل إلى سؤالٍ : كيف كان اقتباسُ محُمّد للمواد من الدّينين العالميين الكبيرين يبدو لنا من بادئ الأمر أنّه من غير المُرجّح أن يكون قد قرأ كُتُبًا دينيةً من كتب اليهود والنصارى ، وثَمَّ ما يبعثُ على الاعتقاد بأنّه يعكس ذلك : أي حصل ما حصل من المعلومات والأنباء عن طريق السّماع ، أمّا السُّؤال عن معرفته بالقراءة والكتابة ففي استطاعتنا أن نجُيبَ عنه بالإيجاب ، وليس من السّهل أن نفرض فيه الأمّيّةَ ، وقد كان يقيمُ ببلدٍ كمكّةَ ، يضطرب بالتّجارة ،ويعُجُّ بالحياة المالية ، ويُدْلَى فيه بالمحاضرات والبحوث العلمية ،كما يؤخذ من الآية : " رجالٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقامِ الصّلاة وإيتاء الزّكاة "[2]
وكان هو نفسه تاجرًا، على أنّه إذا كان ذا إلمامٍ بقراءة العربية فإنَّ ذلك لا يكون قد أجدى عليه كثيرًا في الاطّلاع على الكتب اليهودية

---
1- المرجع نفسه ، ص 53.
2- النُّور : 37 .

والمسيـحيـة ، فـإنّ تلك الكـتب فـي أغـلب الظـّنّ ،لـم تكـُنْ قـد تـُرجمـَتْ بـعدُ إلـى العـربية ، علـى أنـّه إذا كـان قـد قـرأ تلك الكـُتب فـلا بـُدَّ أن يكون قـد اقـتـبسَ مـنهـَا بـعضَ عـباراتٍ أدرجهـا فـي القـرآن "[1]

وهاهـي ذي بعـضُ الأمـثلة ، التـي اسـتشهد بهـا المؤلـّفُ فـي كتـابه :

| الآيـة مـن القـرآن الكريم | الفـقرة من الكتاب المقدس |
|---|---|
| " ولقد كـتبنا في الزّبور من بعد الذكر أنّ الأرضَ يرثُها عبادي الصّالحون " الأنبياء 105 | " الصِّدِّيـقُـونَ يـرثون الأرض " مزامير 37 : 11 |
| " ليـلةُ القـدر خيـرٌ مـن ألـف شهرٍ " القدر : 3 | " لأنّ يوماً واحدا في ديارك خير من ألف" مـزامير : 84 |
| "اقـرأباسم ربـّك الـذي خلـق " العلق 1-3 | " صوتُ قائل : نـادِ ، فقال : بماذا أنادي؟ " أشعيا : 40 |
| " ولو يؤاخذ اللهُ النـّاسَ بمـا كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة " فـاطر: 45 | " إن كـُنتَ تراقبُ الأيام يا ربّ يا سيّد فمن يقف ؟ " مزامير : 130 |
| " لا تـأخـُذُه سـِنَةٌ ولانومٌ " البـقرة: 255 | " إنـّه لا ينعسُ ولا ينـامُ حافظ إسرائيل" مزامير : 12 |
| " وجـعلنا عـلى قـلوبهم أكـِنَّةً أن يفقهُوهُ وفـي آذانهم وَقـْرًا " الإسراء : 46 | " لكِنْ حتّ اليوم حينَ يقرأ موسى البـُرقُعُ مـوضوعٌ على قلبهم " كورنثوس 3: 15 |
| " فاتـّقوا النّارَ التي وَقودها الناسُ والحجارةُ أُعِدَّتْ للكـافرين " البقرة : 24 | " اذهبوا عنيّ يا مَلاعينُ إلى النّار الأبديةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائكته " مـتّ : 25 |

هـذه بعـضُ المواضع ، التـي اسـتشهد بها صاحبُ الكتـاب .

---

[1] – د فلـهلم رودولـف ، صلـة القـرآن باليـهودية والمسيـحية ، تـرجمة : عصـام الـدّين حـفنـي ناصـف ط 1 ، دار الطـليـعة ، بيـروت ، لـبـنـان ، 1974 م ، ص 14 – 17.

وللـردّ عليـها نـوَدُّ القولَ فـي البـداية ،أنَّ التـّشابـُهَ فـي بعـض مقـاطع فـقرات الكتاب المقـدّس بجـزئيه _ العهد القـديم والعهد الجـديد _ مع بعـض مـا ورد في آيات القرآن الكريم ، لا يعني أبـدًا ضرورةَ الأخـذِ منهـا والاقـتـباس مـن فقراتها ، وذلك لعدّة اعـتـباراتٍ نذكـر منهـا :

1 - أنَّ مُنـزّلَ الكـتب السـّماويةِ ومـُرسلَ الـرُّسل واحدٌ ، فلا عجبَ أن نجد بعد ذلك تشابهـًا فـي الكـثير مـن المواضع، لأنّ المصدرَ واحدٌ.

2 - أنَّ محمّدًا صلىّ الله عليه وسلم، لم يـُعهَدْ عنـه أنـَّه كان مـُشتغلاً بالعـلم والبـحث فـي كـتب السـّابقين، لا بـلْ حتىّ الشـّعرَ الـذي كـان العربُ يتـفـنـّنـُونَ فـي قـرضِهِ، لم يكن مـن الخائضينَ فيـه، بل كلُّ ما عـُرفَ عنـه أنـّه كـان أمـّيـًا.

3 - أنَّ نشاطَ قـومه فـي التجارة، لا يـلزمُ بالضّرورة أن يكونَ لهم بـاعٌ فـي العـلومِ والمناظرات والمناقشات، التي ما كان العربُ يحسنون فـنونها.

4 - أنَّ محمّدًا صلىّ الله عليه وسلم عُـرفَ مـنذ صباه بالصّدق ودَماثة الخـُلقِ ، بل شهد له حتىّ أعداؤُه بذلك ،ولا أدلَّ على ذلك مـنْ أنهم كانوا يحفظـون لديه ودائعهم ، رغم عداوتهم الشـّديدة له فكـيف يـُعقل بمن كانت تلك أوصافه ، أن يخـرج عليـهم بعد هذا الزّمن الطـّويل بيـن أظهُـرهِم بشيءٍ مـن الكذب ، وأيُّ كذبٍ ، أكبـرُ مـن أن يفتريَ علـى ربـّه ، ولمـاذا لم يدَّعِ ذلك قـبـل أن يـُوحىَ إليـه وقـد كان لـه مـن الخصائـص والقدراتِ مـا يمـكّـنُه مـن السـّيطرةِ علـى عـقولهم.

5 - أن ما ذُكـرَ فـي القرآن الكريم، قـد يتجـاوزُ فـي بعـض الأحيـان ما ذُكِـرَ في غيره من الكتب السّماويـة السّابقة لـه، فـتجده يذكـر بعضَ الدّقائـق المـُغفلةِ عنـدهم ويزيـدُ علـيها، ويـُصَحّحُ ما شابَ أصُـولَها مـن الـتّبديلِ والـتّحريف .

6 - لـوْ كـان القرآنُ آخـذًا مـن تلك الكـتبِ، فكـيف يـُعقلُ أن يأخـذ منها، ثم يـنسبَ إليـها التـّحريفَ والتـّغـيـيرَ ؟ !

7- أنَّ جميعَ الأديان السّماويةِ ، تجـعلُ محـورَ دعوتهـا توطـيدَ الإيمانِ بالله وإفـراده بالعبادة والعمـل علـى إسعاد الإنسان فـي الدُّنيا والآخرةِ ، ومـِنْ ثـَمَّ فـهي تشتـركُ جميعـًا في

هذه المنطلقات ، وقد تختلفُ فقط في التّشريعاتِ والأحكامِ حسبَ ما تقتضيه طبيعةُ المرحلة ، وطبيعةُ النّاس الموجّهة إليهم .

8 - نجدُ في كثيرٍ من آيات القرآن، دعوةً لأهل الكتاب _ خاصّةً الرُّهبان ورجالِ الدّين منهم _ أن لا يكتُمُوا ويُخفُوا أجزاءً ممَّا أُنزِلَ على أنبيائهم، ويحُاكمُهُم في بعض الأحيان إلى ما هو موجودٌ في كتبهم نفسها، وما كانت عليه في الأصل.

ولأنّ كلامَ الأستاذ محمّد درّاز _ رحمه الله _ من النّفاسةِ بمكانٍ ، فقد رأيتُ أن أنقلَهُ حرفيًا ، حيثُ يقول في هذا الشّأن : " ومن أجل هذا ، كان ارتباطُ القُرآنِ بالكتب السّماويةِ السّابقة ارتباطًا جذريًّا وموضُوعًا جليلاً ، الغرضُ منه إعادةُ نُورهَا ونَشْرُه على العالم ، بعد أنْ خفَتَ على مَرِّ العُصور فالقُرآنُ يُقَدِّمُ لنَا الواجباتِ الأساسيةِ ، وعِلْمَ الحقيقةِ على أنّها دعوةُ السّابقين وسبيلُهُم المستقيم .... فليس بمحض الصُّدفة العارضةِ إذًا أنَّ مُحمّدًا صلىّ اللهُ عليه وسلّم ، يدعُو إلى مَا سبقَ أنْ دعَا إليه الرُّسلُ السّابقونَ ..... وفيما عدا السّبتِ الذي يعتبِرُهُ القُرآنُ واجبًا محلَيًّا محدُودًا بظُروفٍ خاصّةٍ، فقد جاء في القُرآن تعزيزُ الوصايا العشرِ التي وردت في التّوراةِ "[1]

وحتّى لو فرضنا أنّ مُحمّدًا صلىّ الله عليه وسلّم كان يعرفُ القراءَةَ والكتابةَ ، فقد كانت هُناك عقبةٌ أخرى ألا وهي لُغةُ التّوراة والإنجيل حيثُ لم تكُنْ مكتوبةً باللُّغة العربية ، بل أكثر من ذلك فقد كانت هذه الكتبُ حكرًا على بعض الحاخامات والرّهبان ، يُبدونَ بعضَها ويُخفونَ كثيرًا وقد أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى هذه الحقيقةِ في قوله تعالى:" تجعلونه قراطيسَ تُبدونها وتُخفُونَ كثيرًا "[2]

---

[1]– محمّد عبد الله دراز ، مدخل إلى القرآن الكريم ، ترجمة محمّد عبد العظيم علي ، د ط ، دار القلم ، الكويت 1406 هـ - 1986 م ،ص 91 – 93 .

[2]– الأنعام : 91.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هـذا و لم يـنبـئـنـا التـّاريخُ عـن أيّ اتـّصالٍ حـدثَ بيـنَ مُحمّد صلىّ الله عليه وسلّم ، وبيـن َعُـلماء أو رجال الأديانِ الأخرى.[1]
ومهمـا بـُذِلَ مِـنْ مُحـاولاتٍ لتـجميع نـقاط التـّشابه بيـنَ الحقائـق القـُرآنية ومـا هـو مـوجودٌ فـي بعـض الكـتب السّابقة ، فقـد حسمَ القرآنُ الكريمُ الموقفَ منذ الوهلةِ الأولـى

ففـي الآيـة يقولُ سبحانه : " وإنـّه لفي زُبـُرِ الأوّليـنَ "[2]
وفـي آيـةٍ أخرى يقـولُ: " إنّ هـذا لـفي الصُّحـُفِ الأولـى صـُحُفِ إبـراهيمَ ومـوسى "[3]
ولكـنْ لابـُدَّ أن نقـولَ: أنّ الاتـّفاقَ شـيءٌ والاقـتـباسَ شـيءٌ آخـر[4]
كـما أنّ استمـرارَ الوحـي علـى مـدى ثلاثٍ وعشرينَ سنـةً كاملـةً دلـيلٌ علـى صِـدْقِ الوحـي، حيـثُ أنـّه كـان ينـزلُ حسبَ مُجرياتِ الأحداث، ومـُتطلـّباتِ المـرحلة، وقـد كان النـّبيُّ صلىّ الله عليه وسلّم يـُسألُ عـن المسألـة فلا يُجيب حتـّى ينـزلَ الوحيُ، وغالبـًا ما كـان ينـزلُ بلفظـةِ " يسألونك " ، أو لفظـةِ " قـُلْ " ، ولو كـان مـنْ عـندِ شخصهِ صلىّ الله عليه وسلّم ، لمـَا أخـَّر الجـوابَ ، وهـو فـي أمَسِّ الحاجـة إليه ، ولأجابَ دون أن يستعملَ صيغـة : " قـُلْ " .
كمـا أنـّه صلىّ الله عليه وسلّم نهـى عـن كتابـةِ أحـاديثـه حـينما كـان القرآنُ ينـزلُ ، وذلك خـشيةَ أن يختـلطَ علـى النـّاس بالقـرآن ، ولـو كـان القـرآنُ مـنْ اختراعـه هـو ، ما احتـاج إلـى مثـل هـذا النـّهي.

---

[1] - محمّد درّاز ، مـدخـل إلـى القرآن الكريم ، ص 141 – 142.
[2] - الشـّعـراء : 196.
[3] - الأعـلـى : 18 – 19.
[4] - محمّد درّاز ، مـدخل إلـى القـرآن الكريم ، ص 164.

أضِفْ إلى ذلك أميّتُه صلىّ الله عليه وسلّم ، فإنّه منَ المستحيل أن ينقُلَ عن الآخرينَ ، ويخرُج علينا بمثل هذا السِّفْرِ العظيم من حيثُ الكلمات ، وكذا من حيثُ النَّظْم والدّلالات والمعجزات .

كما كان صلىّ الله عليه وسلّم يُسأل عن بعض القضايا ، فيُجيب من عند نفسه ، ويَنزِلُ القرآنُ بعد ذلك مُعارضًا لموقفه ومُصحِّحًا له ، أو لائمًا عليه في بعض الأحيان كما حدثَ في قصّةِ عبد الله بن أمّ مكتومٍ ،وقد تحدّثتْ سورةُ " عبس" عن ذلك .

ولْنَرجعِ الآنَ إلى ما يقولُه القرآنُ الكريمُ عن أصل الأديان السّابقة له _ لا سيما اليهودية والمسيحية _ باعتبارهما الأقرب إليه زمانًا ومكانًا ، والأكثرُ اتّصالاً به .

فإذا رجعنا مثلاً إلى سُورة البقرة نجدُ قولَه تعالى: " وقالُوا كُونُوا هُودًا أو نصارى تهتدُوا قُل بل مِلّةَ إبراهيمَ حنيفًا وما كان منَ المشركينَ قُولوا آمنَّا بالله وما أُنزِلَ إلينَا وما أنزِل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أوتيَ مُوسىَ وعيسىَ وما أوتي النّبيُّونَ منْ ربّهم لا نُفرِّقُ بينَ أحَدٍ منهُم ونحنُ له مُسلمُونَ "[1]

ففي الآية دلالةٌ واضحةٌ على أنّ الرُّسُلَ والأنبياءَ، وإنِ اختلفتْ أزمانُهُم وأماكنُهُم، فالمصدرُ واحدٌ والباعثُ واحدٌ ، والدّينُ واحدٌ ، وإنّما تختلفُ الشّرائعُ والأحكامُ حسبَ الظُّروفِ والأحوالِ.

- وقد ذكرَ الطّبري كلامًا حولَ الآية نُلخّصُ معناه بما يلي:

- أنَّ الله عزَّوجلَّ احتجّ للنّبيّ صلىّ الله عليه وسلّم بحُجّةٍ بالغةٍ وواضحةٍ تمَامَ الوُضوح وهي أن يدعُوَكِلاَ الطّرفين _ اليهود والنّصارى _ إلى الملّة الإبراهيميةِ الحنيفيةِ ، والتي يعترفُ بها الجميعُ ويفتخِرُونَ بالانتسابِ إلى صاحبهَا إبراهيمَ عليه السَّلام .

---

[1]- البقرة : 135 – 136.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– وأن يَدعوهُم إلى التّصديقِ بكلّ الأنبياءِ، والكتبِ المُنَزَّلةِ عليهم دُونَ أن نُفَرِّقَ بينَ أحدٍ منهم[1]

ونجدُ الرّازي بعدَ أن ساقَ مجمُوعةً منَ الآراءِ حول الآيةِ ، خَلُصَ إلى القول بأنَّ أصلَ الدّياناتِ السّماويةِ واحدٌ ، وأنّه قائمٌ على توحيد الله وعدمِ الإشراكِ به ، كما هو الشّأنُ بالنّسبةِ إلى الحنيفية ، وهي دينُ إبراهيمَ عليه السلام.[2]

كما نجدُ في صَدْرِ سُورَةِ "آل عمران " تقريرًا لهذا المبدأ ، حيثُ يقولُ الحقُّ سبحانه :" ألم اللهُ لا إلهَ إلاَّ هو الحيُّ القيُّومُ نزَّلَ عليك الكتابَ بالحقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بينَ يَدَيْهِ وأنزلَ التَّوراةَ والإنجيلَ مِنْ قَبلُ هُدًى للنَّاسِ وأنزلَ الفرقانَ "[3]

وسببُ نُزُولِ هذه الآيةِ، قُدُوم وفدٍ من نصارى " نجرانَ "[4] إلى المدينة حيثُ استقبلهم الرّسُولُ صلىّ الله عليه وسلّم وصَلَّوْا في مسجده صلاتَهم ، و لم يمنعهُم من ذلك ، ثمَّ ناقشَهُم في بعضِ مُعتقداتهم خصُوصًا ما تعلَّقَ منها بشأنِ عيسى عليه السّلام.[5]

والخِطابُ في الآية مُوَجَّهٌ إلى النّبيّ صلىّ الله عليه وسلّم، وفيه أنّ الكتابَ المُنزَّل إليكَ: " مُصَدِّقٌ لما قبله من كُتبِ الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله ومُحَقِّقٌ ما جاءت به رُسُلُ الله من عنده، لأنَّ مُنَزِّلَ ذلك كلِّه وَاحِدٌ فلا يكونُ فيه اختلافٌ "[6]

---

1 – الطّبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، د ط ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان 1405 هـ – 1984 م ، م 4 ، جـ 6 ، ص 272 .

2– الرّازي ، التّفسير الكبير ، ط 1 ، د م ن ، د ب ن ،1401 هـ – 1981 م ، م 2 ، جـ 4 ، ص 88 – 91.

3– آل عمران : 03 .

4– نجران : إحدى مناطق المملكة العربية السّعودية ، تقع في أقصى جنوب غربي المملكة تحدها من الجنوب والغرب اليمن ( ياسين صلواتي ، مرجع سابق ، جـ 8 ، ص 3461 ) .

5– الطّبري، مصدر سابق، م 3، جـ 3، ص 163.

6– الطّبري ، مصدر سابق ، م 3 ، جـ 3 ، ص 166.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي ذاتِ السّياق نقرأ قولَه تعالى: " شَرَعَ لكُم منَ الدّينِ ما وَصَّى به نُوحًا والذي أوْحَيْنَا إليك وما وَصّيْنَا به إبراهيمَ ومُوسىَ وعيسىَ أنْ أقيمُوا الدّينَ ولا تتفرّقُوا فيهِ "[1]

والمقصُود من الآية أنّه : " شرَعَ لكم منَ الدّين دينًا تطابقتِ الأنبياءُ على صحّته ، ويجبُ أن يكونَ المرادُ منْ هذا الدّينِ شيئًا مغُايرًا للتّكاليفِ والأحكامِ ، وذلك لأنّها متُفاوتَةٌ ومختلفةٌ ، وقد قال تعالى : " لِكلٍّ جعلنا منكُمْ شرْعَةً ومنهاجًا "[2] ، فيجبُ أن يكونَ المرادُ منه الأمُورَ التي لا تختلفُ باختلاف الشّرائع ، وهي الإيمانُ بالله وملائكته وكتبه ورُسُله واليوم الآخر "[3]

والقرآنُ الكريمُ _ إذْ ينطلقُ في الآفاق داعيًا إلى النّظر والبحث ، للوُصُولِ إلى الحقِّ _ لا يضَيقُ ذَرْعًا بوجودِ الأديان الأخرى ، بل يذكرُها ويحترمُ أصحابهَا ويُناقشُهُم وِفقَ منَهجٍ علميّ دقيقٍ ، بعيدًا عن مجرّد التّعصُّبِ ونَبذِ الآخر وإنّما يَعرِضُ القضايا ويحُاكِمُ أصحابَ الأديان إلى وحدةِ المصدر ، وأصل الدّعواتِ التي جاء بها رُسل الله وأنبياؤُه .

وإنّ هذا المبدأ يُشكّلُ قاعدةً متينةً، للمُضِيّ قُدُمًا في عملية الحوار والذّهاب بها بعيدًا، لأنّ الكُلّ يحترمُ الآخرَ، ويعترفُ له بقدْرٍ منَ القُرْب الذي يكسرُ الكثيرَ منَ الحساسياتِ، ويحولُ دُونَ تحقيقَ الهدفِ منَ الحوارِ.

وعن هذا الموضوع يقولُ الدّكتور محمّد عُمارة : " فالقرآنُ الكريمُ يُعلِمُ أهلَه أنَّ الإسلامَ الذي يُؤمنونَ به ، ليسَ بدْعًا منَ الدّياناتِ والشّرائع ، وليسَ مُنبتَّ الصِّلةِ بها ، وإنّما هو الحلقةُ الخاتمةُ في سلسلةِ الوحيِ الإلهي ، والشّرائع السّماوية ...وأنّ رسُولَ الإسلام محمّدَ بن عبد الله صلىّ الله عليه وسلّم ، هو خاتمُ الأنبياء

---

[1]- الشّورى : 13 .

[2]- المائدة : 48.

[3]- الرّازي ، مصدر سابق ، م 14 ، جـ 27 ، ص 157.

والمرسليــن ...وشريعــتُهُ هــي الطــّورُ المــستجيبُ لخـُصُوصيــّاتِ التــّطــوُّر الإنســاني ولمتطلــّباتِ خَــتْمِ النــُّبُوَّات و الرّسالاتِ ، واكتمالِ الوحي الإلهي ، ولمقتضياتِ عالميةِ الرّسالةِ وخُــلُــودِ حُجــّةِ الله على النــّاسِ أجمــعين "[1]

هــذا وإنّ عبــارةَ " مــُصــَدِّقـًا لمــا بيــن يديــه " ، تكــرّرت فــي مواضعَ كثيرةٍ مــن القــرآن الكــريم ، وهــي قــويــّةُ الــدّلالــة علــى أنّ مــسيرةَ الأنــبــياء واحدةٌ وســبــيلــهُم واحــدٌ ، وأنّهــُم يــُكــملُون بعــضهم بعضــًا فــي بـِنــاءٍ رِساليٍّ مَهيبٍ يــرُصُّ بعــضــُه الآخــرَ .

أمــّا عــن الــدّيانات الأخرى _ وخاصّة الوضعية منها _ فقــد حــاور القــرآنُ الكريم أتباعــَها بمنــهجٍ واضــحٍ ، حيــثُ ركــّزَ علــى المحــاور الكُبــرى مــنْ حيث العقائدُ وكــذا الممارسات والعــادات المــتــوَارَثة ، فــفي بابِ العــقائد نــاقــَشَــهُم في قضيّتينِ رئــيــسيــتيــنِ هــُمَا :

- الإشــراكُ بالله سُــبحانــه ، والاعتــقاداتُ المــتعــلّقة بالــذّات الإلهــية .
- إنكــارُ البــعثِ، والحســاب.
- إضافــةً إلــى العــادات، والأعــراف الاجتــماعية الســّائدة بــيــنهم .

و لم يــُواجه الإسلامُ هــذه العــقائد والممارسات بقــوّة الســّلاح ، وإنّمــا حــاور مُدَّعيهَا مــُستعملاً فــي ذلك كــُلَّ الأســاليب المرتكــزَة علــى بيــانِ الحــُجَج والبراهين ، تاركًا هم المجــالَ للإجــابة عــن الإشكالات

التي يــطرحها عليهم ، داعيــًا لهم إلــى استــعمالِ عقولهم ، وعــدم التــّعصُّب لمجــرّد الأهــواء .[2]

---

[1]- محــمّد عُــمارة ، هــذا هــو الإســلام :المــوقف مــن الدّيانات الأخــرى ، ط 1 ، مكــتبة الشــّروق الدولية د م ن ، 1426 – 2005 م ، ص 11.

[2]- عــبد العظيــم إبــراهيم المطــعني ،مبــادئ التــّعايــش الســّلمي فــي الإسلام منهجــًا وسيــرةً ، د ط ، دار الفتــح للإعــلام العــربي ، القاهــرة ،1417 هــ - 1996 م ، ص 105 – 108.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وبعد هذه الأفكار التي عرضنا لها حول مصدر الأديان السّماوية وموقف القرآن من القضيّة نستطيعُ القولَ بأنّ القرآنَ الكريمَ قد وضع الأساسَ الأوّل لبناء صَرْح التّواصُل مع الآخر المُختلفِ دينًا ، وثقَافةً ، فَأَنْ تعترفَ لمنْ يخُالفُك باشتراكه معك في المصدر الذي نهَلْتَ منه ، فهذا يعني الكثيرَ ، وهو اعترافٌ مَبدئيٌّ ، ومدٌّ لجسُور التّعاوُن الإنساني البنّاء .

أمّا بالنّسبةِ لغير أهل الكتاب، فيبقىَ الموقفُ منهُم: "أن يُعامَلُوا بالحُسنىَ ما دامُوا غيرَ محُارِبينَ، فقد سمَحَ النّبيُّ صلىّ الله عليه وسلّم لأسماءَ بنتِ أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنهما، بقَبول هديّة والدتها المُشركة حينما قَدِمَت إلى المدينة(*)،إلاّ أنّهُ حرَّمَ مُوالاتهم ، ومحبّتهم القلبية ، لِمَا في ذلك من تواطُؤٍ معهم على المصلحة العامّة لدولة الإسلام "[1]

وقد كان القرآنُ في آياته المتوالية يُسائلُ المشركينَ عن مدى صِحّة معتقداتهم ، و عن المصادر التي أخذوا منها دينَهُم ، ويطلب منهم الإتيانَ بدليلٍ واحدٍ على الأقلّ يُثبتُ نسبةَ دينهم إلى السّماء ، فهاهو يقولُ مثلاً :" وإذا فعلُوا فاحشةً قالُوا وجدنَا عليها آباءنا واللهُ أمرَنا بها قل إنّ الله لا يأمرُ بالفحشاءِ أتقولونَ على اللهِ ما لا تعلمُونَ "[2]

ويقولُ في سُورة الأحقاف :" قُلْ أرأيتُم ما تدعونَ من دون الله أرُوني ماذَا خلقُوا منَ الأرضِ أم لهُم شِرْكٌ في السّماواتِ إئتُوني بكتابٍ مِنْ قبلِ هذا أو أثارةٍ مِنْ علمٍ إن كنُتُم صادقينَ "[3]

---

(*)-الحديث أخرجه البخاري بلفظ : " قَدِمَتْ عَلَيَّ أمِّي وهي مُشركةٌ "، كتاب : الهبة ، باب الهديّة للمشركين ، حديث رقم : 2620 . ( ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ط 3 ، دار السلام ، الرياض ، دار الفيحاء ، دمشق ، 1421 هـ – 2000 م ، جـ 5 ، 286 ) .

1- حسن خالد ، موقف النّبي صلىّ الله عليه وسلّم منَ الدّيانات الثلاث " الوثنية واليهودية والنصرانية " ، د ط دار الكتاب الإسلامي ، د م ن ، د س ن ، ص 27.

2- الأعراف : 28.

3- الأحقاف : 04.

والآيـاتُ فـي البـاب كثيـرةٌ يـُغـني مـا ذكـرنـاه عن البقـيـّة .

**المبـحث الثـَّاني : الاخـتلافُ سـُنـّةٌ كـونيـةٌ** : لـقد اقـتضَت المـشيـئةُ الإلهيـةُ أن تخـتلفَ لـُغات النـّاس وألـوانُهـُم وأعـراقـُهم وأديانُهـُم ، فالأمـرُ سـُنّةٌ كونية لا سـُلطانَ لأحدٍ أن يـُغـيِّرَهُ إلاّ بإذنِ الله ومشيـئـته ، فالكـُلُّ فـي هذا الفلك يعملُ وفقَ تصـوُّراتـه وإدراكاتـه وقنـاعـاتـه ، ويـبقىَ الحسابُ والجـزاءُ يـوم يـُكشفُ عـن السـّرائر عـند ربّ العبـاد .

ولأنّ الإسلامَ رسالـةٌ عالميـةٌ ، فقـد فتـحَ البـابَ لمـُعاملـةِ الجميع مهـما اختلفتْ مـذاهبـُهُم وتنـوّعت مـشاربُهم ،وفـي هـذا الصّـدد يقـول الـدّكتور محمّد عُمارة : " ووجُودُ الآخر الدّيني المـُتمايز والمـُختلف ، ليـس حقـًّا يمكنُ التـّنازُل عـنه ، أو يمكن زوالـُه بدخُول الجـميع فـي شريعـةٍ واحـدةٍ ، وإنّمـا هـو قـانونٌ دائـمٌ وسُنـّةٌ إلهيةٌ لا تبـديلَ لهـا ولا تحـويلَ... فالقـبُول بالآخـر والتـّعايشُ معـه ليـس مجُرّدَ قَبُول بأمرٍ واقـعٍ ، وإنّمـا هـو القـَبُولُ بسُنـَّة الله "[1]

وقـد تحـدّث القـرآن الكريم فـي غيـر مـا مـوضع عـن هـذه القضيـّة ، فنجدُ مثلاً فـي سـُورة المائـدة قولـه تعالى : " لِكـُلٍّ جـعلنـَا منـكُم شـرْعـَةً ومِنـْهَاجًا ولَوْ شـاءَ اللهُ لجَـعلكـُم أُمـَّةً واحـدةً "[2]

ويـُرَجّح الطـّبري فـي تفسيـره لهـذه الآيـة ، بـأنّ المقـصُـودَ بالاخـتلاف فـي هـذا الموضـع : هـو اخـتلافُ أهل المـِلل والأديـان ، فلـو شاء ربّكم لجـعل الشّرائع والمنـاهج واحـدةً ، ولكـنـّه لـم يشـأ ذلك لـيَخـتبـرَكُم ويـرى المـُطيعَ منكُم والعـاصي ، والمـُؤمنَ والكـافرَ .[3]

1- محمـّد عـُمارة ، هـذا هـو الإسلام ، ص 13.

2- المـائـدة : 48.

3- الطـّبري ، مـصـدر سـابـق ، م 4 ، جـ 6 ، ص 272.

ويـقولُ الحـقُّ سُـبحانه فـي آيـة أخـرى : " ولو شاءَ اللهُ لجَـمَعـهُم علـى الهـُدى فـلا تـكـُونـَنَّ مـنَ الجـاهليـنَ "[1]

والمـقصودُ مـنَ الآيـة : أنـّه لـو شـاءَ لجمـعَ الكـُلَّ على الاسـتـقامة والصّـواب حتّ يكـونُوا على ملـّةٍ واحـدة.[2]

وفـي آيـةٍ أخـرى نجـدُ قولـَه تعـالى : " قـُلْ فَلِلَّهِ الحـُجَّةُ البـالغـةُ فَلـَوْ شـاءَ لهـَدَاكُم أجمـعيـنَ "[3]

والمعنـى : أنـّه لو شاء ربكم لوَفـّقكُم جميعـًا للاتـّفاق على الهـداية ، ولكنـّه لم يشأ ذلك ، "بل شاء هداية البعـض لأنهّـُم صـَرفـُوا اخـتـيارهُم إلى سُلوك طريق الحقّ ، وشاءَ ضلالـةَ آخريـنَ لأنهّـُم صـرفـُوا اخـتيارهـُم إلى سُلوك طـريق الباطـل "[4]

ويـُضيفُ الشـّيخ طـنطاوي _ رحمه الله _ مـبُـيـّنًا أنَّ المـشيئـةَ المذكـورةَ في الآية دالـّةٌ علـى حـُرّيـّة الإنـسان وعـدم إجـباره ، وأنّ اللهَ تعـالى قـد يسـَّر أسبـابَ الهـداية لمن أخذ بهـا ، ووفـّقهُ إلـى سـُلوك طـريقها ، كمـا أنـّه تعالى وَكَلَ من اتّبعَ أسبـاب الشـّقاوة إلـى نـفـسه ، ولم يمنـعْـهُ من اخـتـياره لهـذا السـّبيل في الدّنيا وأنـّه سـيـُحاسبه على عمله يوم الدّين ، فالاختلافُ واقـعٌ لا محـالةَ.[5]

كمـا نقـرأ فـي آيـةٍ أخرى ، حـول هذا المعنى ، قـولَ الحـقّ سـُبحانه : " ولوْ شاءَ ربـُّكَ لجـَعلَ النّاسَ أمـّةً واحـدةً "[6]

وقـد ارتأيـتُ أن أنـقلَ كلامَ الـرّازي حول معـنى الآيـة لمـا فيه من جمَـال العبارة ودقـّتـها حيـثُ يقـولُ : " المـُرادُ افـتراقُ النـّاس فـي الأديـان والأخـلاق والأفعال

---

1- الأنـعـام : 35.

2- الطـّبـري ، مـصدر سـابـق ، م 5 ، جـ 7 ، ص 184 – 185.

3- الأنـعـام : 149.

4- محـمّد سيـّد طـنطاوي ، التـّفسير الوسيط ، ط 2 ، مـطبـعة السّعادة ، القاهرة ، 1407 هـ – 1987 م ، م 5 ، ص 281.

5- المـرجـع نـفـسه ، ص 282.

6- هـود : 118.

فإن قيلَ : إنّكم حملتُم قولَه تعالى "ولا يزالُونَ مُختلفينَ " على الاختلاف في الأديان فما الدّليل عليه ، ولِمَ لا يجوزُ أن يُحملَ على الاختلاف في الألوان والألسنة والأرزاق والأعمال ؟ قلنا الدّليلُ عليه : أنّ ما قبلَ هذه الآية هو قولُه تعالى : " ولوْ شاء ربُّكَ لجعلَ النّاسَ أمّةً واحدةً " ، وما بعد هذه الآيةِ هو " إلاّ منْ رحم ربُّك " ، فيجبُ حملُ هذا الاختلاف على معنى يصِحُّ أنْ يُستثنى منهُ قولُهُ : "إلاّ من رحم ربُّكَ " "[1]

والمعنى : أنّ رحمةَ الله إنّما يحتاجُها النّاسُ في اتّباع الدّين الصّحيح ونَيْلِ رضوانه سُبحانه بما يُحِبُّ من عبده أن يكُونَ عليه ، ولا معنَ لذلك في اختلاف الأشكال والهيئات ، والألوان والأجناس .

هذا وإنّ في القرآن الكريم مواضعُ كثيرةٌ، تدُلُّ على هذا المعنى، و لذلك سأكتفي بالإشارة إلى بعضها.

- يقولُ الله عزّ وجلّ : " ولو شاء اللهُ لجعلكُم أمّةً واحدةً ولكن يُضِلُّ مَنْ يشاءُ ويهدي مَنْ يشاءُ "[2]
- ويقُول سُبحانه :" ولو شاء اللهُ لجعلهُم أمّةً واحدةً"[3]

ومن هذا المُنطلق القرآني ــ الذي يقرُّ بوجود الاختلاف وفطريته ــ كان لِزامًا على المسلم ، ألاّ يضيقَ ذرعًا بمن يُخالفه ولا يُوافقُه المبدأ والرّأي ، لأنّ مهمّتَهُ تقتصرُ على البلاغ وتوصيل الرّسالة على أكمل وجهٍ وأحسنهِ ثمّ ترك الحرّية للنّاس أن يختارُوا ما يرونه صوابًا ، وحسابهم على ربّهم .

يقولُ الأستاذ الفاضل بن عاشور :" ومن سماتِ الحضارة الإسلامية أنّها إنسانيةُ الخطابِ ....حيثُ اعتبرتِ الأقوامَ والأجناسَ أمُورًا واقعيةً قسريةً ، لا بُدَّ للإنسان فيها ، بلْ هي مِنْ

---

[1]- الرّازي ، مصدر سابق ، م 9 ، جـ 12 ، ص 79.

[2]- النّحل : 93.

[3]- الشّورى : 08.

آيات الخلق ، ومعالم التّكامُل الاجتماعي التي تقتضيها وظائفُ التّعاون والتّعارف ، والانفتاح على العطاء العالمي فهي فوارقُ تنوُّعٍ وتَعدُّدٍ،وليست فوارقَ تَضَادٍّ وصِراعٍ "[1]

وقد ذكر اللهُ عزّ وجلّ حالَ النّبي صلىّ الله عليه وسلّم ، حينما كان يتحسرُّ على عدمِ إيمان قومه ، وحمله هذا الهمَّ ، فبيّن له الحقُّ سُبحانه أنّ الأمر خارجٌ عنْ إرادتـِه ، وأنـّه بعد إبلاغ الرّسالة ليس عليه أن يحمل همّ اهتدائهم ، لأنّ الحكمةَ الإلهيةَ شاءت أن يقعَ الاختلافُ ، ويحصُلَ التّباينُ ،ففي الآية نقرأمثلاً قولَهُ تعالى : " فلعلّك باخِعٌ نفسَكَ على آ ثارهِمْ إنْ لم يُؤمنُوا بهذا الحديثِ أسفـًا "[2]

ولعلّي أختمُ هذا المبحثَ بكلامٍ من أجمل ما وقفتُ عليه في هذا البابِ للأستاذ محمود عبّاس العقّاد، وجاء فيه: " فإذا كانُوا قد تَعَدَّدُوا شُعوبـًا وقبائلَ كما جاء في الآية ، فإنّما كان هذا التّعدُّدُ أقوى الأسبابِ لإحكامِ صلةِ التّعارف بينها وتعريفِ الإنسانية كلّهَا بأسرار خلقِها.... وهذا هو حُكمُ القرآن في وحدة بني الإنسان، وفي تدعيمِ هذه الوحدةِ بما يحسبُه النّاظرُ المُتَعجّلُ بابـًا من أبواب الافتراقِ والتّبايُنِ ".[3]

## المبحثُ الثّالثُ : لِكُلّ طرف الحرّيةُ فيما يعتنقُ من دِين :

وهذه من أخصّ الأسُس التي تميزّ بها القرآنُ الكريم ، فهو يُريد الارتفاعَ بمستوى العقل الإنساني إلى مرحلةٍ من الوعي، يجلِسُ فيها الجميعُ _ مع اختلافِ مِللهم وأديانهم _ وجهـًا إلى وجهٍ دونَ تعصّبٍ أو تَعَدٍّ ، فلا مجال إلاّ للحُجّةِ

[1] – الكهف : 06.

[2] – محمّد الفاضل بن عاشور ، روح الحضارة الإسلامية ، تقديم عمر عبيد حسنة ، ط 2 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ، الو م إ ، 1413 هـ – 1992 م ، ص 6 –7.

[3] – عبّاس محمود العقّاد ، الإنسانُ في القرآن الكريم ، د ط ، دار الهلال ، مصر ، د س ن ، ص 51 – 52.

والبـُرهان ، وما مُخـاطبةُ القـرآن الكريم لأهـل الكـتاب بهـذا الاسـم إلاّ تشـريفٌ لهم واحـترامٌ لمكـانتـهم و مـَوروثـهم الـدّيـني ـ رغم معارضته لهم ، وعدم موافقتهم علىَ ما هـُم عليـه ـ وكذا الإتيـان بأقـوالهم ، ومحُـاكمتها إلى أصـول ديانتهم الأولى وإلـى المنهـج العقلي ومع هذا وذاك الاحتـرامُ وعـدمُ الإسـاءة والظـّلم فـي القول أو الفعل .

وأمـّا أهـلُ الشـّرك والأديـان الوضعيـة ، فقـد سـَلكَ مـعهم مسلكـًا يـعتمدُ هوَ الآخـر على الحـُجّة ومُخـاطبـة عـُقـولهم ، ومـع ذلك لم يـَتـَعَـدَّ عـليهم و لم يأمُرْ بقـتالهم إلاّ بعـد مـُناصبـتهم العـداءَ للمـُسلمينَ ، وبـذلهم كـُلَّ سـبـيلٍ لـِصَدّهمْ عـن ديـنهم ، أو مـنعهم حقّ مـنَ التـّمتـُّع بحيـاةٍ كـريمـةٍ .

وقـد ضَـربَ العـهدُ النبوي أروع َالأمـثلة فـي احـترام أصحـاب الأديـان وعـدمِ التـّضـييق عليهـم ، حتـىّ بلـغَ حـدُّ التـّسامُـح مـع الملل الكتابيـة خُـصُوصًا ـ حـدًّا لم يـَشـهـد لـه التـّاريخُ مـثـيلاً حتـىّ فـي هـذا العصـر ، ولا أدلَّ علـى ذلك مـنَ المـُعاهـدات التـي عقـدها النـّبيُّ صلىّ الله عليه وسلّم ، والتـي كانت بمثـابةِ الـدُّستـور الذي يَـكـفل حُـقوقَ المـُواطنة بالمـفـهُوم الحـديثِ ، وعـدم التـّعرُّضِ للخـُصـوصياتِ الـدّينـية ، مـادامـَتْ محُـافظـةً على الوضع العامّ للبلد ، غيرَ مـُتسبّبةٍ فـي الفـتنة أو الفَوضى ، والقـانونُ في ذلك يـَسري على الجـميع حتـّى على المُسلمينَ أنـفسـهم.[1]

وإذا رجـعنا إلـى القـرآن الكريم ، فـَسنجـدُ هـذا الأسـاسَ مـُقَرَّرًا في آياتٍ كثيرةٍ ولـنبدأ بـقوله تعالى : " لا إكـراهَ فـي الـدّينِ قـد تـبَيَّنَ الـرُّشدُ مـنَ الغَـيِّ فمنْ يـكفُر بالطـّاغُوتِ ويـُؤمن بالله فـقدِ استـمسكَ بالعـُروةِ الوُثقـى لا انـفصامَ لها واللهُ سمـيعٌ عليـمٌ "[2]

---

[1]- عـبد الـرّحمن عـزّام ، الـرّسـالة الخـالدة ، ط 2 ، المجـلس الأعـلى للشـّؤون الإسـلامـية ، القـاهرة ، 1384هـ - 1964 م ، ص 87.

[2]- البـقرة : 256.

وللآية سببُ نزُول ، وهو أنّ قَوماً منَ الأنصار،كان لهم أولادٌ قد هَوَّدُوهُمْ أو نَصَّرُوهُم ، فلمّاً جاء الإسلامُ أرادوا إكراهَهُم على الدُّخول فيه ، فنهاهُمُ اللهُ عن ذلك ، وتركَ لهم حُرّيّةَ الدُّخول أو عدمه في الإسلام.[1]

وهنا تطرحُ مُشكلةٌ جوهريةٌ ، ألا وهي : هلِ الآيةُ عامّةٌ وباقيةُ الحُكم أم أنّها مَرحليةٌ ، فإذا زالتِ الظُّروفُ المُصاحبةُ لها زالَ الحُكمُ ؟

يذهبُ الطّبري _ وذلك بعد أن ساق جُملةً من الآراء حول الآية _ إلى أنّها باقيةٌ على حُكمها وليست منسُوخةً بالإذن بالقتالِ.[2]

وممّا هو مُقرّرٌ في الشّريعة الإسلامية أنّ مبدأ عدمِ الإكراه في الدّينِ ثابتٌ في الشّريعة الإسلامية ، وأن ّما حدثَ في بعضِ مفاصل التّاريخِ من افتئاتٍ على هذا المبدأ يُعَدُّ حقيقةً شُذُوذًا عنِ الأصلِ، الذي يُقرّرُ أنّ للنّاسِ حُرّيّةَ الاختيار في أمُورِ العقيدةِ ، فلا نسخَ ولا قسرَ ولا تخصيصَ لأهلِ الكتابِ عمَّن سواهُم منْ أهلِ المِللِ.[3]

ولأنّ الدّين والاعتقادَ مسألةٌ قلبيةٌ ، فلا يَسُوغُ أن يُكرَهَ عليها المرءُ رغبةً أو رهبةً ، وإلاّ فلا طائلَ منْ ورائهَا ولا فائدةَ من خلالها ، ولِمَا سَيَتْبَعُ هذا الاعتقادَ منْ تبعاتٍ والتزاماتٍ ، فلكَ أن تتخيّلَ إنساناً أُجْبِرَ على فكرةٍ ما ثُمَّ أتِيحَ له أن يتملّصَ منها ،أو احْتِيجَ إليه في مواقفَ حاسمةٍ ، ترَى كيفَ سيكُون تعامُلُه مع هذه المواقفِ،إنْ لم يكُن مُقتنِعاً بدينه قلبًا وقالباً ؟ !

وفي هذا الصّدد يقولُ سيّد طنطاوي _ رحمه الله _ :" وجُملة " لا إكراهَ في الدّين " تنفي الإجبارَ على الدُّخول في الدّينِ لأنّهُ لا فائدةَ من وراءِ هذا الإجبارِ

---

1- الطّبري ، مصدر سابق ، م 3 ، جـ 3 ، ص 14.

2- المصدر نفسه ، ص 17.

3- تيسير خميس العمر ، حرّية الاعتقاد في ظلّ الإسلام ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، 1419 هـ- 1998م ، ص 222.

إذْ إنّ التـديـُّـنَ قـناعـةٌ قـلبـيّةٌ ، واتجّـاهٌ بالنـّفس والجـوارح إلـى الله ربِّ العـالمينَ بـإرادةٍ حـرَّةٍ مُخـتارةٍ ، فالإكـراهُ لا يـزيدُ النـّفسَ إلاّ نـفُورًا وكـرْهـاً فلا يمُـكـنُ أن يجـتمعَ مـع الإيمـان "[1]

وهـا هُـوَ القـرآنُ الكـريمُ يقولُ في موضـعٍ آخـرَ :" ولو شـاءَ ربـُّكَ لآمـَنَ مَنْ في الأرضِ كُلـُّهُم جميعـًا أفـأنتَ تـكرِهُ النـَّاسَ حتـّى يكـونُوا مـؤمنيـنَ ".[2]

والمـقصودُ بالآيـة : أنّ الإيمـانَ لا يكـونُ بالإلجـاء والقـسرِ ، وإنمَّـا يكـونُ بالاختيارِ والنـّظر[3]

ويقـولُ سيـّد قـُطب فـي معـرضِ تفـسيره للآيـةِ :" ولو شـاء ربـُّك لخـلَقَ هـذا الجنـسَ البشـريَّ خـلْقـةً أخـرى ، فـجعلـه لا يعـرفُ إلاّ طريقـًا واحـدًا هو طريقُ الإيمـانِ كالملائكـة مثـلاً ... ولكـنَّ حكمـةَ الخالـقِ اقـتضت خـلقـةَ هذا الكائـنِ البشـري باسـتعـدادٍ للخيـر والشـّرِّ والهـُدى والضـّلال، ومـَنحـتـْهُ القـُدرةَ علىَ اخـتـيارِ هـذا الطـّريقِ أو ذاكَ"[4]

كمـا لم يكـتفِ الإسـلامُ بمـُجرّد التـّنظيـر لهـذه المسألة ، بل ذهـب إلى أبعـدَ من ذلك ، عنـدما كفـلَ لغيـر المسلميـنَ حـقُوقَ العيـشِ الكـريمِ في ظـلال دولته ، ففي أمـور الـدُّنيا والـدّولة والاجـتماع والحضارة قد جعلَ اليهودَ جـزُءًا منَ الذّاتِ ، وذلك لأوّلِ مـرّةٍ فـي تاريـخ العلاقاتِ بيـنَ أهـلِ الأديـان ، فقـد عـاشَ اليهودُ مع المسلمينَ لهـُم ما لهـم وعليهـم ما عليهـم ، بيـنمـا كـانُوا مَطـرودينَ مـُضطـهدينَ فـي غيرِ بلادِ المسلميـنَ ، فلم يجـِدُوا غيـرَها مـَلاذًا ومـَلجـَئـًا.[5]

---

[1]- محـمّد سيـّد طـنطـاوي ، مـرجـع سـابـق ، جـ 1 ، ص 775.

[2]- يـونس : 99.

[3]- الـرّازي ، مـصدر سـابق ، م 9 ، جـ 17 ، ص 172.

[4]- سيـّد قـُطب ، فـي ظـِلال القـرآن ، ط 12 ، دار الشـّروق ، بيروت ، لبنـان ، 1986 م – 1406 هـ م 3 جـ 11 ، ص 1821.

[5]- محمـّد عـُمارة ، هـذا هـو الإسـلام ، ص 22.

بـَلْ أكثـرَ مــن ذلك فقـد كانَ أصحابُ الملل والنـِّحَلِ المـُختـلفةِ يتـمتـّعونَ بحـقِّ مُـارسـةِ شـعائـرهم الـدّيـنيةِ ، دُونَ مـَنعٍ أو اضطـهادٍ مـن أيِّ طرفٍ كـانَ .

وعـن هـذا الأمـرِ يقـولُ سيـّد أميـر علـي ، في كتابه روح الإسلام : " وفـي أيـّام المـأمـون(*) كـانت تـنتشرُ قُـرَابـةَ أحـدَ عـشرَ ألـفَ كـنيسـةٍ مسيحيـةٍ ومـئاتِ المعـابدِ اليـهودية ، وهياكلِ عبـادة النـّارِ ، وعـلاوةً على ذلك فقـد كـانَ مجـلسُ المأمون يضُمُّ مُمَـثـِّليـنَ عن جميع الأقـلـّياتِ الخـاضعةِ لحـُكـمهِ ... وكـانتِ الحـُقـُوقُ والامتيازاتُ الكهنوتية المسيحيةُ مـَضمـُونـةً ومـُنـَظـَّمـَةً "(1).

وأمـّا مـا حدثَ هـُنا أو هُنـاك ، عبـر مـراحلَ تاريخـيـةٍ مُخـتـلفةٍ فلا يعـدو أنْ يكـُونَ ممُـارسات أنـاسٍ أعـْمـتْهُمُ العـصبـيةُ ، فاعـتدَوا على الغيـر اتّباعا لأهوائهم ولـيس ديانـةً ، أو كـانت وليـدةَ ظـُروفٍ سيـاسيـةٍ مـُعـيّنة ، أو خُروقاتٍ حدثت مـن أصحاب الأديان الأخرى و الذينَ يعيـشُـونَ تحـت مظلـّة دولـة الإسلام ، وينعمُونَ فيـها بالأمـان فـتـُسوّلُ لهـم أنـفـسُهُم إحـداثَ البلبـلةِ ونشرَ الفوضىَ ،ممـّا حـدَا بالحُـكـّامِ فـي بعـضِ الحـالاتِ إلـى سـَنِّ قـوانينَ رادعـةٍ حتـّى لا ينـفَلِتَ عِقدُ الأمـان وتـَعُمّ الفـوضىَ .

هذا وإن في القرآن الكريم مواضع عديدة تدل على هذا الأساس وتخدم هذا المعـنى ، ، إلا أننـَا ارتأينـا أن نكتـفي بآيـةٍ أو اثنتـَين ، نختـمُ بهمـا الحـديث عن هـذه الجـُزئيـةِ .

- يقـُولُ الحـقُّ سبحـانه : "فـَذَكـِّر إنَّمـا أنتَ مُذكـِّرٌ لستَ عليهم بمـُصيطرٍ "(2)

---

(*) المأمـونُ أبو العباس عبد الله : مـن خـلفاء الـدّولة العبـّاسيـة ( 170 – 218 هـ / 786 – 833 م ) ، نـشطت في عهده حركة التـرّجمة والانفتاح على مخـتلف الثـّقافات ، معتـزلي المذهب . ( ياسين صلواتي ، مرجع سابق ، جـ 7 ، ص 3114 – 3115 ) .

1- سـيّد أميـر علـي ، رُوح الإسـلام ، تعـريب : عـمر الـدّايـْرَاوي ، ط 1، دار العلـم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1961 م ، ص 264 – 265.

2- الغـاشـية : 21.

ومعناها: داوِمْ على تذكيرهم بالحقّ، دُونَ إجبارٍ أو تَسلُّطٍ عليهم، وإنّمَا ينتهي دورك بالتّبليغ، وأمّا المُحاسبةُ والجزَاءُ، فأمرُه إلى الله تعالى وحدَهُ دُونَ سِوَاهُ.[1]

ويذهبُ العلاّمةُ الطّاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ إلى أنّه لا نسخَ لحُكمِ هذه الآياتِ بآياتِ الأمرِ بالقِتَال، وذلك لأنّ إيجابَهُ جاء بعد تسلسُلِ حوادثِ الاعتداءِ المتكرّر الذي كان البادئُ فيه همُ المُشركونَ، الذين أخرجُوا المسلمِين مِن ديارهم وسَلبُوهُم أموالهُم واضطَهَدُوهم أيّما اضطهادٍ فكان الإذنُ بالقِتالِ، وذلك بعدَ وُصولِ الوَضْعِ إلى حدٍّ لا يُطاقُ مِنَ التّضْيِيقِ والأذى والتّشريدِ،وكلّ أساليب التّنكيلِ وفُنونه، ولوْ حدثَ ذلك مع أيّ شخصٍ كان، لم يكُنْ لِيَنتَظِرَ طِيلَةَ هذه المُدّة حتّ يرُدّ الصّاعَ صاعَيْنِ، بلْ إنّ الصّحابةَ كانوا يأتُونَ إلى النّبي صلىّ الله عليه وسلّم طالبِينَ منه الإذنَ لهمْ بالدّفاع والمُواجهة إلاّ أنّه كانَ في كُلّ مرّةٍ يدعُوهُمْ إلى الصّبرِ وعدم الاسْتعجالِ، حتّى نزلَ الإذنُ بالقتَالِ عَن طَرِيقِ وحْيِ السّمَاءِ، وبذلك فهو قتالُ دفاعٍ لا قتالُ هُجُومٍ.[2]

والإسلامُ قد أعطى الفُرصةَ لمن أرادَ أن ينتَسِبَ إليه، دُونَمَا إكراهٍ أو ضغطٍ أو فرضَ عليه أن ينسلخَ من ديانَتِه، فلا خيرَ في كلمةٍ ينطقُ بها اللّسانُ زُورًا ويكفُرُ بها القلبُ، وهذا الإقرارُ على حرّيّة الاعتقادِ يجْعلُ الإنسْانَ في كاملِ أهلْيِتّهِ للتّصرُّف، ويُلقي عليه

---

[1] - الطّبري، مصدر سابق، م 15، جـ 30، ص 166.

[2] - محمّد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م جـ 30، ص 307.

مَسْؤُولِيَّةَ اختِيارِه ، هذه المَسْؤُولِيَّةُ التي تنتفِي عندَ وُجُودِ الإكراهِ.[1]

ونختمُ المبْحَثَ بقَولِهِ تعالَى : " قُلْ يا أيُّها الكافِرُونَ لا أعبُدُ ما تَعبُدُونَ ولا أنتُمْ عابِدُونَ ما أعبدُ ولا أنا عابدٌ ما عَبدتُّم ولا أنتُم عابِدُونَ ما أعبُدُ لكُمْ دينُكُمْ وليَ دينِ".[2]

فالآيةُ واضِحةُ الدّلالَةِ على أنّهُ لا سُلطانَ لأحَدٍ علىَ آخرَ في مجال العقائدِ والأديان ، وإنّما السُّلطانُ للحُجّة والبُرهان .

**المبحثُ الرّابع : تَهيئةُ الظُّرُوف المُناسبة للحوار :**

يستحيلُ أن يكونَ الإنسانُ تحت ضغطٍ ، أيًّا كان فكريًا أو نفسيًا أو حتّ جسديًا ، ثُمّ تجدُه بعد ذلك قادرًا على الإدلاءِ برأيٍ راجحٍ أو الدُّخُولِ في حوارتٍ مصيرية تتعلّق بالعلاقات الشّديدةِ الحساسيةِ والتي تحتاجُ إلى التثبُّتِ ومعرفةِ كيفيةِ التّعامُل مع مُختلف الحالاتِ .

ومن ثَمَّ كان لزامًا على المُنتصبينَ لمِثلِ هذه الفعاليات ، أن يُساعِدُوا على توفير الأسباب ، وتهيئةِ الأجواء المُساعدةِ على بَسطِ كلّ طرف رأيه في جوٍّ من الحُريّة ، بعيدًا عن الانفعال والصّور النّمطيةِ ، والاستفزاز الذي ينحو بالحوار منْحىً آخر، لا يخدُمُ الأهدافَ المَنُوطَةَ به .

والمنهجُ القُرآنيُّ في هذا الباب واضحٌ ، فليس لأحدٍ أن يترفَّع أو ينأى بنفسه عن حوار الآخرين مهما عَظُمَ قدرُه ، وقلّت أقدارُ الآخرين ، " فقد تحاورَ اللهُ عزّ وجلّ مع الشّيطانِ ،كما تحاورَ مع الملائكةِ ، كما أنّ دعواتِ الرُّسُلِ عليهم السّلام كانت محكُومَةً بالحوار مع أقوامهم".[3]

---

[1]- عائشة عبد الرّحمن ، القرآن وقضايا الإنسان ، د ط ، دار المعارف ، القاهرة ، د س ن ، ص 95 - 96 .

[2]- الكافرون : 1 – 6.

[3]- محمّد عبد اللّطيف رجب عبد العاطي ، منهجية الحوار في القرآن الكريم ، مجلة الشّريعة والقانون العدد : 35 ، رجب 1429 هـ - جويلية 2008 م ، ص 189.

ولنرجعْ إلى القرآن الكريم ،لنرَى كيف تعاملَ مع القضيةِ ، ونبدأ بقوله تعالى :" قلْ إنّما أعظُكُم بواحدَةٍ أن تقُومُوا لله مثْنَى وفُرَادَى ثمَّ تتَفكَّرُوا ما بصاحبِكُم من جنَّةٍ إنْ هُوَ إلاّ نذيرٌ لكُم بينَ يدَيْ عذابٍ شديدٍ "(1)

والآيةُ خطابٌ موَجَّهٌ إلى مشركي العربِ ، فقد طلبتْ منهُم أن يتفكّرَ كُلٌّ منهُم على حدَةٍ أو مجْتمعًا مع غيره في حالِ محُمّدٍ صلىّ الله عليه وسلّم ، فتقولُ : هل عرفتُم عنهُ قبلَ إتيانه بهذا الدّينِ جنُونًا أو اختلالاً في العقلِ ؟ وإنّكُم إذا جرّدتمُ التّفكيرَ وأبعدتمُ التّعصُّبَ واتبعتمُ الحقَّ فستعلمُونَ يقينًا بأنّهُ جاءكُم نذيرًا ، وأنّه صادقٌ في دعوتهِ كما عرفتُم حالَهُ قبلَ النُّبُوَّةِ.(2)

كما نجدُ اهتمامًا بضرُورةِ الوُضوح في عرضِ الآراءِ ، والمنُاقشةِ العلنيةِ ، أمام مرَآى الجميعِ ففي الآيةِ يقولُ اللهُ عزّ وجلّ : " قال موعدُكُم يومُ الزّينَةِ وأن يحُشرَ النّاسُ ضُحىً ".(3)

والآيةُ حكايةٌ عن موقفِ موسى عليه السّلام مع فرعونَ وقومه ، ورغم أنّ هذا الأخيرَ استفزَّ موسى وسَفَّهَ رأيَهُ ، وطلبَ هو االمُناظرةَ ، فقد كان القبولُ منَ النّبيّ ، بل ذهبَ إلى أبعدَ من ذلك حينما طلبَ أن يكُونَ اللّقاءُ مَشهُودًا ، يجتمعُ فيه أكثرُ عددٍ ممُكنٍ من النّاسِ ، وأن يكونَ الزّمانُ ضُحىً عندما يخرُجُ النّاسُ إلى يومِ عيدِهم ، فيكونونَ بذلك متُفَرِّغينَ دُونَ شَواغلَ ، وفي هذا قمّةُ الوُضُوح والعمل على عرض الرأي بعيدًا عن أيّةِ تشنّجاتٍ أو حسابات ضيّقةٍ .

---

1- سبأ : 46.

2- الطّبري ، مصدر سابق ، م 12 ، جـ 22 ، ص 104 – 105.

3- طه : 60.

وحتىّ الأحكــام التي يـُطلقــُها القــُرآنُ الكــريمُ على أهل الأديان ، ليست دائمًا في نفس المــُستــوى فقــد تجــدُ التــّعبيــرَ بمــا يــُفيدُ البــعض َدونَ الكــُلِّ ، أو تجــُده يـُسَلِّطُ الضــَّوءَ على قــضيــّةٍ بــعينــها دون سِواها فتــجدُه مثــلاً يقولُ : " ومِنْ أهلِ الكتابِ " أو يقــُولُ : " ومِــنــهُم " ، وفــي هــذا قــِمــّةُ الإنــصافِ وعــدمُ التــّعصــّبِ ، فهوَ يــَنــشُدُ الحــقَّ ، وليــست معركــتُه مع الأشــخاص ، ولا يحكــُم على الكــُلِّ بجِــَريرَةِ البعــضِ .

أضــِفْ إلى ذلك أنــّه لا يــُغفــِلُ الجــوانبَ الحــسنــةَ عــندهُم، فيــذكرها، ويــُبــَيِّنُ فــي كثيــرٍ منَ المــواضِــعِ أنّ مــنهُم مــَن يــتّــصِفُ بمــحاسن الخــُلق، والأمانــة ...

وبهــذا يكــونُ القــرآنُ ، قــد وضــعَ الأساسَ للمُحاورِ بــأنْ يــبتعدَ عن كــُلِّ مــا مــن شأنــهِ أن يــُثيــرَ النــّعرات ، أو يــُهَيــّجَ العصبــيّاتِ القــبليــة ، بل يــُوجِبُ عليه أن يلتــزمَ الأدبَ الــرّفيــعَ ، فلا يــستفــزَّ الطــرفَ الآخــر بالســُّخريــةِ أو الشــّتــمِ ومــِصداقــًا لهــذا يقول الحــقُّ ســُبحانــه :" ولا تــَسُبــُّوا الذينَ يــَدعُــونَ مِن ْدُونِ اللهِ فــيــَســُبــُّوا اللهَ عــَدْوًا بغيــرِ علــمٍ " .[1]

يقول الــرّازي فــي معــرضِ تفــسيــره للآيــةِ :" وهــُوَ تــنبــيهٌ على أنّ خصمَكَ إذا جــاهلــكَ بالجــهلِ والســَّفــاهــةِ والشــّتمِ ، فــلا يجــوزُ لك بحــالٍ مــن الأحــوالِ أن تنــزلَ إلــى مــُستــواه وتــُبــادِلــَهُ المــُشــاتمــةَ والســَّفــَهَ فذلك ممــّا لا يليــقُ بالعــُقــلاءِ ".[2]

وهــذا فــي الحــقيقــةِ تأصيــلٌ رائــعٌ لمبــدأ البــُعدِ عن التــّوتــُّر، وضرورة تبادلِ الآراءِ بطــريقــةٍ حــضاريــةٍ تجعــلُ الكــُلَّ يتــحاورُ بعيــدًا عن أيّ ضــيقٍ أو حــرجٍ فــي وقــتٍ كــان العــربُ قبــل نــُزولِ القــرآن الكــريم، يخُوضُــون الحروبَ الضّارية لأتــفــهِ الأسبــابِ .

---

[1]- الأنــعام : 108.

[2]- الــرّازي ، مــصدر ســابق ، م 7 ، جـــ 13 ، ص 146.

وينبغي ألاّ يتأثّرَ المُحَاوِرُ بثقافتهِ ومَورُوثهِ الاجتماعي ذلك التأثُّرُ الذي يجعلُه حريصًا على إرضاء رغباتِ مجُتمعهِ ، غيرَ مُراعٍ في ذلك استقلاليتَهُ الفكريةَ واتّباعَهُ للمنهجِ الصّحيحِ ، فإنّ من أبرز المُعضِلاتِ التي عالجها الإسلامُ في بدايةِ الدّعوةِ ، قضيّةَ تشبُّثِ الناس بما وَجَدُوا عليه آباءهُم.[1]

**المبحثُ الخامس : عدمُ التّعصُّب لفكرةٍ مُسبقةٍ والتّسليم بالحقّ أينما ظهر:**

وهذا من الأسُسِ التي لا يمكن أن يستغنيَ عنها المحاور، فما لم تُنزع الأحكامُ القبليةُ والصُّورُ النّمطيةُ ، وتكونَ النّيّةُ صادقةً للوصول إلى الحقِّ والتّفاهُم على أرضيةٍ مُشتركةٍ، فإنّه يستحيلُ أن تسير الأمُورُ على نحوٍ مرغُوب، بل سينقطعُ حبلُها منَ البدايةِ.

ولذلك فإنّ القرُآنَ الكريمَ يُريدُها دعوةً بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ و يدعو النّاسَ جميعًا إلى تكوينِ وحدةٍ إنسانيةٍ لا ظالم فيها ولا مظلومَ وأن يجتنبَ الجميعُ أسبابَ النّزاعِ والشّقاق، وإنّما يُركّزُونَ على الأمُورِ المُشتركة، مُبتعِدينَ في ذلك عن السّبابِ والشّتائم والتُّهمِ المُتبادَلةِ.[2]

و في هذا الصّدد نجدُ قولَه تعالى :" وإنّ مِنْ أهلِ الكتابِ لَمَنْ يُؤمنُ باللهِ وما أنزِلَ إليكُم وما أنزِلَ إليهم خاشِعِينَ للهِ لا يشترُون بآيات الله ثمنًا قليلاً أولئك لهُم أجرُهُم عند ربّهم إنّ اللهَ سريعُ الحسابِ ".[3]

---

1- محمّد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن ، د ط ، دار المنصوري للنّشر ، قسنطينة ، الجزائر ، د س ن ، جـ 1 ، ص47.

2- عبد العظيم إبراهيم المطعني ، مرجع سابق ، ص 105 – 108.

3- آل عمران : 199.

وقد رجّح الطّبري الرّأيَ القائلَ بأنّ المقصودَ بأهل الكتاب في الآية أهلُ الكتاب جميعًا، فالآيةُ لم تُخَصِّصِ النّصارى دُونَ اليهودِ، ولا اليهودَ دُونَ النّصارى.[1]

وذِكرُ الآيةِ للبعضِ دُونَ الآخرِ، بيَانٌ بأنّ أهلَ الكتابِ ليسُوا جميعًا على نفسِ الشّاكلةِ، من نبْذِ الميثاقِ وتحريفِ الكتابِ، وغيرِ ذلك منَ الهنَّاتِ التي اشتهرُوا بها ونُسبتَ إليهم، بل منهُم منْ لهُ مناقبُ جليلةٌ، وسيَرٌ حَميدةٌ.[2]

وفي الآيةِ دَلالةٌ جليَّةٌ على ضَرورة الابتعادِ عن الأحكامِ المُسبقة، وعدمِ مُؤاخذةِ الكُلِّ بأخطاءِ البعض، بلِ التّعامُلُ مع كُلِّ طرفٍ حسبَ أفكارهِ وآرائه.

وحتّ إن كانَ المُحاورُ يعتقدُ أنّهُ على الحقّ اليقين، فإنّهُ يَحسُنُ بهِ أن يتواضعَ، ويحترمَ ما يحملهُ الآخر منْ أفكارٍ ومبادئَ، وفي هذا يقولُ الحقُّ سُبحانهُ :" قُل من يرزقكُم منَ السّماواتِ والأرضِ قُلِ اللهُ وإنّا أوْ إيّاكُم لعلىَ هُدًى أو في ضَلالٍ مُبينٍ لا تُسْألُونَ عمَّا أجرْمنَا ولا نُسْأَلُ عمّا تعملُونَ ".[3]

والمعنى : قُلْ يا مُحمّد للمُشركينَ : أحدُ الفريقينِ منّا على هُدًى والآخرُ على ضَلالٍ، وهذا غايةٌ في التّواضُعِ وعدمِ الاعتدادِ بالرّأي، كما أنَّ المُؤمنينَ نَسَبُوا الإجرامَ إلى أنفسهم في الآيةِ والعملَ إلى غيرهم، وهو أيضًا استعدادٌ مُسبَقٌ لقَبُولِ نتائجِ الحوار، واحترامٌ جَمٌّ للآخرِ.

[1] - الطّبري، مصدر سابق، م 3، جـ 4، ص 218.
[2] - الألوسي، روح المعاني، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415 هـ - 1994 م م 2، جـ 4، ص 383.
[3] - سبأ : 24- 25.

يقُولُ الرّازي : " وفيها إرشادٌ منَ اللهِ لِرَسُولِهِ إلى المُناظَراتِ الجاريةِ في العُلُومِ وغيرِها ، وذلك لأنّ أحَدَ المُتَنَاظِرَيْنِ إذا قال للآخر : هذا الذي تقولُهُ خَطأ ، وأنتَ فيه مُخطِئٌ يُغضِبُهُ ، وعندَ الغضبِ لا يبقى سدادُ الفكرِ ، وعند اختلالِه لا مَطمعَ في الفَهمِ فيفُوتُ الغَرَضُ ، أمّا إذا قال لهُ : بأنّ أحدَنا لا يشُكُّ في أنّهُ مُخطِئٌ والتّمادي في الباطلِ قبيحٌ والرُّجُوعُ إلى الحقّ أحسَنُ الأخلاقِ .... فإنّهُ يجتهِدُ ذلك الخصمُ في النّظرِ ويترك التّعصُّبَ ".[1]

والقرآنُ الكريمُ بذلك ، قد أوجبَ على أصحابه أن يُبَلّغُوا الدّعوةَ على أحسنِ وجهٍ ، وأن يَطرحوا أفكارَهُم بعيدًا عن التّعصُّبِ ، كما دعا إلى ضرورة تفهُّم الخُصوصياتِ الفكريةِ والحضاريةِ للآخرين ، وبعد ذلك كلّهِ القَبولُ بنتائجِ الحوار، مهما كانت إذا لم تنحرِف عنِ المسارِ الصّحيح ، ويُرادَ بها غيرُ الحقِّ .

## المَبْحثُ السّادِسُ : مَبْدأُ التّكْريمِ الإلهيِّ للإنسَان :

إنّ منْ أبرزِ المبادئِ التي قرّرها القُرآنُ الكريمُ ذلكم المبدأ العظيمُ والذي يجعلُ قيمةَ الإنسانِ عاليةً بغَضِّ النّظرِ عن دينه أو عِرقهِ أو لونه ... .ثُمّ جعلَ معيارَ التّفاضُلِ إنّمَا يُقاسُ بما قدّمَهُ الإنسانُ مِنْ عَملٍ واتّقى ربّهُ.

فالإنسانُ حسبَ الفلسفةِ القُرآنيةِ مخلوقٌ مُكرّمٌ ، وليس لأحدٍ أيًّا كان أن يُجرّدَهُ منْ كرامتِه التي يستوي فيها المُسلمُ ، وغيرُ المُسلمِ منْ أهلِ الأديانِ الأخرى ، أومَن لا دينَ لهُ ، فالكرامةُ

---

[1]- الرّازي ، مصدر سابق ، م 13 ، جـ 25 ، ص 258.

البشريّةُ حقٌّ مُشَاعٌ يتمتّعُ به الجميعُ دُونَ استثناءٍ ، وتلك ذُروةُ التّكريم والتّشريف.[1]

وليس أدلَّ على ذلك مِنْ قولِ الحقِّ سُبحانَهُ:" ولقد كَرّمنَا بني آدمَ وحَملناهُم في البَرِّ والبَحْرِ ورزقناهُم مِنَ الطّيّبَاتِ وفَضّلناهُم على كثيرٍ مِمّن خلقنا تفضيلاً ".[2]

والمعنى مِنَ الآيةِ: " جعلناهُم قاطبةً بَرَّهُم و فاجرَهُم ذَوي كَرَمٍ ، أيْ شَرَفٍ ومحَاسِنَ جمّةٍ ، لا يُحيطُ بها نِطاقُ الحَصْرِ ".[3]

ويقولُ الشّيخ محمّد أبو زهرة في هذا السّياقِ : " وإذا كانتِ الرّسالةُ المُحَمّديّةُ بهذا العُمُومِ ، فإنّها لإصلاحِ الجميعِ ، ولقد عاملتِ الأجناسَ كُلَّهَا وعَمَّمَتْ فيهم أحكامَها ، فليس هُناك أحكامٌ للبيضِ وأخرَى للسُّودِ ، ولا أحكامٌ لِشَرْقِ الأرضِ وأخرى لِغَربِها .... ولقد بيّنَ اللّهُ سُبحانهُ وتعالى أنَّ أصْلَ التّكوينِ الإنسانيّ واحدٌ ، وأنّ الطّبيعةَ الإنسانيةَ واحدةٌ فيجِبُ أن تكُونَ المُعاملَةُ الإنسَانيّةُ واحدةً ، والتكليفَ واحدًا ".[4]

فإذا كان المُسلمُ يؤمنُ بهذا المبدأ ، فإنّ إيمانَهُ هذا سينعكسُ بالضّرُورَةِ على مُعاملتهِ للآخرِ ، فهُوَ يرى فيه ذلك الإنسانَ المُكَرّمَ بالجِبلّةِ ، وبالتّالي يُمكنُ مُناقشَتُهُ ، ومُحاورتُهُ وعَرْضُ ما لديه في جوٍّ مِنَ الإخاءِ الإنسانيِّ العامّ.

---

[1]- عبد العزيز بن عثمان التّوجري ، الحوار من أجل التّعايش ، ط 1 ، دار الشّروق ، القاهرة مصر ، 1419 هـ - 1998 م ، ص 127.

[2]- الإسراء : 70.

[3]- الألوسي ، مرجع سابق ، م 8 ، جـ 15 ، ص 112.

[4]- محمّد أبو زهرة ، المجتمع الإنساني في ظلّ الإسلام ، ط 2 ، الدّار السّعودية للنّشر والتّوزيع ، السّعودية ، 1401 هـ - 1981 م ، ص 49 – 50.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والإسلامُ كما هو معروفٌ، يطلُبُ مِنْ أتباعه بكُلِّ صراحةٍ ووضُوحٍ الاعترَافَ بالأديانِ السّماويّةِ التي سبَقَتْهُ، ويدعُو الفَريقَيْن إلى ضَرُورَةِ التّنافُسِ في الخَيْرَاتِ، والتّفاعُلِ الثّقافي المُثمرِ، فيَعْرِضُ كُلٌّ ما لديهِ، مع الاحترامِ والتّعامُلِ الحضاري الرّاقي، ويَترُكُ المجَالَ بعد ذلك للحُجّةِ والبُرهان.[1]

والثّابتُ عبر مراحل تاريخيّةٍ مُختلفةٍ أنّ اللّقاءَ كان مُستَمِرًّا بينَ العالمَيْنِ الإسلاميّ والأوربي، وقد دام هذا اللّقاءُ على أرضِ أوربا نَفسِها أكثرَ مِنْ سبْعةِ قُرُونٍ ، وتَرَكَ بَصْمَةً ظَاهِرةً على الحياةِ الثّقافيةِ الأوربيةِ ، وهذا أبرزُ دليلٍ على قُدرةِ الإسلامِ على التّواصل مع الآخرِ و توصيلِ المعارفِ والعُلومِ والثّقافةِ إليه.[2]

فلولا هذا الأفُقُ الواسع في تَقَبُّلِ الآخرِ ، لمَا حدَث هذا التّلاقُحُ الفكريّ والتّواصُل الحضاريّ .

---

1- محمود حمدي زقزوق ، الإسلام وقضايا الحوار ، ترجمة : مصطفى ماهر ، د ط ، القاهرة مصر ، 1423 هـ - 2002 م ، ص 38 – 39.

2- محمّد عبد اللّطيف رجب عبد العاطي ، مرجع سابق ، ص 189.

# الفصل الثاني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الفَصْلُ الثّاني : الأسُسُ القُرآنيّة أثناءَ الحوار :

تحدّثنا في الفصلِ السّابقِ عنِ الأسُسِ التي وضعَها القُرآنُ الكريمُ حتّى يتّبعَها المُسلمُ قبلَ أنْ يدخُلَ في حواراتٍ دينيةٍ أو ثقافية ، وذلكَ الجانبُ يُمكن اعتبارُهُ جانبًا نظريًّا، ولذلك لم يكْتَفِ القُرآنُ بالتّنظيرِ بلْ قعّدَ القواعدَ، وأصّلَ الأصُولَ لبَيَانِ كيفيةِ التّعامُلِ مع المُختلِفِ تطبيقًا، حتّى لا يَبْقَى الحوارُ مُجَرَّدَ شعَارٍ، وهذا ما سنُحَاوِلُ عَرْضَهُ في هذا الفَصْلِ .

**المبحَثُ الأوّل : الانطلاقُ منَ المُشتركِ :** ممّا لا شكَّ فيهِ أنّ القُرآنَ الكريمَ بإقرارِهِ لمبدأِ الكَرامةِ الإنسانيةِ العامّةِ، واحترامِهِ للنّاسِ جميعًا على اختلافِ مَشاربهِم، قد وَضعَ الأساسَ المَتينَ لبناءِ علاقاتِ التّعاوُنِ ونَشْرِ المَبادِئِ السّاميةِ التي تُقرُّها جَميعُ الدّياناتُ، والسّعي في نشْرِ الخيرِ والسّلامِ، ومُحارَبَةِ الرّذيلَةِ والجَريمةِ والظُّلمِ والتّمييزِ العُنصُري... وغيرِ ذلك منَ القضايا المُشتركةِ في خدمةِ الإنسانيةِ جَمْعَاءَ .

يقُولُ مُحمّد الطّالبي عنِ هذه الفكرةِ :" والهدفُ منْ إقامةِ حوَارٍ إسلاميٍّ مسيحيٍّ، هُو مُحَاوَلَةُ خلْقِ جَوٍّ منَ التّفاهُمِ والتّحَاوُرِ بينَ الأديانِ الثّلاثةِ المُنحدِرةِ منْ إبراهيم، نَخْرُجُ بهِ عَنْ جَوِّ المُجَابَهاتِ والصِّداماتِ، وذلك لأنّ مَسؤولياتِ المُعتقِدِينَ في هذا العالم الحديثِ عظيمَةٌ، وثِقَلَهُمُ البَشَرِيُّ هامٌّ جدًّا ".[1]

هذا وقد ذكَرَ القُرآنُ الكريمُ هذا المَبدأَ في قولهِ تعالى :" قُلْ يَا أهلَ الكتابِ تعَالَوْا إلَى كَلِمةٍ سوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُم ألاّ نَعْبُدَ إلاّ اللهَ ولا نُشْرِكَ بهِ شَيْئًا ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ فإنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بأنَّا مُسلِمُونَ ".[2]

[1] – محمّد الطّالبي، عِيَالُ الله، د ط، دار سراس للنّشر، تونس، 1992 م، ص 152.

[2] – آل عمران : 64.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد رَكَّزتْ هذه الآيةُ على ضَرُورَةِ طَرْحِ القضايا المُشتركةِ، وينطلقُ هذا الأسلُوبُ مِنْ حيثُ المَبْدأ على الفكرةِ العامَّةِ، دُونَ الدُّخُولِ في التّفاصيل.[1]

و سَنُحاولُ في هذا المقَامِ أن نُفَصِّلَ الحَديثَ عن الآيَةِ المَذكُورَةِ مِنْ عدَّةِ جوانبَ، مِن حيث: أطرافُ الحوارِ، موضُوعُهُ، ونَتائجُهُ.

**أ_ أطراف الحوار** : إنّهُ لمّا كانَ الحوارُ المَقصُودُ في الآيَةِ مُنْصَبًّا علىَ مَوضُوعِ العَقائِدِ والأديان ، فقد ركّزَتْ على أهلِ الكتابِ وبيَّنَتْ موقفَ الإسلامِ مِنهُم، وخاصّةً في مثلِ هذهِ القضايا .

وبدايَةً : فمُخاطبَةُ القَومِ : " بأهلِ الكتابِ " اعترَافٌ ضِمنيٌّ بهم وإعْلاءٌ لِشأنهِم، وتَذكيرٌ لهُم بأصلِهِمْ وانتمائِهم لرِسالَةٍ سماويةٍ كريمَةَ .

وعن هذا المعنىَ يقُولُ الرّازي :" وهذا الاسمُ _ أهلُ الكتابِ _ مِنْ أحْسَنِ الأسماءِ وأكمَلِ الألقابِ، حيثُ جعَلَهُم أهْلاً لكتابِ الله ... فإنَّ هَذَا اللّقبَ يدُلُّ علىَ أنّ قائلَهُ أرادَ المبُالغَةَ في تعظيمِ المُخاطَبِ، وفي تطييبِ قلبِهِ، وذلك إنّما يُقَالُ عندَ عدُولِ الإنسانِ مع خصمهِ عنْ طريقَةِ اللّجَاجِ والنّزَاعِ إلى طَريقَةِ طَلبِ الإنْصَافِ ".[2]

هذا ولْمْ تُخَصِّصِ الآيَةُ ناسًا مُعيّنِينَ، بلْ هِيَ عامّةٌ في أهلِ الكتابِ، وذلك ما رَجّحَهُ الطّبري حيث ذكَرَ بأنَّهُ لا دليل يَقْوى علىَ تخصيصِ أحدهما على الآخرِ، فكانَ الواجِبُ أن يكُونَ كلُّ كتابيٍّ مَقْصُودًا بالآيةِ.[3]

**ب _ مضمُونُ الحِوَارِ ومُحتَوَاه** : وحتّى يكُونَ الحوارُ بنَّاءً وهادفًا، فقدْ ذَكرَتِ الآيَةُ عناصِر مُحَدَّدَةً تَضْبطُ إدَارتَهُ، وتُساعِدُ على المُضِيِّ بهِ قُدُمًا إلى تحقيقِ الأهدافِ المَرجُوَّةِ منهُ، ومِنْ أهَمِّ ما تطرَّقتْ إليهِ الآيةُ نذكرُ:

---

[1] – محمّد حسين فضل الله، مرجع سابق، جـ 1، ص 127.

[2] – الرّازي، مصدر سابق، م 2، جـ 4، ص 94.

[3] – الطّبري، مصدر سابق، م 3، جـ 3، ص 302 – 303.

1. **الاتّفاقُ على قَدرٍ مُشتركٍ** : إذْ لابُدَّ مِنْ وَضعِ أرضيّةٍ ينطَلِقُ
منها الجميعُ، وتكونُ محلَّ اتّفاقٍ بينهُم، ففي قولِه تعالى:" قُلْ تعَالَوْا " دَعوَةٌ تحمِلُ الكثيرَ منَ المعاني:

- فمُجرّدُ القولِ وتبادُلِ الحديثِ، يُعَدُّ كَسْرًا لِحَاجزِ النّزَاعِ ، وهو الخُطوةُ الأولى في أيِّ حوارٍ، فما دامَ هُناكَ قولٌ مِنْ طَرَفٍ، فَقَوْلٌ آخرُ بالمُقابلِ سَيُطرَحُ ولو كانَ مُناقِضًا، وهذه الصّيغَةُ قد تَكَرَّرَتْ في القُرآنِ الكريمِ كثيرًا، فقد تأتي بِصيغَةِ الأمرِ :" قُلْ "، أو الماضي " قالَ "أوِ المُضارعِ " يَقُولُ "، كما أنّهَا وَرَدَتْ بمُختلَفِ التّصريفَاتِ المُفرَدَة أو الجمعِ وغيرِها، وهذا يحملُ مِنَ الدّلالَةِ ما لا يخفَى على عاقلٍ .
- الدّعوةُ إلى اللّقاء، تخَلٍّ عَنِ التّكَبُّرِ واتّصافٌ بالتّواضُعِ الذي يسهُلُ معهُ الوُصُولُ إلى نتيجَةٍ إيجَابيَّةٍ منَ الحوارِ.

2. **العَدلُ وعَدَمُ الحَيْفِ** : وأثناءَ تبادُل الآراءِ والتّحاوُرِ، ذَكَّرَتِ الآيَةُ الكريمَةُ بضَرُورَةِ الالتزَامِ بالعَدْلِ، وإعطاءِ كُلِّ طَرَفٍ حقَّهُ مِنَ التّعبيرِ عنْ رأيِهِ وأفكارِهِ دُونَ إكْرَاهٍ أو تشنيعٍ أو تَضييقٍ .

كما أنّ معنَى الآيَةِ فيهِ دَعْوَةٌ للمُتَحاوِرِينَ أنْ يتَّفِقُوا على كَلِمَةٍ مُنْصِفَةٍ لا مَيْلَ فيها لأحَدٍ على آخرَ، و السَّواءُ المذكُورُ في الآيَةِ هُو العَدْلُ والإنصافُ، ولأنّ حَقيقَةَ الإنصافِ هُوَ إعطاءُ النِّصفِ ، ومِنْ مُستلزَمَاتِ ذلك، العَدْلُ والتّسويَةُ.[1]

**جـ_ الجانبُ العَقَديُّ** : فقد ركَّزتِ الآيَةُ على مَبدأٍ جاءَتْ بهِ جميعُ الرُّسُلِ، ودعا إليه أنبياءُ اللهِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إلى مُحَمّدٍ عليهِم صَلَوَاتُ اللهِ

[1] – الرّازي، مصدر سابق، م 2، جـ 4، ص 94.

جميعًا، ذلكُمُ المبدأُ هُو مَبدأُ : " أنْ نُوَحِّدَ اللهَ فلا نَعبُدَ غَيرَهُ، ونَبْرَأ مِنْ كُلِّ مَعبُودٍ سِواهُ، فلا نُشرِكَ بِهِ شَيئًا ".[1]

وهُنا نجدُ أنّ الآيَةَ قد نَبَّهَتْ إلى ذلك الانحرافِ الذي حدَثَ في مَسَارِ الأديانِ السّابقَةِ، وحمّلَتْ رِجالَ الدّينِ المَسؤوليّةَ الأكبر في هذا الانحرافِ حيثُ خلَعَتْ عنهُم تلكَ الهالةَ، وذلكُمُ التّقديسَ والسُّلطةَ الكهنوتية التي استغلُّوا بها ضَعفَ عقُولِ الأتباعِ ، فأحَلُّوا لهُمُ الحَرَامَ، و حَرَّمُوا عليهِمُ الحَلالَ وشَرَعُوا لهُم ما شَرَعُوا، باسْمِ الرّبِّ، وهُو منهُم بَرَاءٌ فَغَيَّرُوا بذلك الوَجهَ المُشرِقَ للدِّينِ الذي جاء مُحَرِّرًا للنَّاسِ مِنْ عِبَادَةِ الحَجَرِ، فإذا هم يَخُوضُونَ في عِبَادَةِ البَشَرِ.

**د ـ نتائجُ الحوار** : بَيّنَتِ الآيَةُ أنّهُ لا بُدَّ مِنَ البقاءِ على مُستوًى عَالٍ مِنَ التّعامُلِ إلى آخرِ محَطَّاتِ الحوار، ونُوجِزُ هذا المعنى في الآتي:

*** الالتزامُ بمبادئ الحوار والثّباتُ على المبْدَأ** : وذلك عندما تقولُ الآيةُ: " فإنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأنَّا مُسلِمُونَ "[2]

ومعناها: حتّ لوْ أصرَّ هؤُلاءِ المُعانِدُونَ علىَ الإباءِ ورَفضِ الحَقِّ، مع وُضُوحِهِ، فلا تنزَعِجُوا لذلك، وابقَوْا على مَبادئكُم، وأظْهِرُوا أنّكُم على هذا الدّينِ، ما دُمتُم مُقتنِعِينَ بِصِحّتِهِ وقُوَّةِ حُجَجِهِ، ولا تَحْمِلُوا خُصُومَكُمْ على رَأيكُم بالقُوَّةِ.[3]

فما دُمتُم قد أبلَغْتُمُ الحُجَّةَ وسُقتُمُ الدَّليلَ، فاتركُوا الأمْرَ للعاقِلِ لِيُمَيِّزَ بعد ذلك بينَ الحَقِّ والباطلِ، فمهمَّتُكُم تنتهي بالبَلاغِ ، وأمَّا الحسابُ فليسَ مِنْ شأنكُم أنتُم.

*** المُدَارَاةُ لا المُداهنَةُ** : فلا بأسَ بالمُداراةِ، و تَقَبُّلِ السَّفَهِ أو الطَّيْشِ مِنَ الآخرِ، مهما بلَغَ، أثناءَ المُحَاوَرَةِ، وترْكِ المجالِ لَهُ لِيُدْلِيَ بما عِنْدَهُ ولكنْ ليس معنى ذلك أن تُنافِقَهُ، وتتظاهَرَ أمامَهُ بِقَبُولِكَ لرأيه

---

[1] – الطّبري، مصدر سابق، م 3، جـ 3، ص 301.

[2] – آل عمران : 64.

[3] – الرّازي، مصدر سابق، م 2، جـ 4، ص 95.

مـُطلقـًا دُونَ مـُعارضةٍ، وإلاّ فلا معـنىً للحـوارِ إذا تخـَلّيـْتَ عن مـَبادِئـكَ التـي تـعـتقـدُ صِحَّـتهَـا وتـَسنُدُكَ الشـّواهـدُ والـدّلائلُ، بل لا بـُدَّ مع هـذا وذاك، أن تـُبَيـِّنَ مـَوقـِفَكَ إذا كـُنتَ مـُعارضًـا للـرّأي الآخـرِ .

***الإحـسانُ فـي القـولِ والفـعل:** فحتىّ لـو لم تـُوافِق على الـرّأي الآخـر و لم يَقبلْ هو أيضـًا وِجـهتـَكَ، فلا يـَنبغي أن يـَتحوَّلَ الأمـرُ إلى سـِجالٍ لـفظيّ يـُسيءُ فيهِ أحـدُ الطـّرفين إلى الآخر، ومـِنْ بـَابٍ أولىَ فلا يجـُوزُ أن يـَنحُوَ مـَنحىً قد يـُضفِي عليـه طابـعَ العـُنفِ البـَدني .

**المبـحـَثُ الثـّاني : المـَوضـُوعيـّةُ والتـّخَلـُّصُ منَ الأفكارِ المـُسبقـَةِ عن الآخـرِ:**

فلا بـُدّ على مَن يـَدخـُلُ فـي حـوارٍ مع أيٍّ كـانَ أن يـَقتـَلِعَ مـن مُخـَيـِّلـتِهِ التـّصوُّرَاتِ القـَبلِيّةِ تجـاهَ محُـَاوِرِهِ، وأن لا يـُؤَاخِـذَهُ بجـَريرَةِ غيـره وإلاّ لصـَارَ هذا الحـوارُ ضـَرْبـًا منَ الجـدالِ العـقيم، لا طـائلَ منْ ورائـهِ إلاّ تـَضـييعَ الجـُهـْدِ والـوَقتِ، وزيـَادةَ حـَجمِ التـّعصُّبِ و الكـراهيـّةِ المـُتبـادَلـَةِ .

يقـولُ فضـل الله عنْ هـذا المعـنى:" فالفِكـرَةُ التي أُعـدَّتْ سـَلـَفًا بـِشكـْلٍ لا مجـَالَ للتـّراجـُعِ عنـه مهمـا كـانتِ الأدلـّةُ المـُضادّةُ، تـَبَعـًا للـدّوافـعِ الـذّاتيةِ والاجـتمـَاعيـّةِ، التي لا رَبـْطَ لهـا بالقـَناعـَةِ الفِكـريـَّةِ المـُرتكـزَةِ على أسَاسٍ مِنَ الحـُجَّةِ والبـُرهـان ".[1]

والقـُرآنُ الكريمُ نجـِدُهُ فـي حـديثـهِ عن أهـلِ الكـتاب مثـَلاً ، كـثيـرًا مـَا يـستـَعـمِلُ صـيـَغَ التـّبعـيضِ مـثلَ " مـَنْ "، فـَهُو لا يـُعـَبـِّرُ بـالإطـلاق وإنمّـا يـَقـصِدُ مـَنْ يـَتـَّصِفُ بـِوَصْفٍ مـُعـَيَّنٍ، أو تـَنطـبقُ عليـهِ قـضـيّـةٌ مـُشابهـَةٌ، وهـذا مـَبدأٌ عـظيمٌ فـي الإنصـافِ والمـَوضُوعيـّةِ، ولنـَأخُذ على ذلك مـثالاً :يـَقُولُ الحـقُّ سـُبحانـَهُ : " وإنَّ مِنْ أهـلِ الكـتابِ لمَـَنْ يـُؤْمـِنُ باللهِ ومـَا أنـْزِلَ إليكـُم ومـا أنـزِلَ إليـهم خـاشـِعِيـنَ للهِ لا يـَشتـَرُونَ بآيـاتِ اللهِ ثمَنًا قليلاً أولئِكَ لهُم أجـْرُهُم عنـدَ ربهّـِمْ إنّ اللهَ سـَرِيعُ الحـِسابِ ".[2]

---

[1] - محمد حسين فضل الله، مرجع سابق، جـ 1، ص 37.

[2] - آل عـمران : 199.

فليسَ جميعُ أهلِ الكتابِ ممَّنْ نبذَ الميثاقَ وحرَّفَ الكتابَ، بلْ فيهم مَنْ يتَّصِفُ بصِفاتِ الأمانةِ والصِّدقِ وغيرها منَ المحاسِن.[1]

فالأحكامُ المُسبقةُ والصُّوَرُ النّمطيَّةُ منْ أهمِّ المُعوِّقاتِ في طريقِ الحوارِ، وإلصَاقُ نفسِ التُّهمةِ بالجميعِ ممَّا يُنافي الموضُوعيَّةَ والتَّجرُّدَ فقد رفضَ االقرآنُ الكريمُ هذا المَسلكَ، ودعَا إلى مُحاكَمةِ كلِّ صاحِبِ فكرةٍ إلى فكرتِهِ، وعرْضِهَا ومُناقَشتِهَا على حِدةٍ.

وهاهي ذي آيةٌ أخرى يُوَجِّهُ فيها الحقُّ تعالى الخِطابَ إلى مُشركي العربِ حيثُ يقُولُ :" قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السّماوَاتِ والأرضِ قُلِ اللهُ وإنَّا أوْ إيّاكُمْ لعَلَى هُدًى أوْ في ضلالٍ مُبينٍ ".[2]

فانظُر إلى هذا الأدبِ الجَمِّ في مُخَاطبةِ الآخَرِ، فرَغْمَ أنّ صاحِبَ الحَقِّ يَعتَقِدُ يَقيناً بصِدقِهِ، إلاّ أنَّهُ يَتواضَعُ ولاَ يُسَفِّهُ الرّأيَ المُخالِفَ ابتداءً، بلْ يَنزِلُ معَهُ إلى نُقطةٍ يَترُكُ فيهَا الانطلاقَ من خَلفياتٍ مُبَيَّتَةٍ، وقد سبَقَ لنا أن تَطرَّقنا إلى هذه الآيةِ .

والمُتَتَبِّعُ لحرَكةِ الدَّعوةِ النّبويةِ، يجِدُها قد رَكَّزَتْ على جانبَينِ رئيسيَّيْنِ هُمَا :

<u>**الأوّلُ**</u> : الأسلُوبُ العلميّ الذي يَعمَلُ على تَفريغِ المَوقِفِ منَ الأفكارِ السّابقةِ حيثُ يَتحوّلُ المَوقِفُ إلى اعتبارِ الشّكِّ نُقطَةً مُشترَكةً بينَ الفريقَينِ فيُعيدُ كلُّ طرَفٍ النّظَرَ فيما يملكُهُ منْ قَناعاتٍ وأفكارٍ، وهذا الأمرُ يُتيحُ المجَالَ للحُرِّيّةِ الفكريّةِ على أوسَعِ نِطَاقٍ .

<u>**الثّاني**</u> : الأسلُوبُ العمليُّ الذي يُواجِهُ فيهِ الطّرفُ المُقابلُ بالأفكارِ المُضادّةِ المَبنيّةِ على الأدلّةِ والبَراهينِ، ممّا يَستَوْجِبُ المُراجعةَ للأفكارِ وطرحَ ما لا يَقْوَى على المُواجَهَةِ .

---

[1] – الألوسي، مرجع سابق، م 2، جـ 4، ص 383.

[2] – سبأ : 24.

وهذا الأسلُوبُ الذي تتواضَعُ فيه أمامَ خصمِكَ، وتعترفُ لهُ بقدْرٍ مِنْ إمكانيّةِ أن يكُونَ على صوَابٍ وأنتَ على خطأٍ، أسلُوبٌ يكسرُ الحوَاجزَ ويتيحُ الفرصةَ أكثرَ للحوارِ الإيجابيِّ.[1]

ولا يخفى ما لهذا الأساسِ مِنَ الأهمّيّةِ، خاصّةً إذا أمْعنّا النّظرَ في واقعِ البشريّةِ اليومَ، ومِنْ ثَمَّ كانَ لِزامًا على المُسلمينَ جميعًا على اختلافِ أطيافِهِمْ ومُستوياتِهِمُ العلميةِ والاجتماعيةِ، أن يُعطُوا الصُّورَةَ الصّحيحَةَ عنْ دينِهِمْ، فيُفنِّدُوا بذلك ما يُروَّجُ عن طريقِ الإعلامِ الغربيِّ وحتّ مِنْ جهاتٍ أخرَى، أو ما يُسوَّقُ مِنْ أفكارٍ، ترسِّخُ في الوعيِ الجماعيّ للنّاسِ الصُّورَةَ الخاطئةَ عنِ الإسلامِ، حيثُ لا يتبادرُ إلى الذّهنِ عندَ ذكرِهِ إلاّ صُوَرُ الدّمارِ والحرُوبِ و الأزمَاتِ، أو ما باتَ يُعرفُ في العالَمِ بالإسلامُوفوبيا .

فالمَسؤوليةُ إذَنْ تزدادُ ثِقْلاً يومًا بعد آخرَ، والواقعُ لا يُسْعِفُ الضُّعَفاءَ والقَاعِدينَ والمُتقاعِسينَ عنِ العملِ ولا يرْحمُهُم، فإمَّا أن تعملَ على إبْداءِ الوجْهِ النَّاصِعِ لما تعْتَقِدُهُ وتُؤمِنُ بهِ، وإمَّا أن يتراجعَ دورُكَ الحضَاريّ فلا يبقىَ لك مقامٌ للذّكرِ .

## المَبحثُ الثّالثُ : عرْضُ أقوالِ الآخرِ مِنْ مصَادرِهِ :

فالذي يُريدُ خوْضَ غِمَارِ الحوارِ، وهُوَ لا يدْري عنِ الآخرِ إلاّ الاسمَ، ولا يملكُ التّصوُّرَ الكافي والإحاطةَ اللاّزمَةَ بأساسيَّاتِهِ، فهُوَ في الحقيقةِ كمَنْ يرَى السَّرابَ في الصّحراءِ فيَظنُّهُ ماءً، فلا هُوَ يتمكّنُ مِنْ إقناعِ الآخرِ ولا حتّ مِنْ فهمِهِ أصلاً .

و لذلك وجدْنَا القرْآنَ الكرِيمَ يذكُرُ دائمًا أقوالَ المُخالِفينَ، بل ويُشيرُ إلى أصُولِهَا الصّحيحةِ في بعضِ الأحيانِ، وإلى المَفاصِلِ التّاريخيةِ التي مرَّتْ بهَا والمرَاحِلِ التي تمَّ فيها التّحريفُ، ولنأخُذْ بعضَ الآياتِ كمِثَالٍ على ذلك:

[1] – محمّد حسين فضل الله، مرجع سابق، جـ 1، ص 55 – 57.

يقولُ المولىَ سـُبحانـَهُ فـي سـُورَةِ المـائدةِ :" وقـالتِ اليـهُودُ يَدُ اللهِ مَغـلُولـَةٌ ".[1]
فالآيـةُ خـبَرٌ عـنْ جـُرْأةِ اليـَهـُودِ على ربـّهـِم، ووَصـْفـِهِـمْ لـهُ بما لا يـَليـقُ فجـاءَ الـرّدُّ القـُرآنـيُّ القـَاصِمُ وذكـّرَهُم بـنـعَمِ اللهِ عليـهِمْ، وأثـبـتَ بـُطْلاَنَ زَعـْمِـهِمْ، وأنـّهُ فـرْيـَةٌ لا دَلـيلَ لهـُم عليـها.[2]
ويقـُولُ فـي آيـةٍ أخـرَى: " لـَقَدْ كـَفَرَ الذينَ قـَالُوا إنّ اللهَ ثـالثُ ثـَلاثـَةٍ ".[3]
وانـظُر إلـى التـّعـبيـرِ القـُرآنيِّ حيـثُ أنّ قـولـَهُ:" الذين قـَالُوا " يـَدُلُّ دَلالـَةً واضِحـَةً، على أنّ بعـضَ القـَومِ قالـُوا ذلك وليـسَ الكـُلُّ قـَدْ قـَالَ.

وانـظُر أيضـًا إلـى هـذه الإحـاطـَةِ بمـا لـدى الآخـَرِ مـِنْ أفـكار، فـَهُـوَ يحُـَاكـِمُهُ إلـى أقـوالِهِ مـِنْ مصـادِرِهـَا، ويطـلُبُ منـهُ الـرّدَّ إنْ كـَانَ لـديـْهِ مـا يـقـُولـهُ .

يـقُولُ الطـّبري عنِ الآيـةِ :" وهـذا القـَولُ _ ثالـثُ ثـلاثـَةٍ _ كـان عليـهِ جمـاهيـرُ النـّصارى قبـلَ افـتـراقِ فـرَقـِهِمْ وقـد كـانُوا يـَقـُولُونَ : الإلـهُ القديمُ جـَوهـَرٌ واحـِدٌ يـعُمُّ ثـَلاثـَةَ أقـَانيمَ : أبـًا والـدًا غـيْـرَ مـولُودٍ وابنًا مَوْلُودًا غـيْـرَ وَالـدٍ، وزَوْجـًا مـُتـَتَبـّعـَةً بـيـنهُمـَا ".[4]

فالقـُرآنُ يـَذكـُرُ حتىّ هـذهِ البـِدَعَ التي حـَدَثـَتْ فـي تـاريـخِ النـّصـرانيـّةِ ويـُثـْبِتُ أنهّـَا وَافـِدَةٌ عليهـا مـِنْ خـَارِجـِهَا، وفـي هـذا الصـّدَدِ يـذكُر الشّيخُ أبـو زهـرةَ _ رحمه اللهُ _ أنَّ الـتـثـلـيثَ لم يـَرِدْ علىَ النـّصرانـيـةِ دُفـْعَةً واحِدَةً بـلْ تـَطـَرَّقَ إليها شـَيـْئـًا فـَشـَيْـئـًا، إلـى أنْ أُعـلِنَ عنـدَ غـالـبِيـّتِهِمْ فـي نهـايـَةِ القـَرنِ الـرّابـعِ الميـلاديّ.[5]

---

1 – المـائـدة : 64.
2 – الطـّبـري، مـصدر سـابق، م 4، جـ 6، ص 299.
3 – المـائـدة : 73.
4 – الطـّبـري، مـصدر سـابق، م 4، جـ 6، ص 313.
5 – محمـّد أبـو زهـرة، محـاضرات فـي النـّصرانيـة، ص 180.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهُنا نُلاحِظُ جليًّا مَدَى دِقّةِ النّصِّ القُرآنيّ، حيثُ يَدُلُّ على أنَّ الأصْلَ في الدّيانةِ النّصرانيةِ إنّما هُوَ التّوحيدُ، وأنّ التثليثَ عارِضٌ قَالَتْ بهِ بعضُ الطّوائفِ، ثُمّ ما لَبِثَ الأمْرُ حتّى فُرِضَ بقُوَّةِ السُّلطان .

وبعد أن ذكَرْنا مثالَين عنْ أقوالِ اليَهُودِ والنّصارَى، فلنذكُر مثالاً عنْ أقْوالِ المُشركينَ، ففي الآيةِ يقُولُ الحَقُّ تعَالَى: " وقَالُوا مَا هِيَ إلاّ حيَاتُنَا الدُّنْيا نمُوتُ ونحيَا ومَا يُهْلِكُنا إلاّ الدّهْرُ وما لهُمْ بذلكَ مِنْ علمٍ إنْ هُمْ إلاّ يَظُنُّونَ ".[1]

والآيَةَ تُتَحَدَّثُ عنْ أولئِكَ المُشركينَ الذين يزْعُمُونَ أنّهُ لاَ حَيَاةَ بعدَ المَوتِ، وأنّهُ لا حِسَابَ في دارٍ أخرَى، ثُمّ وَجّهَ إليهِمُ القُرآنُ اللَّوْمَ على هذا القَولِ، وذلك لِعَوَزِهِمْ إلى دليلٍ مُقْنِعٍ وَحُجَّةٍ كافيةٍ .

ونَكتفي بهذا القَدرِ في هذه الجُزئيّةِ، فقد بَيّنّا فيهَا أنَّ المُحَاوِرَ الجادَّ، لا بُدّ لَهُ مِنَ الإحاطَةِ بما لَدَى الآخَرِ، حتّى يستطيعَ بِنَاءَ مَواقِفَ صَحيحَةٍ، انطلاقًا مِنْ تَصَوُّرَاتٍ صَحيحَةٍ.

**المَبحَثُ الرّابعُ : التزَامُ الحُجَّةِ والبُرْهَانِ :**

إنّ العقلَ البشريَّ آلةٌ دقيقَةٌ لا يَقْبَلُ أيّةَ فكرَةٍ أو دَعْوَةٍ واردَةٍ علَيهِ إلاّ بعد التّمحيصِ والغَربلَةِ، ولا تَرضَى بقَوْلٍ غَيَرَ مُؤَسَّسٍ على أدِلَّةٍ مَنْطِقيّةٍ وحُجَجٍ كافيةٍ، ولذلك وَجَدنَا القُرآنَ الكَريمَ يَرفَعُ مِنْ شَأنِ الدّليلِ ويجعلُهُ معيارًا لقَبُولِ الرّأي، ويَرفُضُ اتّباعَ الآراءِ الاعتباطيةِ المُنطَلِقَةِ مِن مجُرَّدِ الأهواءِ، ولذلك فقدْ رأيْنَا أنْ نَتطَرَّقَ إلى هذه الجُزئيةِ ونُحَاولَ أنْ نبْرزَ مَوقِفَ القُرآنِ منهَا .

ونبدأ بقَولِ الله تعالى في سُورةِ البقرةِ:" وقَالُوا لنْ يَدخُلَ الجَنَّةَ إلاّ مَنْ كَانَ هُودًا أوْ نَصارَى تِلكَ أمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إن كُنتُم صَادِقِينَ ".[2]

---

[1] – الجاثية : 24.

[2] – البقرة : 111.

وذلك أنّ اليَهُودَ والنّصارى زعَمَ كُلُّ فَريقٍ منهُم أنّهُ لنْ يَنالَ الفَوْزَ بالجَنَّةِ، إلاّ منْ وَافقَ ملّتَهُم ونهَجَ منْهَجَهُم، فبَيَّنَ الحقُّ سُبحانهُ بُطلانَ هذه الدّعَاوَى، وبيَّنَ أنّهَا مُجَرَّدُ أمانيّ لا تَستَندُ إلى أدنى دليلٍ وبيَّنَ أنّ الجنَّةَ ليسَتْ مَخصُوصَةً بأحَدٍ أو حكْرًا على جنسٍ دُون آخرَ، وإنّما يَستَحِقُّ تلك المَنزِلَةَ الرّفيعَةِ، مَنْ توَفَّرت فيهِ الشُّرُوطُ منْ إخلاصِ الاعتقادِ وإحسانِ العملِ.[1]

وقد دَلّتِ الآيةُ على أنَّ المُدّعي سَواءً ادّعى نَفياً أم إثباتاً، فلا بُدّ لهُ منَ الدّليلِ والبُرهانِ، وذلك منْ أصْدَق الدّلائلِ على بُطلانِ القَوْلِ بالتّقليدِ، لأنّ مجَالَ العقَائدِ لا يُقبلُ فيه مُجرّدُ التّقليدِ دُونَ النّظرِ والتّمحيصِ.[2]

ومع آيةٍ أخرَى تُقرِّرُ مَبْدَأَ الاستدلالِ وضَرُورتَهُ، حيثُ يَقُولُ الحَقُّ تعالى: " ها أنتُمْ حاجَجتُمْ فيمَا لكُم به علِمٌ فلِمَ تُحَاجُّونَ فيما ليَسَ لكُم بِهِ علِمٌ ".[3]

فالآيةُ قد عابتْ على اليَهُودِ والنّصارى، ادّعاءَهُم بأنّ إبراهيمَ عليه السّلام كان منهُم وعلى ملّتِهم، فطَالبَهُم بالاحتجاج فيما يعلمُونَ والكَفِّ عمّا لا يَعلَمُونَ، وذلك أنّهُ منَ النّاحيةِ التّاريخيةِ فقد كانَ عَصرُ إبراهيمَ عليه السّلام سابقًا لكِلتَا الدّيانتَينِ، فلا يُعْقَلُ أن يَكُونَ مُنْتَسبًا لأحَدِهمَا.[4]

وقد كانَ اليَهُودُ والنّصَارى يَتَّبعُونَ مُجَرَّدَ الزّعْمِ، في قَضِيَّةِ كَوْنِ إبراهيمَ كانَ منْهُم، فأبْطَلَ اللهُ تعالى هذا الزّعْمَ، بتقريرهِ بأنّ التّوراةَ والإنجيلَ لم تنزْل إلاّ من بَعدِهِ.[5]

---

[1] – الطّبري، مصدر سابق، م 1، جـ 1، ص 492.

[2] – الرّازي، مصدر سابق، م 2، جـ 4، ص 3.

[3] – آل عمران : 66.

[4] – الطّبري، مصدر سابق، م 3، جـ 3، ص 308.

[5] – الرّازي، مصدر سابق، م 4، جـ 8، ص 96.

فانظُرْ إلى هذه الدّقّةِ والموضوعيّةِ في المحاورَةِ، فالقُرآنُ الكريمُ لا يَقبلُ بأيّ حالٍ منَ الأحوالِ، رأياً غير مُؤَسَّسٍ على مُقَدّماتٍ صحيحةٍ ودقيقةٍ، بلْ يُطالِبُ صاحِبَهُ _ وذلك بعد أن يطرح هُو الرّأي الأصحّ _ بمُقابلةِ هذا الرّأي بما يَقوَى على المُحاجَجَةِ .

كما أنّهُ لا يَقبَلُ الافتِئاتَ على المَشاعِرِ والعواطِفِ واستغلال تَعلّقِ النّاسِ بشَخصيّةٍ ما، " فالذي يَظهَرُ منْ خلالِ الآياتِ السّابقةِ، أنّ أهلَ الكتابِ كانُوا يحُاولُونَ استغلالَ اسمِ إبراهيم وقَداسَتَهُ في نفُوسِ المجُتمعِ العربي آنَذَاكَ....فكانُوا يَنسبُونَهُ إلى كُلِّ فرِقَةٍ منهُم، فرَدَّ القُرآنُ بدليلٍ تاريخيّ ومَنطقيٍّ، وذلك بأنّ زمنَ إبراهيمَ كان قَبلَ زمنِهِمَا، وأنّ إبراهيمَ كان مخُلِصاً لرَبّه بعيداً عنِ الشّركِ الذي اعترَى كِلتَا الدّيانتَينِ ".[1]

وحتّ مع المُشركينَ المُعاصِرينَ للعَهدِ الأوّلِ للإسلام فقد كانَ القُرآنُ الكريمُ يُطالِبُهُم دائماً بالدّليلِ، ففي الآيةِ يَقُولُ الحَقُّ سُبحانه :" أمِ اتخّذُوا منْ دُونهِ آلهِةً قُلْ هاتُوا بُرهانَكُمْ هذا ذِكْرُ مَنْ معِي وذِكْرُ مَنْ قَبلي بلْ أكثَرُهُمْ لا يَعلَمُونَ الحَقَّ فهُمْ مُعرِضُونَ ".[2]

ومعنى الآيةِ : أنّ اللهَ عزّ وجَلّ يُرشِدُ النّبيّ صلىّ اللهُ عليه وسلّم إلى مُواجَهةِ المُشركينَ بعدَ اتخّاذِهِمْ أصنَاماً ومَعبُودَاتٍ بغَيرِ حَقٍّ، منْ دُونِ اللهِ تعالى، وافتقارِهِم إلى دليلٍ يَسنُدُ ادّعاءَهُمْ وحُجَّةً قاطِعَةً تَعضُدُ اتجّاهَهُم فقال : هاتُوا إنْ كُنتُم تَزعُمُونَ أنّكُم محُقُّونَ في قَولِكُم حُجّةً ودَليلاً على صدْقِكُمْ، وقد أتاهُمُ النّبيُّ صَلىَّ اللهُ عليه وسلّم بالدّليلِ القاطِعِ ، وهُوَ القُرآنُ المُعجِزُ الذي يحَتوِي خَبرَ السّابقينَ والحاضِرينَ وما فَعلَ اللهُ بهِم.[3]

---

[1] – محمّد حسين فضل الله، مرجع سابق، جـ 1، ص 150.

[2] – الأنبياء : 24.

[3] – الطّبري، مصدر سابق، م 10، جـ 17، ص 14.

كما أنّ القُرآنَ الكريمَ قد عابَ على بعضِ النّاسِ الذينَ يجُادِلُونَ بغيرِ علمٍ، فقالَ: " ومِنَ النَّاسِ مَنْ يجُادِلُ في اللهِ بِغَيرِ علمٍ ولاَ هُدًى ولا كِتابٍ مُنيرٍ ".[1]

يقولُ الرّازي عن معنى هذه الآيةِ :" والآيةُ دَالّةٌ على أنّ الجدَالَ معَ العلمِ والكتابِ المُنيرِ حقٌّ حَسَنٌ ... والمُرادُ بالعلمِ: العلمُ الضَّروريُّ، و بالهُدَى: الاستدلالُ والنّظرُ لأنّهُ يَهْدِي إلى المَعرِفَةِ، وبالكتابِ المُنيرِ: الوَحْيُ، والمَعنى: أنّهُ يجُادِلُ مِنْ غيرِ مُقدِّمةٍ ضَرُوريةٍ ولا نَظَريّةٍ ولا سَمعيَّةٍ ".[2]

وحتّ إذا تعلّقَ الأمرُ بالمُسلمِ، فإنّ القرآنَ الكريمَ يَطلُبُ منهُ هُوَ الآخرُ التّقيُّدَ بالمَنهَجِ الاستدلاليِّ بعيدًا عنِ الهوى والظُّنُونِ ومِنْ ذلك قولُهُ تعالى :" قُلْ هذِهِ سَبيلي أدْعُو إلى اللهِ على بَصيرَةٍ أنا ومَنِ اتّبَعَني وَسُبحَانَ اللهِ وما أنا مِنَ المُشرِكينَ ".[3]

فالآيَةُ خطَابٌ للنبيِّ صلىّ اللهُ عليه وسلّم، وهِي عَامّةٌ في كُلِّ مُسلمٍ فهي تدعُو كُلَّ مَنِ اتّبَعَ هذا الدّينَ وكان داعيًا إليه، أن يلتزمَ بالعلمِ المَبنيّ على اليقينِ والبَصيرَةِ، لا أن يَتَّبِعَ كُلَّ ناعِقٍ دُونَ تَثَبُّتٍ ونظرٍ.[4]

ومع هذا فَقَدْ حرَصَ القرآنُ الكريمُ على مخُاطَبَةِ كُلِّ طَرَفٍ حسبَ مُستَوَاهُ العقليّ، فَقَدْ سَلَكَ مع هؤُلاءِ العربِ مَنهجًا استدلاليًا بَسيطًا، يُلائمُ بَسَاطَةَ عقُولِهِمْ وَسَذَاجتَهَا وهُوَ يجَمَعُ معَ هذهِ البَسَاطَةِ قُوَّةَ الدّليلِ وَوُضُوحَ الحَقيقَةِ، فهاهُوَ مَثَلاً يَستَدِلُّ على وُجُودِ الخَالقِ وَتفَرُّدِهِ بالأُلوهيَّةِ بأنّ الإنسانَ

---

[1] - الحجّ : 08.

[2] - الرّازي، مصدر سابق، م 12، جـ 23، ص 12.

[3] - يوسف : 108.

[4] - الطّبري، مصدر سابق، م 8، جـ 13، ص 79 – 80.

مَخْلُوقٌ حَادِثٌ، ولاَ حَادِثَ بِلا مُحْدِثٍ، و لذلك حَصَرَ فِكْرَهُمْ فِي ثَلاَثَةِ احتمَالاَتٍ هِيَ :

**الأولَى** : إمّا أنْ يُوجَدُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ، وهذا مُستَحِيلٌ عقلاً فَقَالَ لهُم فِي الآيَةِ :" أمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ".[1]

**الثّانيةُ** : أنْ يَدَّعُوا أنّهُمْ خَلَقُوا أنْفُسَهُمْ، وهذا أيْضًا مُسْتَحِيلٌ لأنّهُم لمْ يكُونُوا مَوْجُودِينَ قَبْلَ أنْ يُخْلَقُوا وَالمَعْدُومُ لاَ يَخْلُقُ، فقالَ لهُمْ :" أمْ هُمُ الخَالِقُونَ ".[2]

**الثّالثةُ** : ويَنْتَقِلُ بهِم فيهَا إلى مُستَوًى آخرَ، فَيَسْألُهُمْ عنْ خَلْقِ السّمَاواتِ وَالأرضِ، فَيَقُولُ لهُم :" أمْ خَلَقُوا السّمَاوَاتِ وَالأرضَ ".[3]

ثُمّ بقِيَ يُحَاصِرُ فِكْرَهُمْ، بِسُؤَالِهِ إيّاهُمْ عَنْ كُلِّ مَا يُحِيطُ بِهِمْ فِي هذهِ الحياةِ مِنَ الرِّزقِ والنّباتِ، والحَيَوَانِ ...

وفِي نِهَايَةِ هذا السّيَاقِ القُرآنيِّ الحواريّ المَبْنيِّ على الدّليلِ العَقْلِيِّ والبُرهَانِ المَنطِقِيِّ، يَسْألُهُم مَرَّةً أخرَى عنِ افترَاءاتِهِم وعنِ المَصَادِرِ التي استَقَوْها منهَا .

وهذا النّوعُ مِنَ الحِوارِ البُرهَانيِّ، يَقُوم على استِدراجِ الخَصْمِ لِتَصِلَ مَعَهُ إلى الحقِيقَةِ، عَنْ طَرِيقِ السُّؤالِ، حُجَّةً بعدَ حُجَّةٍ، حَتَّ لا يَبقَى لَهُ إلاّ التّسْلِيمَ بالحَقِّ، وهُوَ فِي ذلك يتّبِعُ المُقَدِّمَاتِ المَنْطِقِيَّةِ، التي تَنْتَهِي إلَى نَتَائِجَ يَقِينِيَّةٍ لا مجَالَ لإنكَارِهَا.[4]

---

[1] – الطّور : 35.

[2] – الطّور : 35.

[3] – الطّور : 35.

[4] – عبد الرّحمن النّحلاوي، التّربية بالحوار، ط 1، دار الفكر، دمشق، سورية، 2000م، ص 22 – 26.

ولعلّنا نكتفي بهذا القدرِ حولَ هذهِ الجزئيّةِ، مع الاقتصارِ على الإشارةِ إلى مواضعَ أخرى في القرآنِ الكريمِ، تندرجُ تحتَ نفسِ السِّياق:

- يقولُ الحقُّ سبحانَهُ :" وَمَنْ يَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ إلهًا آخرَ لاَ بُرهانَ لَهُ بهِ فإنّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إنّهُ لا يُفلحُ الكافرُونَ ".[1]
- ويقولُ أيضًا :" أمَّنْ يَبْدَؤُا الخلقَ ثُمّ يُعيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السّماءِ وَالأرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُم إنْ كُنتُمْ صادِقِينَ ".[2]
- ويَقُولُ:" ما لَكُم كَيْفَ تحكُمُونَ أفلاَ تذكّرُونَ أمْ لكُمْ سُلطَانٌ مُبِينٌ فأتُوا بكتابكُم إنْ كُنتُمْ صادِقِينَ ".[3]
- ويقولُ عزّ وجلّ :" الذينَ يجُادِلُونَ في آياتِ اللهِ بغَيْرِ سُلطَانٍ أتاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وعِندَ الذين آمَنُوا ".[4]
- ويقولُ :" إنّ الذينَ يجُادِلُونَ في آياتِ اللهِ بغَيْرِ سُلْطَانٍ أتَاهُمْ إنْ في صُدُورِهِمْ إلاّ كِبْرٌ ما هُمْ بِبَالِغِيهِ ".[5]

ويَقُولُ الحقُّ تعالى: " إنْ هِيَ إلاّ أسْماءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أنتُمْ وآباؤُكُمْ ما أنزَلَ اللهُ بها مِنْ سُلطانٍ إنْ يَتّبِعُونَ إلاّ الظّنَّ وما تهْوَى الأنفُسُ ولَقدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبّهِمُ الهُدَى ".[6]

والآياتُ كثيرَةٌ في هذا السّياق نكتفي بما ذكرناهُ، ولعلَّ مِنْ أبرَزِ ما يُلاحَظُ فيها، أنّها ركّزَتْ بدرَجةٍ كبيرةٍ على الجانبِ

---

1 – المؤمنون : 117.
2 – النّمل : 64.
3 – الصّافّات : 154 – 157.
4 – غافر : 35.
5 – غافر : 56.
6 – النّجم : 23.

العقَديِّ، فلَمْ تقبَلْ بحَالٍ منَ الأحوالِ اعتقَادًا غيْرَ متّبعٍ للدّلائلِ القَطعيةِ، والأمرُ كذلك في مُختلفِ الشؤُّون .

**المبحَثُ الخامسُ : التزَامُ الأدَب وحُسْنِ إدَارَةِ الحوار :**

إنّهُ لمّا كانَ الحوارُ عمليّةً فكريّةً رَاقيَةً، وأسلُوبًا حضَاريًا عاليَ المستوى منْ أجلِ التّواصُلِ الإنسَانيّ، كانَ لزَامًا على المُتصدّي لَهُ أنْ يتحَلّى بدَماثَةِ الخُلُقِ، وسُهُولَةِ الطّبْعِ ، وَحسْنِ النيَّةِ وسَلاَمَةِ المَقْصدِ، ذلك لأنّهُ لا يَهدِفُ منْ وَرَائهِ إلى إلزَامِ الطّرَفِ الآخرَ وحمْلهِ على فكرَتهِ، بقَدْرِ ما يَصبُو إلى عرْضِ آرائهِ في أدبٍ رفيعٍ وأسْلُوبٍ بَديعٍ ، بعيدًا عنِ الخُصُومةِ وسُوءِ التّعامُلِ.

ولا عجبَ أنْ نجدَ القرُآنَ الكريمَ قدْ رَكّزَ على ذلكمُ المَبدَأِ، القائمِ على مَبْدَأ "المجادلة بالأحْسَنِ ".

ففي سُورَةِ النّحلِ نقرأ قولَهُ تعالىَ:" أُدْعُ إلى سَبيلِ ربِّكَ بالحِكْمَةِ والمَوعظَةِ الحَسنَةِ وجادِلهُمْ بالتي هيَ أحسَنُ ". [1]

فالحَقُّ سبُحانه يُوجِّهُ نَبيَّهُ الكريمَ صلىّ اللهُ عليه وسلّم إلى أنْ يَدْعُوَ إلى الإسلام "بالحكمَةِ "وهي وَحيُ اللهِ وكتَابهُ، "والمَوعِظَةِ الحسنةِ " وهيَ العبَرُ الجميلَةُ التي احتَجَّ اللهُ بها في كتابهِ، " والمُجادلةِ بالتي هي أحسَنُ " وتكُونُ بمُقابَلَةِ الإسَاءَةِ بالعفْوِ والصّفحِ ولينِ الجانب. [2]

وما أحسَنَ ما قالَهُ الرّازي حولَ معنَى الآيةِ وقد جاء فيه:" معناهُ : أُدْعُ الأقوْيَاءَ الكامِلينَ ( القُوّةَ العقليةَ والإيمانيةَ ) إلى الدّينِ الحَقِّ بالحِكْمَةِ، وهي البَراهينُ القطْعيّةُ اليَقينيَّةُ، وعَوَامَّ الخَلْقِ بالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ، وهيَ الدّلائلُ اليقينيّةُ الإقناعيّةُ

---

[1] - النّحل : 125.

[2] - الطّبري، مصدر سابق، م 8، جـ 14، ص 194.

الظـَّنـّيةُ والتـّكـلُّمِ مـعَ المـُشـاغـبِـينَ بالجـدَلِ علـى الطـّريقِ الأحـْسنِ الأكـْمَلِ ".[1]

والمـُلاحـَظُ فـي هـذهِ الآيـاتِ أنّهـا عـبـّرَتْ عـَنِ الجـِدَالِ بالتـي هـي أحْسَنُ مـُبالغَةً فـي إيـلاءِ الإحـْسانِ فـي مـُواجـَهـَةِ الآخـَرِ، ولـينِ الجـانبِ، والبَحْثِ عـنْ أحـْسَنِ الطـُّرُقِ للـوُصـُولِ إلـى الحـَقِّ .

ونـَفـْسُ التـّوجـيهِ نـَقـرَأُهُ فـي سـُورَةِ العـنكـَبُوتِ حـَيثُ يـَقـُولُ الحـَقُّ سـُبحـانـَهُ : " وَلا تـُجـَادِلـُوا أهـْلَ الكـِتـَابِ إلاّ بالتـي هـيَ أحـْسَنُ إلاّ الذيـنَ ظـَلَمـُوا مـِنـْهُمْ ".[2]

ومـعنـاهُ : لا تـُجـَادلـُوهـُم بالسـّيـْفِ، وإنْ لم يـُؤمـِنـُوا، إلاّ الذيـن ظـَلـَمُـوا أيْ : قـابـِلـُوهـُمْ بالإ حـْسـَان وعـدَمِ الاسـتـِخـْفـَافِ بآرائـِهـِم، وسـَبِّ آبـائـِهِمْ، وإنّمـا عـَلـَيـْكُمْ عـَرْضُ رَأيـِكـُمْ مـع قـُوَّةِ الـدّليـلِ و عـظـَمـَةِ الخـُلـُقِ.[3]

وقـد بـَيـَّنـَتِ الآيـَةُ كـيفيـّة الـدّعـْوَةِ، فقـد نهـَتْ عـَنِ المـُجَادَلـَةِ المـَبْنيّةِ علـى الفـَظـَاظَـةِ والخـُشـُونـَةِ، ولم تـَكـْتـَفِ بهـذا التـّوجـيهِ، بـَلْ دعـَتْ إلـى أنْ تـَكـُونَ علـى الـوَجـْهِ الأحـْسَنِ، وهُـوَ أعلـى درجـَةً مـنَ الحـَسَنِ.

هـذا ويـَبـْقَى التـّوجـيـهُ القـُرآنـيُّ إلى ضَـرُورَةِ الالـتـِزَامِ بالـرِّفقِ وحـُسْنِ الأدَبِ، حتىّ مـَعَ المـُشـْرِكِ، ومـِنْ أبـْرَزِ الآيـاتِ الـدّالـّةِ علـى ذلك قـَوْلُ الله عزّ وجـَلّ، حـِكـَايـَةً عـَنْ قـِصَّةِ إبـراهـيم النـّبيّ مـع أبـيـهِ المـُشـْرِكِ : " قـَالَ أرَاغـِبٌ أنـْتَ عـَنْ آلهـَتي يـا إبـرَاهـيـمُ لـئـِنْ لـَمْ تـَنـْتـَهِ لأَرْجـُمـَنـَّكَ واهـْجـُرْنـي مـَلـيـًّا قـَالَ سـَلامٌ عـَلـيـْكَ سـَأسـْتـَغـْفـِرُ لكَ رَبـّي إنـّهُ كـانَ بـي حـَفـِيـًّا ".[4]

---

[1] – الـرّازي، مـصدر سـابق، م 10، جـ 19، ص 141.

[2] – العـنكـبوت : 46.

[3] – الـرّازي، مـصدر سـابق، م 13، جـ 25، ص 76.

[4] – مـريم : 46 – 47.

فقدْ قابَلَ إبرَاهيمُ عليه السّلامُ فَظَاظَةَ أبيهِ، وغِلْظَتَهُ بحُسْنِ المُعَامَلَةِ، ولُطْفِ القَوْلِ، وقَابَلَهُ زِيَادَةً على ذلك بالدُّعاءِ لَهُ، وإظْهَارِ الشّفَقَةِ عَلَيْهِ.[1]

وَلم يُقَابِلْ إساءَةَ أبيهِ وغِلْظَتَهُ وتَهْدِيدَهُ وَوَعِيدَهُ، بأدْنَى دَرَجَاتِ الغَضَب والضّيِّق، بَلْ قَابَلَهُ بعَكْسِ ذلك تمامًا، قابلَهُ بسَعَةِ الصّدْرِ وَجميلِ المَنطقِ، والسّلامِ دُونَ جدَال أوْ أذًى، والودَاعَ الذي يُقَابِلُ فيهِ إسَاءَتَهُ البَالِغَةَ بالإحسانِ الأبْلَغ.[2]

وهذا هُوَ المنْهَجُ القُرْآنيُّ في مُواجَهَةِ الأفكَارِ، فبَعْدَ أن تَعرِضَ حُجَّتَكَ وتُبَيِّنَ رأيَكَ، فلَسْتَ مَسْؤُولاً عَنِ النّتَائج ، بَلْ يَنتَهِي دَوْرُكَ بالإبْلاَغِ الذي يُرافِقُهُ الحِلْمُ وسَعَةُ الصّدْرِ، وتَقَبُّلِ الرّفْضِ مِنَ الآخَرِ .

كما نرى ذلك في قوله تعالى :" وَقِيلِهِ يارَبِّ إنّ هؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤمِنُونَ فَاصْفَحْ عَنْهُم وقُلْ سَلاَمٌ فَسَوْفَ يَعلمُونَ ".[3]

فالآيَةُ تَسْلِيَةٌ للنّبيّ صلىّ اللهُ عليه وسلّم، بأنْ لا يحْزَنَ لِعَدَمِ إيمَانِ بعضِ النّاسِ، وتَوْجِيهٌ لهُ بأنْ يَتْرُكَ جزَاءَ هُمْ وحِسَابَهُم على ربّهم، لأنّهُ قدْ أبرَأَ الذّمّةَ بإبلاَغِهِ الدَّعْوَةَ.[4]

ورَجّحَ الرّازي أنّ هذه الآيةَ مُحْكَمَةٌ، ولَيْسَتْ مَنْسُوخَةً.[5]

كما يَنْبَغِي على المُحَاوِرِ أن يحرِصَ على إيصَالِ النّفْعِ ، والخَيْرِ وبَذْلِهِ لِمَنْ يُحَاوِرُهُ، ويُظْهِرَ لَهُ النّصِيحَةَ والشّفَقَةَ مع صِدْقِ النّيّةِ وسَلامَةِ القَصْدِ، وهذا ما نجِدُهُ في قَوْلِ الحقِّ سُبحانه وتعالى : " ويا قَوْمِ مَالِيَ أدْعُوكُمْ إلى النّجَاةِ وتَدْعُونَنِي إلى النّارِ تَدْعُونَنِي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] – الطّبري، مصدر سابق، م 9، جـ 16، ص 92.
[2] – محمّد السيّد طنطاوي، مرجع سابق، م 9، جـ 16، ص 50.
[3] – الزُّخرُف : 88 - 89.
[4] – محمّد السيّد طنطاوي، مرجع سابق، م 13، جـ 25، ص 136.
[5] – الرّازي، مصدر سابق، م 14، جـ 27، ص 236.

لأكْفُرَ باللهِ وأشْرِكَ بهِ ما ليْسَ لي بهِ علمٌ وأنا أدعُوكُمْ إلى العزيزِ الغفّار ". [1]

فانظُرْ كيْفَ بيّنَ أنّهُ رَغْمَ معْرفتهِ بأنّ ما يدْعُو إليهِ حَقٌّ ينْجيهِ، وأنّ ما يدعُوه إليه الآخرُون أمْرٌ يُودِي بهِ إلى الهلاَكِ إلاّ أنّهُ حاوَرَهُمْ واحْترَمَ رَأيَهُمْ، وتكريرُ النّدَاءِ في خطابهِ لهُم فيهِ زيادَةُ تنبيهٍ لهُمْ، وإظْهارٌ للشّفقَةِ عليهِمْ، ومزيدِ الاهتمامِ بمَصيرِهمْ. [2]

**المبْحَثُ السّادس : خطَابُ العقلِ والفطرَةِ :**

وذلك لأنّ القُرآنَ الكريمَ هو كلامُ اللهِ تعالى، والإنسانُ هو صُنْعُ البَارِئ سبْحانَه، فلا عجبَ أن نجِدَ الآياتِ حافلَةً بالدّعوةِ إلى استنهاضِ العقلِ البشريّ والدّفع به إلى التّأمُّل والبَحثِ.

ولأنّ التّواصُلَ الإنسانِيّ أمْرٌ لا بُدَّ منهُ، فلِكيْ يكُونَ مجدِيًا ومُؤتيًا ثمارَهُ، فإنّه يجبُ أن يُراعَى فيه الجانبُ الوجدَانيّ، الذي يخاطِبُ في الإنسان ضميرَهُ، ويُدَغْدِغُ فيه المَشاعِرَ الإنسانيةَ الأصيلةَ التي تنبثِقُ منَ الفطرَةِ الجبلِّيّةِ السّليمَةِ .

يقول فضْلُ اللهِ في هذا السّياق :" ولعَلّ هذا كلُّهُ هو الذي انطلَقَ به القُرآنُ الكريمُ فيه، ليُغيِّرَ الفكرَةَ منْ خلال تغيير المنهَج في الوصولِ إليهَا، وليُواجهَ الإنسَانُ العقيدَةَ منْ حركَةِ القاعدةِ الفكريةِ في كيَانه، لا منْ حرَكَةِ التّيّارِ في حياةِ الآخرين، إنّهُ الأسْلُوبُ المرِنُ المتَحَرِّكُ في أكثرَ منِ اتّجاهٍ، المُرتكزِ على العقلِ تارةً وعلى العاطفةِ أخرَى، والحسِّ منْ جهةٍ ثالثةٍ، ليفتحَ لك المجالَ في فِكرِكَ وفي قلبِك وفي وجدَانكَ ... كُلُّ ذلك بمَحبَّةٍ وموضُوعيّةٍ ". [3]

---

[1] - غافر : 41 – 42.

[2] - الرّازي، مصدر سابق، م 14، جـ 27، ص 71.

[3] - محمّد حسين فضل الله، مرجع سابق، جـ 1، ص 67 – 68.

ومن أبرزِ ما ورد في القرآنِ الكريمِ عن هذا المعنى قولُهُ تعالى :" إنّ مثلَ عيسىَ عندَ اللهِ كمثلِ آدمَ خلقَهُ مِنْ تُراب ثُمّ قال لهُ كُنْ فيكُونُ الحقُّ مِنْ رَبِّكَ فلا تكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ ".[1]

وذلك أنّ النّصارَى قالُوا بإلهيّةِ عيسىَ عليه السّلام لأنّه خُلِقَ مِنْ غَيرِ أب فقالُوا: إنّهُ ابنُ اللهِ، فجاءَ الرّدُّ القرآنيّ مُخاطِبًا لعُقُولِهِمْ: إذا كانَ الأمرُ في شأنِ عيسَى عليه السّلام كذلك، فكيفَ تقُولُونَ في شأنِ آدمَ عليه السّلام ؟

وهوَ المخلُوقُ مِنْ غيرِ أبٍ ولا أمٍّ، فالتّساؤُلُ يكُونُ في شأنهِ أشدَّ مِنْ شأنِ عيسى، ولكنَّ آدمَ - مع معجزةِ خلقِهِ - عبدٌ مِنْ عبادِ اللهِ تعالى، فمِنْ بابِ أوْلَى أنْ يكُونَ عِيسىَ عليه السّلام، هو الآخرُ داخِلاً تحْتَ مظلّةِ العُبُوديّةِ هذه.[2]

وفي خطابهِ لليهُودِ، وادِّعائهم بأنّهُم شعْبُ اللهِ المُختار يقولُ: " وقالتِ اليهُودُ والنّصارَى نحْنُ أبنَاءُ اللهِ وأحبّاؤُهُ قُلْ فلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بذُنُوبِكُمْ بلْ أنتُمْ بشَرٌ ممَّنْ خلقَ يغْفِرُ لِمَنْ يشَاءُ ويُعَذِّبُ مَنْ يشَاءُ ".[3]

وهذا الرّدُّ مِن أبلغِ الرُّدُودِ، إذْ كيفَ يُعذِّبُ الحَبيبُ حبَيبَهُ ؟ وكيفَ يُحابِي اللهُ بشَرًا وأُناسًا ولوْ أساؤُوا الفعْلَ دُونَ غيرِهِمْ مِنَ البشَرِ وإنْ كانُوا مُحسِنِينَ ؟

فإنْ كانَ الأمرُ كذلكَ، فإنّهُ اتّهامٌ للهِ تعالىَ بالظُّلمِ وعدَمِ العدلِ _ تعالىَ اللهُ عنْ ذلك عُلُوًّا كبيرًا فهذا ممّا لا دَليلَ عليهِ.[4]

ونفْسُ الطّريقَةِ يسلُكُهَا القُرآنُ الكريمُ معَ المُشركِينَ ولنأخُذْ علَى ذلكَ مثَالاً مُحاجّةَ إبراهيمَ لعبَدَةِ الكواكبِ، إذْ

---

1 - آل عمران : 60.

2 - محمّد الطّاهر بن عاشور، مرجع سابق، جـ 3، ص 263.

3 - المائدة : 18.

4 - محمّد الطّاهر بن عاشور، مرجع سابق، جـ 6، ص 157.

يَقـُولُ :" فـلـَمَّا جـنَّ عليـهِ الليـْلُ رَأى كـوْكـبـًا قـالَ هـذا رَبـّي فَلمّا أفـلَ قـالَ لاَ أحـبُّ الآفـلـيـنَ فـلـَمَّا رَأى الـقـَمَرَ بازِغـًا قـالَ هـذا رَبـّي فـلمّا أفـلَ قـالَ لـئـنْ لَمْ يـَهـْدِنـي رَبـّي لأَكـُونـَنّ مـنَ القـوْمِ الضالـّينَ فـلـمَّا رَأى الشّـمسَ بـازِغـةً قـالَ هـذا رَبّـي هـذا أكـْبرُ فلـمّا أفـلَتْ قـالَ يـا قـوْمِ إنـّي بـَرِيءٌ ممـّا تـُشـرِكـُونَ ".[1]

وقـدْ ذكـرَ الـرّازي أنّ هـذه الـواقعـةَ، إنّمـا حَـصـلَتْ بسـبـب مـُناظـرَةِ إبـراهـيمَ الخـليـل عليـه السـّلام لـقـَومِهِ، مـنْ أجـلِ إرْشـادِهـمْ إلـى الحَقِّ والإيمانِ وأنـّه أرادَ أنْ يخُـاطـِبَ عـقـُولهـُمْ، ولم يكـُنْ أبـدًا مـتـعـلّقـًا بعبـادَةِ هـذهِ الكـواكـب.[2]

وقـد سـارَ إبـراهـيمُ عليـه السـّلام فـي محُـاورتـهِ لـقـَومـه ومحُـاجـتّـهِ إيـّاهـُم علـى طـَريقـةٍ مـنـطـقـيّةٍ، تـقـْرَعُ أبـْوابَ الـعُقـُول، وتـُوقـظُ الفـطـرَ السـَّوِيـّةَ، فـكـأنـّهُ يـقـُولُ لهـُم بـطـريقِ غـيرِ مـبُـاشرٍ : إنّ هاتِهِ الكـواكـبَ التـي تـعـْبُـدُونهـا آفـلـةٌ وآيـلـةٌ للـزّوال، فـلا تـسـتـحـقُّ العـبـادَةَ، ولا تـرقىَ لمـقـامِ الألـُوهـيـّةِ والـرُّبـُوبـيـّةِ، وإنّمـا هـي خاضِعـةٌ لقـانـُونٍ يحـْكـمُـهـا ويـُسـيـّرُ أمـْرَهـا .

هـذا وتـتـكـرَّرُ مـشـاهـدُ كـثيـرَةٌ مُمـاثِـلـةٌ عـنْ محُـاوراتِ إبـراهيمَ عليه السـّلام، وغـيـرِه مـنَ الأنبـيـاءَ لأقـْوامـِهِمْ، ودائـمـًا مـا نجـدُ عـنـْصـُرَ اسـْتـِحـثـاثِ العـقلِ علـى التـّفـكـير، والـوجـدانِ علـى التـأمُّل والاستيقاظِ فـي مـثلِ هـذهِ المـوَاقـفِ، ولذلك فـقـدْ رأينـا أنْ نـكـتـفيَ بمـجـرّدِ الإشارَةِ إلـى بـعضِ هـذهِ المـواطـنِ فـي القـرآنِ الكـريم ، فـمـنْ ذلكَ :

- قـوْلُ الحـقِّ سـبُحانـهُ :" قـالَ بـلْ فـعـلـهُ كـبـيرُهـُمْ هـذَا فـاسـْألُوهُمْ إنْ كـانُوا يـنطـِقـُونَ ".[3]

---

[1] – الأنـعام : 78.

[2] – الـرّازي، مـصدر سـابق، م 7، جـ 13، ص 51.

[3] – الأنـبـياء : 63.

- قولُهُ تعالَى :" قَالَ لهُ صَاحِبُهُ وهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بالذي خَلَقَكَ مِنْ تُرَاب ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمّ سَوّاكَ رَجُلاً ".[1]

_ وقَولُهُ عزَّ وجَلَّ : " أَلَمْ تَرَ إلى الذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ في ربِّهِ أنْ آتَاهُ اللهُ المُلْكَ إذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الذي يُحْيِي ويُمِيتُ قَالَ أنا أُحْيِي وَأُمِيتُ قالَ إبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأتِي بالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ ".[2]

**المَبْحَثُ السَّابِعِ :اللّينُ وخَفْضُ الجنَاح :**

فلا إقْنَاعَ مع القُوَّةِ والإكْرَاهِ، وإنّمَا يحْصُلُ الإقْنَاعُ إنْ كَانَ مُعْتَمِدًا علَى الكَلِمَةِ الطّيِّبَةِ والنّظْرَةِ الحَانِيَةِ والمُعَامَلَةِ الحَسَنَةِ، فإِذَا كَانَ الأمْرُ كذلك وصَلَ إلَى القَلبِ وآتَى أُكُلَهُ، إمَّا بالتّأثيرِ المُبَاشِرِ، وإمّا بكَسْبِ الطَّرَفِ الآخرِ إلى صَفِّكَ، ومع هذا وذاكَ فلا غِنَى للمُحَاوِر عَنِ اللُّطْفِ والإحسَانِ، وفي القُرآنِ الكَرِيمِ نَقْرَأ قَوْلَهُ تعَالَى :" اِذْهَبَا إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أوْ يَخْشَى ".[3]

وهُنَا نَرى أنّ الطَّرَفَينِ أبْعَد مَا يَكُونَا عنْ بَعْضِهِمَا مِنْ حيْثُ القَنَاعَاتُ والمُمَارَسَاتُ والأفكَارُ والمَوَاقِفُ، أضِفْ إلَى ذلك العَدَاوةُ القَائمَةُ بَيْنَهُمَا، ومع ذلك كُلِّهِ فَإنّ اللهَ تعالى يَأمُرُ مُوسى عليهِ السّلام _ وهُو النّبيُّ المُجْتَبَى _ أنْ يَذْهبَ هُوَ إلَى فِرعَوْنَ الذي طَغَى وبغَى، وأكْثرُ مِنْ ذلك فهُوَ الذي ادَّعَى أنّهُ الرَّبُّ الأعْلَى ولاَ رَبَّ سِوَاهُ ومَعَ هذِهِ الشّخْصِيَّةِ المُعَقَّدَةِ المُتَعَنِّتَةِ المُسْتَعْلِيَةِ، فقَدْ أمَرَ الحَقُّ سُبحَانَهُ مُوسَى بِأَنْ يَتَلَطَّفَ فِي القَوْلِ، عَسَى أنْ يَلِينَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ .

وعَنْ مَعْنَى الآيَةِ يَقُولُ العَلاَّمَةُ الطّاهَر بن عَاشُور _ رحمهُ اللهُ _

[1] – الكهف : 37.

[2] – البقرة : 258.

[3] – طه : 43 – 44.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والقوْلُ اللـّيّنُ: الكَلامُ الـدّالُّ عـلَى مـعَـانـي التـّرغـيـب والعـرْضِ، و واستدعَاءِ الامـْتـثـَال بـأَنْ يـُظـْهِرَ المـُتـكـلِّمُ للمـُخـاطَب أنّ لـَهُ مـِنْ سـدَادِ الـرّأيِ مـا يـتـَقـبَّـلُ بـه الحـَقَّ ... مـعَ تجـنـُّبِ مـا يـَشـْتـمِلُ الكـَلامَ على تسفيهِ رأيِ المـُخـاطَـب، أوْ تجـْهـيلـهِ ".[1]

فـلا بـُدَّ مـِنْ وَضـْع الكـَلِمـَةِ فـي قـَالـَبٍ مـِنَ المحـبـَّةِ، والأسـْلـُوبِ الهـادِئِ والقـَول اللـّيّـنِ، لأنّ فـتـْحَ القـُلوب لا يكـُونُ بالشـّدَّةِ والتـّعـْنـيـفِ مهـمَا كـان الخـَصـْمُ، وإنمّـا الـدّعـْوَةُ بالبـشـَارَةِ والنـّذَارَةِ حـَسب ما يقتضيـهِ الحـالُ، وقـدِ اسـْتعمـلَ مـُوسى عليـه السـّلام أسـْلـُوبَ التـّذكيرِ بـنِعَمِ اللهِ تعالىَ والتـّحـْذِيرِ مـِنْ عـقـَابـِهِ وعـَذَابـهِ.[2]

## المـَبْحـَثُ الثـّامـِنُ :المـَعـرِفـَةُ لمـَوضـُوعِ الحـوار:

فـيَـنـْبَـغـي علىَ المـُتـَصـَدِّرِ للحـوارِ مـع الآخـَرِ، أنْ تـتـكـوَّنَ لـدَيـْهِ المـَعـْرِفـَةُ الكـافِيـَةُ والإحـاطـَةُ بمـَوضـُوعِ الحـوارِ، والتـَصوُّر الصـّحيح عنـهُ .

وقـد ذَمَّ القـُرآنُ الكـريمُ فـي مـَواضـعَ كـَثـيرَةٍ، بعـْضَ الـذينَ يجُـادِلون حَوْلَ أفكارٍ لا عـلمَ لهـُم بهـا، ومـِنْ ذلك مـَثَلاً نجـِدُ قـَولـَهُ تعالىَ :" إنّ الذينَ يجـادِلُونَ فـي آيـاتِ اللهِ بـغـَيـْرِ سـُلطـَانٍ أتـَاهـُمْ إنْ فـي صـُدُورِهـِمْ إلاّ كـِبـْرٌ مـَا هـُمْ بـبـَالـغِيـهِ ".[3]

فـعـَدَمُ الإحـاطـَةِ بالمـَوْضـُوعِ والتـّصوُّرِ الصـّحـيحِ والكـَافـي عنـهُ، يجـْعَلُ مـِنْ عـَمَليـّة الحـوار، قـَضـِيـّةَ مـِزَاجٍ وعـُقـَدٍ نـَفـْسـِيـَّةٍ، قـائمـَةٍ علىَ اللـّفّ والـدّوران.[4]

---

1 - محمـّد الطـّاهر بن عـاشـور، مـرجع سـابق، جـ 16، ص 225.

2 - محمـّد حسـين فـضل الله، مـرجع سـابق، جـ 2، ص 67.

3 - غـافر : 56.

4 - محمـّد حسيـن فضـل الله، مـرجع سـابق، جـ 1، ص 51.

وقد سبقَ أنْ أشرْنا في موضعٍ آخرَ منَ البحثِ، أنّ القرآنَ الكريمَ كانَ يواجهُ الآخرينَ انطلاقًا منْ أفكارِهم هُمْ، فيطرحُها بكُلِّ شموليّةٍ وإحاطةٍ ثُمّ يناقشُها .

وهُنا نجدُ دورَ أتباعِ الأديانِ في غايةِ الأهميّةِ منْ حيثُ ضرورةُ عرضِ ما لديْهِم، وتقديمِه في شكلٍ دقيقٍ بعيدًا عنِ المبالغاتِ أوِ الانحرافاتِ الفكريّةِ، وذلكَ حتّى يتسنّى للكُلِّ معرفةُ ما لدى الآخرِ، لأنّ النّاسَ أعداءُ ما جهلُوا، فقد تزُولُ الكثيرُ منَ المعضلاتِ إذا أحسنّا عرضَ ما لدينا وأعطينا صورةً مفصّلةً عنهُ .

**المبْحثُ التّاسعُ : الحوارُ معَ أيّ طرفٍ كانَ :**

فالنّاظرُ في آياتِ القرآنِ الحكيمِ، يجدُ حواراتٍ بينَ الأنبياءِ وأقْوامِهِمْ على اختلافِ درجاتِ انحرافِهِمْ وبُعدِهِمْ عنِ الحقِّ، ومع ذلكَ لمْ يستكبرْ رُسُلُ اللهِ عليهم السّلام عنْ مواجهتِهِمْ ومناقشتِهِمْ، بلْ أكثرَ منْ ذلكَ، نجدُ الآياتِ التي تتحدّثُ عنِ الحوارِ الذي جرى بينَ الخالقِ سبحانَهُ وخيرةِ خلْقِهِ، وهُمُ الملائكةُ، وبالمقابلِ حوارُهُ معَ شرِّ المخلُوقاتِ، وهو إبْليسُ، وفي ذلكَ إشارةٌ بليغةٌ إلى أنَّ المحاورَ عليهِ أن يكُونَ مُستعِدًّا لمواجهةِ أيّ طرفٍ ومحاورتِهِ، مهمَا اختلفَ معَهُ فكْرًا أو عقيدةً .

ومنْ ذلكَ نقرأ قولَهُ عزّ وجلَّ : " ولقدْ خلقْناكُمْ ثمّ صوّرناكُمْ ثمّ قُلنا للملائكةِ اسجُدُوا لآدَمَ فسجدُوا إلاّ إبْليسَ لمْ يكُنْ منَ السّاجدِينَ قالَ ما منعَكَ ألاّ تسجُدَ إذْ أمرْتُكَ قالَ أنا خيْرٌ منْهُ خلقْتَني منْ نارٍ وخلقْتَهُ منْ طينٍ ".[1]

وغيرِ ها منَ الآياتِ التي تندرِجُ تحتَ نفسِ السِّياقِ.

---

[1] - الأعراف : 11 – 12.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهنا نلاحظُ منْ خلالِ الآيةِ الآنفةِ الذِّكرِ، سِماتِ هذه الشّخصيةِ الإبليسيّةِ، التي تجْمعُ بينَ التّكبُّرِ وعصيانِ الإرادَةِ الإلهيةِ، ومعَ ذلكَ التّحدّي بالإفْسادِ والشّرِّ، ورغْمَ كلِّ هذا وذاكَ يُقابلُهُ ربُّ العزَّةِ وهُوَ القادرُ والقاهرُ، بأنْ يترُكَ لَهُ المجَالَ والفُرصةَ ليَعْمَل ما يشَاءُ وغايةَ ما في الأمْرِ أنْ يُبيِّنَ لَهُ الجزَاءَ الذي ينْتظِرُه، وهُو القادرُ على أنْ يَقْصِمَهُ حالاً.[1]

وحتّى يومَ القِيامةِ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يحُاورُ أهْلَ الجنَّةِ، كمَا يحُاورُ أهْلَ النّارِ، ويبُيِّنُ لهُمْ أنّهُمْ لمْ يتّبِعُوا الدّليلَ والحُجَّةَ رغمَ سعةِ رَحمتِهِ تعالَى، ويُذكِّرُهُمْ بالمُهْلَةِ التي أعْطاهَا إيّاهُم في دارِ الدُّنيا، ولا يترُكُ لهُمْ مجَالاً للشُّبهَةِ، حتّى يعْلمُوا بعْدَ ذلكَ علمَ اليَقينِ أنّ دُخولهُمُ النَّارَ عدْلٌ منَ اللهِ تعالَى ولاَ ظُلمَ فيهِ، فلا يبْقَى لهُم بعدَ ذلكَ شكٌّ في خطئِهِمْ واستِهزْائِهِمْ واسْتِحقَاقِهم لمِثلِ هذا الجزَاءِ.[2]

فالمَطْلُوبُ إذنْ منَ المُسلِمينَ في عالَمِ اليومِ _ الذي لمْ تَبقَ فيهِ الأفْكَارُ حبَيسةَ عقُولِ أصْحابهَا _ أنْ يخُصِّصُوا جانبًا مُهمًّا منْ جهُودِهمُ الفكريّةِ منْ أجلِ الدُّخُولِ في هكذا حواراتٍ، دُونَ التّقوقُعِ على النّفْسِ أوْ رَفْضِ التّواصُلِ الحضاري معَ الآخرِ، وضَرُورة تخْصِيصِ كفَاءاتٍ علميّةٍ قادرةٍ على المُواجهةِ.

---

[1] – محمّد حسين فضل الله، مرجع سابق، جـ 2، ص 211.

[2] – محمد حسين فضل الله ،مرجع سابق، جـ 2، ص 170.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الثالث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الـفـَصـْلُ الـثـّالـثُ :الأسـُسُ القـُرآنـيـَّةُ لِمـَا بـَعـْدَ الحـِوَار:

فَبَعْدَ أنْ يُقَدِّمَ المُحَاوِرُ المُسلِمُ ما لَديهِ حَوْلَ القَضِيَّةِ المُثَارَةِ ويَسيرَ في ذلكَ وِفْقَ مَنْهَجٍ قُرآنيٍّ، يَعْرِفُ من خلالِهِ المُنطلقَاتِ الأسَاسِيَّةِ، يَبْقَى عَلَيْهِ بَعدَ ذلكَ أنْ يُواصِلَ هذا الأسْلُوب الحضاريَّ الرّاقي، بِبَعْضِ الأسُسِ نَذكُرُ منهَا:

### المـَبحَثُ الأوّلُ :التّسْلِيمُ بِنَتَائِجِ الحِوَار :

فالقُرآنُ الكريمُ لا يُريدُ مِنَ المُحَاوِرِ المُسلِمِ أنْ يَكُونَ مُعْتَدًّا بِرَأيِهِ ، رَافِضًا لآرَاءِ غَيرِهِ دُونَ تَبْرِيرٍ مَقْبُولٍ أوْ دَليلٍ مَعْقُولٍ ، بَلْ يَرْتَفِعُ بِهِ إلى مُستَوًى يجْعَلُ مِنْهُ مُستَعِدًّا لِقَبُولِ نَتَائِجِ الحِوَارِ مع الآخَرِ ، مهمَا كَانتْ هَاتِهِ الأخيرَةُ، فَلَوْ كانَ الآخرُ مُحِقًّا في بعْضِ الأمُورِ فلا يَنْبَغِي تجَاهُلُهُ ، أوْ تَسْفِيهُ رَأيِهِ لمجَرَّدِ اختلافِهِ معنَا ، ولَيسَ أدَلَّ على ذلكَ ممَّا جاءَ في قَوْلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ :" قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ والأرْضِ قُلِ اللهُ وَ إنّا أوْ إيَّاكُمْ لعَلَى هُدًى أوْ في ضَلاَلٍ مُبِينٍ ".[1]

فالحِوارُ الذي يُبْنَى على أساسٍ مِنَ الاحتِرَامِ المُتَبَادَلِ ، وَنُشْدَانِ الحَقِّ ، يَصِلُ بأَصْحَابِهِ لاَ محَالَةَ إلى نَتَائجَ طَيِّبَةٍ وآثارٍ حَمِيدَةٍ فبالإضَافَةِ إلى عَرْضِ الحقَائقِ ومُحَاوَلَةِ إقْنَاعِ الطَّرَفِ الآخرَ ، يكُونُ الاتّفَاقُ على نِقَاطٍ مُشْتَرَكَةٍ ومسائِلَ دارَ حولهَا الحوارُ ، وقَدْ تَعَرَّضَ القُرآنُ الكَريمُ لِقِصَّةِ آدمَ عليهِ السّلام مع إبليسَ ، وكَيفَ أنّ الحَقَّ سُبحَانَهُ تَركَ المجَالَ لإبليسَ _ مَعَ علمِهِ بحَالِهِ ومآلِهِ _ لِيُعَبِّرَ عَنْ رَأيِهِ ، ومع عِصْيَانِهِ وتمَرُّدِهِ فإنَّهُ لم يُعَاجِلْهُ بالعُقُوبَةِ ، بَلْ أخَّرَهُ وَتَرَكَهُ إلى أجَلٍ مَعْلُوم.[2]

---

1- سبأ : 24.

2- محمّد سيّد طنطاوي ، أدب الحوار في الإسلام ، د ط ، دار نهضة مصر ، مصر يونيو 1997 م ، ص 30 – 32.

كمَا يَدعُو القُرآنُ الكَريمُ أصْحَابَهُ إلى ضَرُورَةِ الالتِزامِ بمنهَجٍ حَضَارِيٍّ رَاقٍ في الحِوارِ ، بحَيْثُ يَرفُضُ أنْ يُبَادِرَ المُسلِمُ بسَبِّ آلهَةِ غَيْرِهِ أوْ أفكَارِهِ ومُعتَقَدَاتِهِ ، ويجعَلُ مِنْ ذلكَ منْهجًا لهُ ، كمَا يَطْلُبُ منْهُ مُواجَهَةَ الأفكَارِ والعَقَائِدِ بالدّليلِ والحُجَّةِ القَاطِعَةِ ، كمَا قَدْ مرَّ بنا في مَوضعٍ سَابقٍ مِنَ البَحْثِ ومِنَ الآيَاتِ الدّالَّةِ على هذا المَعْنَى أيضًا : قَوْلُ الحَقِّ سُبحَانهُ : " وَلا تَسُبُّوا الذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بغَيْرِ علْمٍ ".[1]

كمَا يَنبَغِي علَى المُحَاوِرِ المُسْلِمِ أن لا تحْمِلَهُ العَدَاوَةُ والمُناقضَةُ علَى البُعْدِ عَنِ العَدْلِ ومُواجَهَةِ نتَائِجِ الحِوار بالظُّلمِ أو الاعتِداءِ قَوْلاً أوْ فعْلاً، وعنْ هذا المَعْنَى يَقُولُ المولَى عزَّ وجلّ: " يا أيُّها الذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامينَ للهِ شُهَدَاءَ بالقِسْطِ كُمْ شنَآنُ قَوْمٍ على ألاّ تَعْدِلُوا ".[2]

**المَبْحَثُ الثّاني : العَمَلُ على خِدْمَةِ القَضَايَا المُشْتَرَكَةِ :**

فَحَتَّى مع اختِلافِ الآراء ، يَبْقَى المجَالُ للعمَلِ ضِمْنَ أطُرٍ مُشتَرَكَةٍ مجَالاً يَسَعُ الجميعَ ، فما أحْوَجَ الإنْسَانيّةَ ـ خُصُوصًا في هذا العَصْرِ ـ إلى مجْهُوداتٍ فَعَّالَةٍ ، تَعْمَلُ على نَشْرِ الخَيرِ والفضيلَةِ و مُحَارَبَةِ الشِّرْكِ والإلحَادِ ، والدّعْوَةِ إلى القِيَمِ الإنْسَانية النّبيلَةِ ونَبْذِ الجَرِيمَةِ و الانحِطَاطِ الأخلاقِيِّ ، والفَرَاغِ الرُّوحِيِّ الرّهِيب الذي تُعَانِي منْهُ شَرَائِحُ وَاسِعَةٌ مِنَ الأجنَاسِ المُختَلفَةِ ، وكذَا العَمَلَ على إحلال السِّلمِ وإخمَادِ نَار الحُرُوب التي تحْصُدُ أرواحَ الآلافِ مِنَ الأبريَاءِ العُزَّلِ .

وقد سَبَقَتِ الإشَارَةُ إلى الآيَةِ التي تَذكُرُ قَضيَّةَ الاتِّفَاقِ على المُشْتَرَكِ، في قَوْلِ الحَقِّ تعالَى:" قُلْ يا أهلَ الكِتَاب تَعالَوْا

[1]- الأنعام : 108.
[2]- المائدة : 08.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إلى كلمةٍ سوَاءٍ بيْننَا وبيْنكُمْ ..." .[1]

**المبْحَثُ الثّالث : التعّايُشُ** : فالإنسانُ اجتماعِيٌّ بطبعهِ لا يُمْكنهُ العيْشُ بمُفرْدِهِ ، منْعزلاً دُونما تأثيرٍ أوْ تأثُّرٍ ، وما دامَ الأمرُ كذلك ، ولأنّ الاختلافَ سنّةٌ كونيّةٌ لا مناصَ منهَا ، و واقعٌ اجتماعِيٌّ يفرضُ نفْسهُ بكُلّ ثقلهِ ، فقد وَجبَ منْ هذا المنْطلقِ على أهْلِ كُلّ ملّةٍ أنْ يُوفّرُوا الآلياتِ التي تُساعِدُ على العَيْشِ في سلامٍ وانْسجامٍ ، مع احترامِ كُلّ طرفٍ للآخرِ .

وهُنَا نجدُ أنّ الإسلامَ قد فتحَ البَابَ واسعًا لقضيّةِ التّعايُشِ فمُنْذُ الوهْلةِ الأولى وَضعَ مبَادِئهُ ، فعامَلَ اليهُودَ والنّصارَى معَامَلةً طيّبةً ، ومدّ جُسُورًا منَ الوُدّ والتّقارُب ، بينهُمْ وبيْنَ المُسْلمينَ ، فالإسْلامُ يدعُو الجميعَ إلى ضرُورةِ تكوينِ وِحْدَةٍ إنسانيّةٍ لا ظالمَ فيهَا ولا مظْلُومَ ، وأنْ يعْمَلَ الجميعُ علىَ التّنافُسِ والتّسابُقِ في الخيْرَاتِ ، بصرْفِ النّظرِ عن الاختلافاتِ العقَدِيّةِ ، مرْجئينَ الفصْلَ فيهَا إلى الله تعالَى يوم القيامةَ.[2]

وفي سبيلِ ذلكَ نجدُ القرْآنَ الكريمَ قد وضعَ الأسُسَ الضّرُورية لإنجاحِ هذا المبْدَأ فهَا هيَ ذي آيةُ التّعارُفِ تدُلُّ دَلالةً في منْتهى القُوّةِ على ذلكَ ، حيْثُ يقُولُ الحقُّ سبْحانهُ في سُورَةِ الحُجُرَاتِ :" يا أيُّها النّاسُ إنّا خلقْناكُمْ منْ ذكرٍ وأنْثى وجعلْناكُمْ شعُوبًا وقبَائلَ لتعَارَفُوا إنّ أكْرمكُمْ عنْدَ الله أتْقاكُمْ إنّ الله عَليمٌ خبيرٌ ".[3]

أيْ : خلقْناكُمْ منْ آدمَ وحوّاء عليهما السّلام فالكُلُّ سوَاءٌ في ذلكَ ، فلا وَجْهَ للتّفاخُرِ بالنّسَبِ.[4]

---

[1]- آل عمران : 64.

[2]- عبد العظيم إبراهيم المطعني ، مرجع سابق ، ص 105 – 108.

[3]- الحجُرات : 13.

[4]- الألوسي ، مرجع سابق ، م 13 ، جـ 26 ، ص 312.

والتّفاخرُ في النّظْرَةِ القرُآنيةِ لا يرَتكزُ على أسَاسِ الجنْسِ أو العرقِ ، وإنّما يكُونُ الفضْلُ فيهِ لأهْلِ الصّلاحِ والتّقْوَى ، وقد جعلَ الحقُّ سبُحْانَهُ النَّاسَ شعُوبًا وقبَائلَ منْ أجلِ التّعارُف والتآلفِ لا التّناكرِ والتّخالُفِ.[1]

وللعقَّاد كلامٌ رائعٌ في هذا الباب حيثُ يقَولُ :" فإذَا كانُوا قد تعَدَّدُوا شعُوبًا وقبَائلَ كمَا جاَء في الآيةِ الشّريفةِ ، فإنّمَا كان هذا التّعدُّدُ أقوَى الأسبْاَبِ لإحكْامِ صلةِ التّعارُفِ بينها ، وتعريفِ الإنسانيةِ بأسْرارِ خلْقهِا ".[2]

وقد فتَحَ الإسْلامُ باَبَ التّعايُش على الصّعيدِ الاجتماعي والعِرقي فاعْترَفَ بصِدْقِ النّبُوّاتِ السّابقةِ ، كما رأيْنَا في مواضعَ سَبقتْ كما أنّهُ قد قرَّرَ مبَدْأَ الأخوَُّةِ الإنْسانيّة العامّةِ، بل ذهب إلى أبعدَ منْ ذلكَ حينمَا ترَكَ الحُرِّيَّةَ لغيَرِ المسُلمينَ أن يعَيشُوا في ظلالِ الإسلامِ دُونَ أن يتخلَّوْا عنْ دِينهِمْ ، كما أنّه كفَلَ لهُمُ الحقّ في ممارسةِ شعائرِهِمُ الدّينيّةِ الخاصّةِ بهِمْ ، وأحلَّ منُاكحَتهُمْ ومعُاملَتهُم ماَليًا ، وحتّ أكْلَ ذبائحِهمْ .

وهذا طبَعْاً منَ الحوار العمليّ الذي لا يقَتْصرُ على مُجرّد الأقوَال والشّعَاراتِ الجافةِّ، التي تبقْى حبرًا على ورقٍ ولا تنزلُ إلى واقعِ النّاس ومعيشتِهم.

ويقُول السّير توما س أرنولد :" ويمُكننُا أنْ نحكُمَ منَ الصِّلاتِ الودّيةّ التي قامتَ بينَ المَسيحيينَ والمُسلمينَ منَ العرب ، بأنَّ القوَُّةَ لم تكُن عاملاً حاسمًا في تحويلِ النّاس إلى الإسلام ، فمَحُمّدٌ نفسهُ قد عقدَ حلفًا مع بعضِ القبائلِ المسيحيّةِ ، وأخذ علىَ عاتقهِ حمايتَهُم ومنَحَهُم الحرُيّةَ في إقامةِ شعَائرِهُم

---

1- محمّد الطّاهر بن عاشور ، التّحرير والتّنوير ، جـ 25 ، ص 258.

2- عباّس محمود العقاّد ، مرجع سابق ، ص 51 – 52.

الـدّيـنـيـةّ ، كمـا أتـاح لـرجـالِ الكـنـيسـةِ أنْ يـنـعـمـُوا بحـقـوقـهِم ونـفـوذهـمُ القـديم ، فـي أمـنٍ وطـمـأنـينـةٍ ".[1]

كمـا أنّ الإسـلامَ قـد وقـفَ مِـنَ الـنـّصـرانـيـةّ فـي الشـّام، مـوقـفَ التـّودُّدِ والتـّواصـلِ، رافـعـًا فـي ذلك شـعـارَ: " أنْ لاَ إكـرَاهَ فـي الـدّيـنِ " فـلم يجُـبـرِ الأهـالي علـى اعـتـنـاقـهِ، وتـركِ دِينـهـم.[2]

وقـد وضـعَ الـرّسـولُ صلـّى اللهُ عليـه وسلـّم الأسـاسَ المـكـينَ لـقـضـيَّةِ التـّعامـلِ مـع الـوفـودِ النـّصـرانـيـةِ أوْ غـيرِهـا مـنَ الـدّيـانـاتِ الأخـرَى فـقـد وردَ فـي سـيـرةِ ابنِ هشـامٍ: أنّ قـومـًا مـنْ نـصـارى نجرانَ قـدمُوا علـى الـرّسـولِ عليـه الصـّلاةُ والسـّلام، فـدخـلُوا عليـه فـي مـسجـدهِ حينَ صـلـّى العصـرَ وقـد حـانتْ صـلاتهُـم، فـقامـُوا فـي المـسـجدِ يـصلُّونَ، فلمْ يمـنـعـهُمُ الـرّسـولُ مـنَ الصـّلاةِ، وصـلـّوْا إلـى المـشـرقِ.[3]

وحـتّ عـنـدمـا كـان الاضـطـهـادُ يـنـزلُ علـى المـسلـمـينَ بمـكـةَّ مـنْ طـرَفِ المـشـركـينَ ، وحـيـنـمـا اشـتـدّ البـلاءُ علـى أصـحاب الـنـّبيِّ صـلـّى اللهُ عليـه وسلّم ، ولم يـكـنْ قـادرًا علـى حمـايـتـهـمْ قـال لهـُم :" لـوْ خـرجـتـُم إلـى أرضِ الحـبـشـةِ فـإنَّ بهـا مـلـكـًا لا يـظـلَمُ عـنده أحـدٌ وهـيَ أرضُ صـدق ، حـتّ يجـعـلَ اللهُ لكـُم فـرجـًا ممـّا أنـتـُم فـيـهِ " فخرجَ عنـدَ ذلكَ المـسـلـمُونَ مـنْ أصـحابِ الـنـّبيِّ صلـّى اللهُ عليـه وسـلّمَ إلى أرضِ الحـبـشـةَ ".[4]

كمـا أنـّهُ قـد جـرَى حـوارٌ دِيـنـيٌّ علـى درجـةٍ عـالـيـةٍ مـنَ الـوعـيِ فـي مجـلـسِ النـّجـاشـيّ ، دارَ بـيـنـهُ وبـيـنَ الصـّحـابيّ الجـليل جـعفرَ بن أبـي

---

[1] – سيـر تـوما س أرنـولد ، الـدّعـوة إلى الإسـلام ، تـرجمـة حسـن إبـراهيم حسـن وآخـرون ، ط 3 مـكـتبة النـّهضة المـصرية ، القـاهرة ، مـصر، 1981 م، ص 65.

[2] – شـكـري فـيـصل ، المجـتمـعـات الإسـلامية في القـرن الأوّل ، ط 5 ، دار العـلـم للمـلايـين بيـروت ، لبنـان ، 1981 م ، ص 64.

[3] – أبو محمـّد عبـد الملك بن هشـام ، سيـرة النـّبيّ صلىّ الله عليـه وسلّم ، تحـقيـق محمـّد محي الـدّين عبـد الحميـد ، د ط ، دار الفكـر ، 1401 هـ – 1981 م ، جـ 2 ، ص 206.

[4] – المـصدر نـفسه ، جـ 1 ، ص 343 .

طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكانَ محتْواهُ حوْلَ طبيعةِ هذا الدّينِ الجديدِ ، وعنْ نظْرتهِ إلى المسيحِ وأمِّهِ مريمَ عليهما السّلام وقد كانَ منْ نتيجةِ هذا الحوارِ أنْ أكْرَمَ االنّجاشيُّ وفادَةَ أصحابِ الرّسُولِ صلىّ اللهُ عليه وسلّم وأحسنَ نُزُلَهُم.[1]

ولعلّ منْ أبرزِ الأعمَالِ التي قَامَ بهَا النّبيُّ صلىّ اللهُ عليه وسلّم حينَ بنائهِ لدَولتهِ في المَدينةَ ، قيَامُهُ بعقْدِ معُاهداتٍ تنُصُّ بنُودُها على حمَايةِ الأقليّاتِ المَوجُودَةِ في المدِينةِ آنذاكَ .

هذا وإنّ ما قامَ به الرّسُولُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ يعُدُّ ميثَاقًا يجْمعُ أجنْاسًا مختلفَةً وأديانًا متُبايِنةً ، في وَطنٍ واحدٍ على أساسٍ منَ التعّاوُنِ والنُّصرْةِ ، ويتمَتَّعُ الجميعُ مع ذلك بالحُرِّيةِ والحمايةَ ، التي تكفُلُ لهُمْ حقَّ العيَشِ الكريم.[2]

ثمّ لنرْجعْ إلى المَدينةِ لنرَى أنّ أوّلَ مجُتمَعٍ إسْلاميٍّ هُو ذلكَ الذي شَادَهُ الرّسُولُ صلىّ اللهُ عليه وسلّم في المدينةَ ، والذي وَضَعَ لضمانِ استمْراريتَهِ وقُوَّتهِ وثيقةً تعُدُّ بمثَابةَ الدُّستُورِ في المفاهيمِ الحَديثةِ ، وهي ضمانٌ أكيدٌ لحقُوقِ المُواطنَةِ ، والتي يتمتَّعُ بها جميعُ الدّاخلينَ تحْت مظلّةِ هذا الميثَاق بما فيهم أهلُ الكتابِ وينُصُّ أيضًا على حمايتَهمْ كما يحُمىَ المُسلمُونَ تمامًا منْ أيِّ عدْوانٍ بمُوجبِ هذا العهْدِ.[3]

وإنّ تلكَ المعُاهدَةَ التّاريخيّة التي صَانَ بها النّبيُّ صلىّ اللهُ عليهِ وسلّم الحُقُوقَ ، وسبَقَ التّشرْيعاتِ علىَ اختلافِ مشَاربها إلى هذا السُّلوكِ

---

[1]- ابن هشام ، مصدر سابق ، جـ 1 ، 359 – 360.

[2]- عبد الرّحمن عزّام ، مرجع سابق ، ص 87.

[3]- محمّد نفيسة ، الحوار سبيل التّعايش مع التّعدد والاختلاف ، ط 1 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، 1415 هـ - 1995 م ، ص 32.

الإنسانيِّ المتُمَيِّزِ ، تعُدُّ حقيقةً مفْخَرَةً للإسلام مهما حاولَ الطّاعِنُونَ والمُشكِّكُونَ أنْ يتَّهِمُوهُ بالقُصُورِ وعَدمِ القُدرةِ علَى المُسَايَرَةِ و التّواصُلِ ، وإنّ مِنْ أبْرَز ما جاء في بنُودِ هذه المُعاهَدَةِ :

- " وأنّهُ مَنْ تبَعِنَا مِنْ يهُود فإنّ لَهُ النّصرْ والأُسْوَةَ غير مَظلومِينَ ولا متَنَاصرٍ علَيهم ".
- وأنّ يهُودَ بنَي عَوْفٍ أُمَّةٌ مع المُؤمنِينَ ، لليَهُودِ دينُهُم وللمسلمينَ دينُهُمْ ، مَوالِيهم وأنفُسُهم إلاّ مَنْ ظلمَ وأثِمَ ".

ثمّ ذكرتِ الصّحِيفَةُ بَقِيَّةَ بُطُونِ اليَهُودِ المَوجُودِينَ داخلَ المَدِينَةِ بِنَفسِ الحقُوق.[1]

وأمّا ما حَدَث بعد ذلك مِنْ إجْلاءِ اليَهُودِ عَنِ المَدينة ، فإنّما كانَ بسَبَبِ نقْضِهِمْ هُمْ للعهدِ المُبْرَمِ، وإثارَتِهِمْ للبَلْبلَةِ والفتنةِ بَلْ أكثَرَ مِنْ ذلكَ ، فقَد عَقَدُوا التّحالُفَاتِ مع أعداء المُسلمينَ لِيَضْرِبُوا قُوّتَهُم ، وإن ّالنّاظِر في هذا الإجلاءِ بعَيْنِ الإنصَافِ سَيَجِدُهُ في الحقيقَةِ رحمَةً بهِمْ ورفْقًا بحالهِمْ ، فلَوْ حدث مثلُ هذا التَّمرُّدِ و التّآمُرِ في أيِّ دولَةٍ كانَتْ في هذا العَصر،ترُى كيْفَ سيَكُونُ مَوقفُ الحاكم منْهُ ؟

فَممَّا لا يخْفَى أنّ كُلّ القوانينِ الدَّوْلِيةِ ، تُعاقِبُ على مثلِ هذِهِ "الخيانَةِ العُظمَى " كما يُطْلَقُ عليها حديثًا ، وحتىّ على أيّ نوْعٍ مِنَ التّآمُرِ على المَصلحةِ العامَّةِ للوَطَنِ ، وإثارَةِ الفَوضى ، بأشَدَّ ما يُتَصَوَّرُ مِنَ العُقُوبَةِ ، ولا تتَوانَى أيُّ دولةٍ في اتّخاذ الإجراءاتِ الرّدعِيَّةِ القاسِيَةِ ، حتىّ لا يَبْقَى أمْنُ الوَطنِ ألعُوبَةً في أيادي الطّائشِينَ أو المُتَرَبّصِينَ.

---

[1]– محمّد حميد الله ، مجموعة الوثائق السّياسية للعهد النّبوي والخلافة الرّاشدة ، ط 6 ، دار النّفائس ، بيروت ، لبنان ، 1407 هـ - 1987 م ، ص 60 – 61.

ولْنَعُدْ قَليلاً الآنَ لِنَسْتَكْمِلَ حَديثَنَا عَنْ تَعامُلِ النّبيِّ صلىّ اللهُ عليه وسلّم مع الأقلّيّاتِ الدّينيّةِ المُختلِفةِ ، فممّا يَشْهدُ لهُ التّاريخُ ، تلكَ المُعاهدة التي عقدَها في مَسْجدِهِ مع نَصارى نجرانَ.(*)، والعَهْدُ الذي أبْرَمَهُ معَهُم ، فقَدْ جاء في نَصِّهِ :"و لِنَجْرانَ و حاشيَتِها جوارُ اللهِ ، وذِمّةُ مُحَمّدٍ رسُولِ اللهِ على أموالهِمْ وأنْفُسِهِمْ ، ومِلّتِهِمْ وشاهِدِهِمْ ، وعَشيرَتِهِمْ وبيَعِهِمْ ، وكُلِّ مَا تحْتَ أيديهِمْ مِنْ قَليلٍ أوْ كَثيرٍ ، ولا يُغَيَّرُ أسْقُفٌ منْ أسقفيتِهِ ولا راهِبٌ مِنْ رَهْبانيَّتِهِ ، ولا كَاهِنٌ مِنْ كَهانَتِهِ ..." .[1]

هذا والنُّصُوصُ كثيرَةٌ في هذا البابِ، نكْتَفي بما ذكرْناهُ.

ونخْتِمُ هذه المَسْألَةَ بالقَوْلِ بأنّ الإسلامَ لم يجْعلِ احترامَ الأديانِ الأخْرَى سَجيّةً نافلَةً، بَلْ أوجَبَ على أصْحابِهِ الأمْرَ إيجَاباً في حَقِّ كُلِّ مَنْ يَعيشُ تحْتَ سُلْطانِهِم، فليْسَ لهُم أنْ يتعرّضُوا لهُ في حُرِّيّاتِهِ الشّخْصيّةِ والأساسيّةِ، والتي مِنْ أبرزِها حُرِّيّةُ العَقيدَةِ.[2]

* **التّعَايُشُ على الصّعيدِ الاجتماعيّ** : فلَمْ يقْتَصِرِ الأمْرُ في التّشْريعِ الإسلاميِّ علَى عدَمِ التّعرُّضِ لأصْحَابِ الأديان الأخرَى في خُصُوصيّاتِهِم ،بلْ فتحَ المجَالَ واسِعاً للتّعَايُشِ مَعهُم علىَ الصّعيدِ الاجتماعيِّ ، ويتَعلّقُ الأمْرُ بأخَصِّ الخُصُوصيّاتِ ، ألاَ وهيَ قَضيّةُ المُصاهرَةِ والزّواجِ ، فقدْ أباحَ الإسْلامُ لمُعتنِقيهِ الزّواجَ مِنْ أهْلِ الكتابِ ، ونجدُ التّأسيسَ القُرآنيَّ لهذه القَضيّةِ في قَولِ الحَقِّ سُبحَانَهُ :" والمُحْصَنَاتُ مِنَ المُؤْمِنَاتِ والمُحْصَنَاتُ مِنَ الذينَ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(*)–نجران : سبق التعريف بها ، انظر الصفحة : 25.

1– محمّد حميد الله ، مرجع سابق ، ص 176 .

2– صابر طُعيمة ، الإسلام والآخر ، ط 1 ، مكتبة الرّشد ، السّعودية ، 1428 هـ – 2007 م ص 300 – 301.

أوتـُوا الكـِتـَابَ مـِنْ قـَبـْلـِكُم إذا آتـَيـْتـُمـُوهـُنَّ أجـُورَهـُنَّ مُحْصِنِينَ غـَيـْرَ مـُسـَافِـحـِينَ ولاَ مـُتـَّخـِذِي أخـْدانٍ ". [1]

والمـَقـْصـُودُ بأهـْلِ الكـِتابِ فـي الآيـَةِ : اليـهـُودَ والنـّصارى ، الـذين دانـُوا بمـا فـي التـّوراةِ والإنجـيـلِ. [2]

فـقـَد أبـَاح الإسـلامُ للمـُسلـِمِ الـزّواجَ مـِنَ الكـتـَابـيـَّاتِ ، وذلك لمـَا بينَ المـُسلـِميـنَ وأهـْلِ الكـُتابِ مـِنْ مـَظـِنـَّة التـّقـارُب العـَقـَديّ ، فالكتـابيـّةُ تـَعـْتـَرِفُ باللهِ وتـُؤمـِنُ بـِهِ ، وكذلك تـُقـِرُّ بأصـُولِ الإيمـانِ ، كالإيمانِ باليـومِ الآخـِرِ والمـلائكـَةِ والـرُّسـُلِ ، وهـذا الـتـّقـارُبُ يجـْعـَلُ مـِنَ الـزّواجِ أمـرًا ممـْكـِنـًا ومُحـَقـِّقـًا لمـَقـَاصـِدِهِ الأسـاسـِيـّةِ ، كمـا أنّ الإسـْلامَ لم يـُفـَرِّقْ بـيـْنَ حـُقـُوق الـزّوجـَةِ المـُسْـلـِمـَةِ والـزّوجـَةِ الكـتـابـِيةِ ، ولم يـفـرِضْ قـُيـُودًا فـي جـَانبِ المـُصـاهـَرَةِ وعـلاقـَةِ الـزّوجِ المـُسلـِمِ بأصـْهـارِه غيـرِ المـُسـْلـِميـنَ .

وأمـّا عـَنْ قـضـِيـّةِ عـَدَمِ جـوازِ الـزّواجِ مـِنْ كـِتـابيٍّ بمـُسلـِمـَةٍ، فمِنْ أسـْبـَابـِهِ الظـّاهـِرَةِ:

_ أنّ الـرَّجـُلَ لـَديـْهِ القـُدرةُ علىَ فـَرَضِ رأيـِهِ أو دينـِهِ على زوجـَتِـهِ، وإذا لـمْ يـَكـُنْ خـائفـًا مـِنْ ربـِّهِ فلـَنْ يـُوقـِفـَهُ شـَيْءٌ فـي أنْ يـَفرِضَ دينـَهُ عليهـَا.

- أنّ غـَيـْرَ المـُسلـِمِ لا يـُؤمـِنُ بـِنـُبـُوَّةِ مُحـَمّدٍ صلىّ اللهُ عليـه وسلّم ، ولا يعتقدُ بـِرسـَالـَتـِهِ ، ولا يـُؤمـِنُ بالإسـلام ، فـهـُوَ لا يـَتـَحـَرَّجُ مـِنْ أنْ يـَسـُبَّ ديـنَ زوجـَتـِهِ ، ويـُسـَفـِّهَ عـقيـدَتهَـا ، ولا يُمـكِنُ _ والحـالُ هذه _ أن تستمرَّ الحـيـاةُ الـزّوجـيـّةُ مـع شـخـْصٍ لا يحـْتـَرِمُ ديـنَ الطـَّرفِ الآخـَرِ وقـِيمـَهُ ومـَبـَادِئـَهُ. [3]

---

1- المـائدة : 05.

2- الطـّبـري ، مـصدر سـابق ، م 4 ، جـ 6 ، ص 104.

3- صـابر طـعـيمة ، مـرجع سـابق ، ص 311.

ولا شكَّ أنّ المُصاهرَةَ مِنْ أقوى العلاقاتِ الإنسانيةِ ، وذلك لأنّ الزّوجَ مُطالَبٌ بالإحْسانِ إلى زوجتِهِ الكتابيّةِ ، وعدَمِ إكْراهها حتّى على اعْتِناقِ دينِهِ ، وكذا أوجبَ عليهِ الإحسانَ إلَى أهْلِهَا.[1]

كما لم يَقِفِ الأمْرُ عِنْدَ ذلك الحَدِّ في علاقَةِ المُسلمين بأهْلِ الكتابِ ، فقَدْ أباحَتِ الشّريعَةُ الإسْلاميّةُ ذبَائِحَ أهل الكتاب وأطْعِمتَهُمْ ، وذلكَ انْطلاقاً مِنَ النّصِّ القرآنيِّ الذي جاء فيه :" وطعَامُ الذينَ أوتوا الكتابَ حِلٌّ لكُمْ و طعَامُكُمْ حِلٌّ لهُمْ ".[2]

والمَقْصُودُ بالآيةِ : أنّ ذبائِحَ أهلِ الكِتابِ جائِزَةٌ للمُسْلِمينَ دُونَ ذبَائِحِ أهلِ الشِّركِ.[3]

وما دامَتْ ذبائِحُهُمْ حَلالاً ، فإطْعَامُهُمْ مِنْ طعَامِ المُسلمِينَ جائِزٌ بالضّرُورَةِ.[4]

يَقُولُ أسعَد السّحْمَراني عَنْ هذا الشّأنِ :" ومَا إحلالُ الطّعَامِ إلاّ رمزٌ لإحْلالِ سِواهُ مِنْ آلاتِ و أدواتِ الحياةِ اليَوميّةِ ، كالصّناعاتِ وعِمارَةِ البُيُوتِ وغَيْرِهَا ..." .[5]

وعَنْ علاقَةِ المُسلِمينَ بأهلِ الكتابِ نجدُ القُرآنَ الكريمَ يَضَعُ اللّبِنَاتِ الأولَى لإيجَادِ ذلك الجَوِّ الخَالي مِنَ الصِّراعَاتِ المُعْتَمِدَةِ على النّوايَا المُبَيَّتَةِ ، والانطلاق مِنْ مُنطَلَقِ الكَراهيّة المُتبَادلَةِ ،فقدْ قَالَ اللّهُ تعَالى :" لتَجِدَنَّ أشَدَّ النّاسِ عَدَاوَةً للذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ والذينَ

---

1- المرجع نفسه ، ص 312.

2- المائدة : 05.

3- الطّبري ، مصدر سابق ، م 4 ، جـ 6 ، ص 104.

4- الرّازي ، مصدر سابق ، م 6 ، جـ 11 ، ص 149.

5- أسعد السّحمراني ، الإسلام بين المذاهب والأديان ، ط 1 ، دار النّفائس ، بيروت، لبنان ، 1406 هـ - 1986 م ، ص 64 – 65.

أشْرَكُوا ولَتَجِدَنَّ أقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً للذِينَ آمَنُوا الذينَ قَالُوا إنَّا نَصَارَى ذلكَ بأنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ ورُهْبَانًا وأنّهُمْ لا يستكبِرُونَ ".[1]

وعَنْ سَبَبِ التّفَاوُتِ المَذْكُورِ بَيْنَ اليَهُودِ والنّصارَى فِي الآيَةِ مَسْألَتَانِ هُمَا :

**الأولَى** : أنّ اليَهُودَ والذينَ أشْرَكُوا مَخْصُوصُونَ بالحِرْصِ الشّديد علىَ الدُّنيا ، ففي آيَةٍ أخْرَى يَقُولُ الحَقُّ سُبحانَهُ واصِفًا طَبْعَهُمْ هذا: " ولَتَجِدنّهُمْ أحْرَصَ النّاسِ على حَيَاةٍ ومِنَ الذينَ أشْرَكُوا ".[2]

والحِرْصُ مِنْ أذَمِّ الأخلاق البَشَرِيَّةِ ، فَمَنْ كَانَ حَرِيصًا على تحصِيلِ الدُّنيا طَرَحَ دينَهُ فِي طَلَبِها ، واقْتَرَفَ فِي سَبِيلِ نيلِها كُلَّ مَحْظُورٍ .

**الثّانِيَة** ُ: أنّ النّصارَى أقَلُّ تَعَلُّقًا بالدُّنيا، وقد بَرَّرتِ الآيَةُ سَبَبَ مَوَدّتِهِمْ للمُسْلِمينَ بأنّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُون، ومَنْ كان كذلك فإنّهُ يكُونُ أقْرَبَ إلى قَبُولِ الحَقِّ مِنَ المُتَعَلِّقِ بالدّنيا الحَرِيصِ عَلَيْهَا، والمُسْتَكْبِرِ أنْ يَأتِيَهِ الحَقُّ مِنَ الغَيْرِ.[3]

و هذِهِ الآيَةُ لَيْستْ تَشْنِيعًا أوتحْرِيشًا ضِدَّ اليَهُود ، ولكنّها تَنْبِيهٌ إلى طَبِيعَةِ القَوْمِ و نَفْسِيَاتِهِمْ ، فلا يجُوزُ أنْ يَتّخذها أحَدٌ حُجَّةً على أنّ الإسْلامَ يَسْتَعدي أصْحَابَهُ على اليَهُودِ .

فالتّاريخُ مَلِيءٌ بمَوَاقِفِ اليَهُودِ _ لَيْسَ تجَاهَ المُسْلمينَ فَقَطْ _ بَلْ مَعَ كُلِّ الأمَمِ، فَقَدْ كَانُوا فِي أكْثَرِ الأحيانِ أوّلَ مَنْ يَنْقُضُ العُهُودَ، ويُدَبِّرُ المَكَائِدَ والمُؤامرَاتِ.

وعلى الرّغم مِنْ كُلِّ ذلكَ ، فَقَدْ شَهِدَ التّارِيخُ للفَتَرَاتِ التي عاشَ فيها اليَهُودُ والنّصارى وغَيْرُهُم مِنْ أهْلِ الأديانِ والمِلَلِ فِي جِوارِ المُسْلِمِينَ وحِمايَتِهِم ، بأنّهَا كانت فَتَرَاتٍ ذهَبِيَةً، تَمَتَّعَ فيها

---

1- المائدة : 82.

2- البقرة : 96.

3- الرّازي ، مصدر سابق ، م 6 ، جـ 12 ، ص 71.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجَمِيعُ بأعْلى مُسْتَوَياتِ الحُرِّيَّةِ وصِيَانَةِ الحُقُوق ، وذلكَ لأنَّ المُسْلِمَ الحَقَّ ، يَقْرأ دائمًا في كِتاب الله تعالى :" لا يَنْهَاكُم اللهُ عنِ الذينَ لم يُقَاتِلُوكُمْ في الدِّينِ ولم يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُم أن تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إليْهِم إنّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ إنّما يَنْهَاكُمُ اللهُ عنِ الذينَ قَاتَلُوكُمْ في الدِّينِ وأخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وظاهَرُوا علَى إخْرَاجِكُمْ أنْ تَوَلَّوْهُمْ ومَنْ يَتَوَلّهُمْ فأولَئكَ هُمُ الظّالمُونَ ".[1]

فلَمْ يَنْهَ اللهُ عزّ وجَلَّ المُسلِمينَ عَنِ الإحسَانِ والقِسطِ إلَى جميع أصْنَافِ أهْلِ المِلَلِ والأديانِ ، وإنّ الآيَةَ لم تُخَصِّص قَومًا دُونَ آخَرِينَ كمَا أنَّ الأرجَحَ أنّهَا لَيْسَتْ مَنْسُوخَةً.[2]

كما أنَّ الحَقَّ سُبْحَانَهُ لم يَنْهَ عَنِ التَّعَامُلِ بالحُسْنى مع الآخَرِ وإنّما نَهَى عَنِ المُوالاةِ القَلبِيَّةِ ، التي تُعْتَبَرُ ضَرْبًا لِوحدَةِ المسلمينَ وشَوكَتِهِمْ ، وخَرْقًا لِصَفِّهِمْ.[3]

وقد أشَرنا إلى قَضِيّةِ ما يُسَمّى : "بالخِيانةِ العُظْمَى " في المفاهيم الدّولِيةِ الحديثَةِ ، والتي تُنْزِلُ أشَدَّ العُقُوبَاتِ على كُلِّ مَنْ تَثْبُتُ في حَقِّهِ الإدانَةُ بمِثْلِ هذِهِ التُّهمَةِ .

وهاهُوَ السّير تُوماس أرنُولد يُقِرُّ بهذه الحَقِيقَةِ قَائِلاً :" وأمّا ولايَاتُ الدّولَةِ البِيزَنطِيّةِ التي سرُعَانَ ما استَوْلى عَلَيها المُسْلِمُونَ بِبَسَالَتِهِمْ ، فَقَد وَجَدَتْ أنّها تَنْعَمُ بحَالَةٍ مِنَ التّسَامُحِ ، لم تَعْرِفْها طِوالَ قُرُونٍ كَثِيرَةٍ بِسَبَبِ ما شَاعَ

[1] - المـمتحنة : 8 - 9 .

[2] - الطّبري ، مصدر سابق ، م 14 ، جـ 28 ، ص 66.

[3] - الرّازي ، مصدر سابق ، م 15 ، جـ 29 ، ص 305.

بينَهُم منَ الآراءِ اليعقُوبيَّةِ والنّسْطُوريَّةِ (*) فقد سمحَ لهُمْ أنْ يُؤَدُّوا شعائِرَ دينِهِم ، دُونَ أنْ يتَعرّض لهُم أحَدٌ ، اللّهُمَّ إلاَّ إذَا استَثْنَيْنَا بعْضَ القُيُودِ التي فُرِضَتْ علَيْهِمْ ، منْعًا لإثارَةِ أيِّ احتِكَاكٍ بينَ أتْبَاعِ الدّياناتِ المُتَنَافسَةَ أو إثَارَةِ أيِّ تعصُّبٍ "[1]

ويَقُولُ في مَوضعٍ آخرَ :" وإذا نَظَرْنَا إلى التّسَامُحِ الذي امْتدَّ على هذا النّحوِ إلى رعَايَا المُسْلِمينَ منَ المَسيحيّينَ في صَدْرِ الحُكمِ الإسلاميّ ، ظَهرَ أنَّ الفِكْرَةَ التي شَاعَتْ بأنَّ السَّيفَ كانَ العَامِلَ في تحْويلِ النَّاسِ إلى الإسْلامِ بَعيدةٌ عَنِ التّصْديقِ "[2]

وإذا رجَعْنَا إلى السُّنّة النّبَويةِ ، فإنّنَا سنَجدُ ما يَدعَمُ فكْرَة قبُولِ الآخرَ والإحسانِ إليهِ ، فقدْ سبَقَ و تحَدَّثْنَا في بحثنَا عَنْ سؤالِ أسمَاءَ بنتِ أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضيَ اللهُ عنها للنّبيِّ صلىّ اللهُ عليهِ وسلّم عَنْ طَريقَةِ تعَامُلِها مع أمِّهَا التي زارتْهَا وهي مُشْرِكَةٌ فأرشَدَها النَّبيُّ إلى استِقبَالها والإحسَانِ إليهَا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(*)-**النّسطورية** : منَ الفرق النّصرانية تنسبُ إلى"نسطور"، وقد كان بطريرك القسطنطينية والذي يرى أنّ مريم ولدتِ الإنسانَ ، ولم تلدِ الإلهَ ، وأنّ الاتحادَ بينَ الأقنومين _ الإله والابن _ ليسَ اتحّادًا حقيقيًّا ، بلِ اتّحادًا مجازيًا ، لأنّ الإلهَ منحهُ المحبةَّ ووهبَهُ النّعمَةَ ، فصار بمنزلة الابنِ وقد اعتُبر نسطور منَ الخارجينَ عن المسيحية والمُرتَدّين عنها ، وذلك بعد انعقاد مجْمَعَ أفسُسْ ( 431 م )، و الذي قرّر لعنَهُ وطرْدَهُ. **اليَعقُوبيةُ** : فرقةٌ من النّصارى تُنسبُ إلى يعقوب البراذعي ، وهو منْ أشهَر دعاتهَا وليسَ هو مُؤسّسها ، وإنّما الذي ابتدعَها هو بطريرك الإسكندرية في مُنْتَصفِ القرن الخامس الميلادي وهُم يَقُولونَ بأنّ المَسيح ذو طبيعةٍ واحدةٍ ، قد امتزج فيه عنصُر الإلهِ بعُنصُر الإنسان ، فتكُون الطّبيعةُ واحدةً جامعَةً بينَ اللاّهُوتِ والنّاسُوتِ ، وبسبب ذلك انْعَقَدَ مجْمعُ خلقدونية ( 451 م ) ، و الذي قَرَّر أنّ المسيح ذو طبيعَتينِ لا طبيعةٍ واحدةٍ ، وبسببِ هذا القرارِ انْفَصلتِ الكنيسَةُ المصريةُ عن الكنيسة الرُّومانيةِ. (**)

(**)- محمّد أبو زهرة ، محاضرات في النّصرانية ، ص 228 – 231.

1- توماس أرنولد ، مرجع سابق ، ص 74.

2- توماس أرنولد ، مرجع سابق ، ص 74.

وقد ذكرَ صاحبُ قصةِ الحضارةِ: أنّ الإسلامَ ظلَّ يتزعّمُ العالَمَ خمسةَ قرونٍ منْ عام 700 إلى عام 1200 م ، منْ حيثُ القوّةُ والنظامُ ومع ذلكَ فقدِ اتّصفَ برُقيِّ مستوى الحياةِ ، وروعةِ التشريعِ الإنسانيِّ الرّحيمِ و التّسامُحِ الدّينيِّ، كما يذكرُ أنَّ المسلمينَ كانُوا رجالاً أكملَ منَ المسيحيّينَ، منْ حيثُ حفظُهُم للعُهُودِ ورحمتُهُم بالمغلُوبينَ.[1]

ونختمُ هذه الجزئيةَ بالقولِ بأنّ المبدَأ العامَّ الذي جعلتْهُ الشّريعةُ الإسلاميّةُ منطلقاً وأساساً للتّعامُلِ _ مع أهلِ الكتابِ خاصةً _ هو ذلكُمُ المبدأ المعرُوفُ " لهُم مالنا ، وعليهم ما علينا " مع تركهم وما يَدِينُونَ وعدمِ التّعرُّضِ لهُمْ في شعائرهِمْ وأموالهِمْ ، وكُلِّ ما يُضيِّقُ عليهِمْ في معيشتِهِمْ ، وما أباحتِ الشّريعةُ القتالَ إلاّ في حالاتِ العُدوانِ ، وهذا القتالُ ينبغي أن يَنضبطَ بضوابطَ أخلاقيةٍ سنَذكرُهَا في مقامٍ لاحقٍ ، وهذا ما يجعلُهُ هوَ الآخرَ خاضعاً لمنظومةٍ أخلاقيّةٍ مبنيّةٍ على أساسِ إحقاقِ الحقِّ وإقامةِ العدْلِ ، دُونَ التّعدِّي أوِ الظّلمِ .

1– ول وايريل ديورانت ، قصّة الحضارة ، ترجمة محمّد بدران ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د س ن ، جـ 13 ، ص 382.

# الفصل الرابع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الفَصْلُ الرَّابعُ : قضايا مُثَارةٌ حول الموقف القُرآني منَ الآخرِ:

كثيرَةٌ هي الأفكَارُ والنَّظَريَّاتُ التي تَدُور حول قَضيَّةِ التَّواصُلِ الإنسَانيِّ والعَيْشِ في عَالَمٍ مِلْؤُهُ السّلامُ والتّنَاغُمُ ، بَيْدَ أنَّ هذهِ الأفكَارَ سرُعَانَ ما تَنْدَثرُ عندَ أوَّلِ مُواجَهَةٍ ، والقُرآنُ الكريم باعتبارهِ وحيًا إلهيًا ، لم يَكْتَفِ بالتّنْظِيرِ فقد وضع الأسُس المبدئية لهذهِ القَضيَّةِ ، وتَابَعَهَا إلى آخرِ مَراحلِهَا ، كما رأينَا مِنْ خلالِ البَحثِ ، إلاّ أنَّ بعْضَ المُمَارسَاتِ الخَاطئَةِ والنّزعَاتِ والأهواءِ الشّخصية لدى الكثيرِ منَ الأتباعِ تخْلُقُ نوعًا منَ النُّفُور ، وتَفْسَحُ المجَال لمَن يُريدُ التّشْكيكَ أو إثَارَةَ الشُّبُهَاتِ ، ومِنْ ثمّ فَقَدْ رأينا أن نخصّصَ جزءًا مِنْ الحديث حولَ هذه المُشكلِةِ ، لعلَّنَا نتَمكَّنُ من إبرازِ الموقفِ الصّحيحِ ، انطلاقًا منَ القُرآنِ الكريمِ نَفسهِ ومِنْ آراءِ العُلماءِ .

### المَبْحَثُ الأوَّلُ : القِتَالُ أو الحَرَبُ في نظرِ الإسْلام :

إنَّ المُلاحِظ للنُّصُوصِ القُرآنيَّةِ والمُتَتبِّعَ لها وللمَواقفِ النّبَويَّةِ ، سَيلمَسُ بوضُوحٍ الفكرةَ الدَّالَّةَ على أنَّ الحرْبَ ليسَتْ أصلاً في التّشريعاتِ الإسلاميّة ، وإنّمَا الأصْلُ هُو السّلمُ والتّعايُشُ ، فلا تُشْرَعُ الحرْبُ إلاّ في الحالاتِ الاضطراريةِ وهي _ مع ذلك _ غالبًا ما تكُونُ حربًا دِفاعيَّةً ، مُحَاطَةً بسياجٍ منَ الضَّوابطِ الإنسانيَّةِ التي ينبَغي الالتزامُ والتّقيُّدُ بها .

والإسلامُ كدِينٍ لم يُحَارب مَنْ رفَضَ اعْتنَاقَهُ لهذا السّببِ ، وإنّما لكَونهِ ينْطلقُ منْ عقيدَةٍ دِينيَّةٍ عدْوانيَّةٍ مُناهِضَةٍ للإيمانِ فإذا جاءَ العُدوانُ على المجتمعِ المُسلمِ فَمنَ البديهيّ أن تكُونَ هناك مُقاومَةٌ فلا ينْهى الشرّعُ عَنِ التّعَايُشِ الكريمِ والإحسَانِ وطيبِ المعاملةِ ، إلاّ أنْ يكُونَ الآخرُ مُحَاربًا مُعتَديًا ، أو نَاقِضًا للعُهُودِ ، والمَواثيقِ المُبرَمَةِ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فــإنْ أوقــَفَ العــُدوانَ ، فــقد وجــَبَ علــَى المــُسلمِ الجــُنوحَ إلــى الســِّلمِ وعــَدَمِ اســتغْـلالِ الفــُرصــَةِ للنــَّيــْلِ منــْهُ .[1]

وحــتَّ إذا رَجــَعــْنــَا إلــى واقــعِ المــُســْلــمينَ عنــدَ بــِدايــاتِ الــدّعوةِ في مكّةَ فــإنــّنــَا نجــِدُ أنهــُم كــانــُوا يــتــَعــَرَّضــُونَ للتــّعــْذِيبِ والاضــطهــادِ المتواصِلِ وقــد كــانــُوا فــي ظــِلِّ هــذه الظــُّرُوفِ الحــالــِكــَةِ ،يــأتــُونَ إلــى النــّبيِّ صلىَّ اللهُ عليــهُ وسلّمَ لــيــأذَنَ لهــُم فــي القــتالِ ، فكــَانَ لا يــَزيدُ على أنْ يــُصَبِّرهُم ويدعُو لهــُم ، لأنــَّهُ لم يكــُنْ يمــْلِكُ إجــْراءً مــُنــاســِبــًا يــَتــّخــِذُه لحــَسْمِ الموقِفِ ، ولأنَّ الإذنَ الإلهــيّ لم يــَنــْزِلْ بعــْدُ .

والآيــَةُ واضــحــَةٌ في ذلك حــَيثُ يــَقــُولُ الحــَقُّ تعــالى :" أُذِنَ للــذينَ يــُقَاتــلــُونَ بأنهــُمْ ظــُلــِمُوا وإنَّ اللهَ علىَ نــَصْرِهِمْ لــَقــَديرٌ ".[2]

فالــذي يــَنطــَلــِقُ مــِنْ طــَبيــعــَةٍ عــُدوانــيــَّةٍ ، لا يحــْتــاجُ أصــلاً للانــتظــَارِ كــُلَّ هــذه المــُدَّةِ حــتىّ يــَرُدّ العــُدوانَ بــَلْ ســَيــَرُدُّ بكــُلِّ مــا أوتــيَ مــِنْ قُوَّةٍ هــذا إنْ لم يــَكُنْ هــُوَ المــُعتــَدي ابتــِداءً .

ولذلك نــرى أنَّ الإســلامَ كــان حريصــًا على حــفظِ الأنــْفُسِ والمــُهــَجِ منذُ البدايةِ وحــتّ الــذي يــَتــأمــَّلُ فــي الآياتِ الــتي تحــَدَّثــَتْ عــَن قضايــَا القتال ، سيُلاحِظُ أنَّ صــيــَغَ " يــُقــَاتــلــُونَ " ، " يــُقــَاتــِلُ " و " قــَاتــِلــُوا " ، تــَدُلُّ على مــَعْنىً فــي غــَايــَةِ الأهــَمــِّيــَّةِ ، وذلكَ أنَّ العبــَارَة جــاءتْ علــَى وزْنِ : "فــَاعــَلَ " وفيهَا دلالــَةٌ على أنَّ الطــَّرفَ الآخــَرَ ليــْسَ مــُســَالمــًا ، بــَلْ قــدْ فــَعــَلَ الفعلَ و وَاصلَ فــِعــْلــَهُ الذي يــَتــَمــَثــَّلُ فــي القتــال ، فــلا يــُعــْقــَلُ أن يــُوَاجــَهَ بالمــُسالمةِ وهــُو على مــِثلِ هــذه الحــالِ مــِنْ مــُواصلــَةِ العــُدوانِ وإصــْرارِه عليــه .

---

[1]- عبــد الكــريم غــلاّب ، صــراع المــذهب والعــقــيــدة فــي القــرآن ، ط 1 ، دار الكــتاب اللّبــنــاني ، بيــروت ، لبنــان ، 1973 م ، ص 384 – 386.

[2]- الحــجّ : 39.

ثمّ إذا رجــعــنْــا إلــى آيــاتِ الإذنِ بالقتــالِ فــإنــَّـا ســنَجــدُ أنّ القرآنَ الكريمَ قــد بــرّرَ ســببَ الإذنِ بالقتــالِ ، بأنــّهُ مــنْ أجــلِ رفْــعِ الظــُّلمِ ، وكذا التــّمكــينِ للحــرّيــّةِ الــدّيــنــيَّةِ ، ومــا ذِكــرُ الآيــاتِ لأمــاكنِ العبــادةِ وضــرُورةِ المحــافظــةِ عليهــا حيثُ يقــولُ : " ولــَوْلاَ دَفــْعُ اللهِ النــَّاسِ بــعــْضــهُم بــبــعْضٍ لهــُدِمــتْ صــوامــعُ وبــيــَعٌ وصــلــوَاتٌ ومــساجدُ يــُذكــرُ فــيهــا اسمُ اللهِ كــثيــرًا ".[1] إلاّ تــوطــيدٌ لهــذا المــعــنىَ وتــأصــيلٌ لــهُ .

وهــذا الــدِّفــاعُ يــنــتــفــعُ بــه أهــلُ الــدّيــانــاتِ الســّمــاويــةِ بشكلٍ خاصٍ مــنَ اليــهُودِ والنــّصــارى والمــسْــلمــينَ ، وهــُو لــيَــسَ دِفــاعــًا عن مــصلحةٍ خــاصــةٍ، ولذلك ذكــرتِ الآيــةُ مــعــابدَ أهــلِ هــذه الــدّيــانــاتِ [*]، وذُكِرَتْ مــعابدُ غــيرِ المــسلمــينَ فــي الآيــةِ ، لكــونهــا كــانتْ مــوجــُودةً ، فلمْ يــأمــرْ الإســلامُ بهــدمــها ، بلْ نهــى عــنْ ذلك.[2]

كمــا أنَّ الإســلامَ " قــد مــازجَ بــينَ أمــمٍ مختــلــفــةٍ ، دخــلُوا تحتَ سُلطانِ المــسْــلمــينَ مــنْ نــصــارى العــربِ و مجــوسِ الفــرْسِ ، ويــعاقــبَةِ القِطِ ، وصَابئةِ العــراقِ ويهــودِ أريحــاءَ ، فكــانــُوا مــع الجــمــيعِ على أحــْسنِ مــا يــعامــلُ بــهِ العــشِيرُ عــشــيرَهُ ، فــتــعــلّمــُوا مــنــهُم وعــلــّمــُوهُم ، وتــرْجمــُوا كتــُبَ عــلــُومِهِم ، وجــعــلُوا لهــُمُ الحــرّيــّةَ فــي إقــامــةِ رُســومــِهمْ ، واستبقَوْا عَوائدهُمُ المــتــوَلــّدَةِ مــنْ أديــانهــمْ ".[3]

وإنَّ فــتــحَ مكــّةَ ومــا صــاحــبــَهُ مــنْ تــواضــُعِ الــرّســُولِ صــلىّ اللهُ عليــهِ وسلّم ونهــيِ المــسْــلمــينَ عــنِ المــبــادرةِ إلــى القــتــالِ ، وخــاتمــتــُهُ الــتي لاَ تــصــدُرُ إلاّ عــنِ العــظــمــاءِ ، الــذينَ تخــلــّصُوا مــنْ شــهــواتِ

---

1- الحــــجّ : 40.

(*)-البِــيــَعُ : جمــعُ بــيعــةٍ : وهي أمــاكنُ عبــادة النــّصارى / الصّلــواتُ : جمــعُ صــلاةٍ : وهــي معــابــدُ اليــهود / المســاجد : وهي أماكن عبــادة المسلميــن .

2- محمــّد الطــّاهر بن عــاشــور، التــّحرير والتــنــوير، جــ 17 ، ص 276 – 278.

3- محمــّد الطــّاهر بن عــاشور ، أصــول النــّظام الاجــتمــاعي فــي الإســلام ، ط 2 ، الــدّار التــونســيــة للتوزيع ، ، تــونس ، المكــتبة الــوطــنية للكــتاب ، الجــزائر ، د س ن ، ص 232.

النـفسِ وجُنونِ العـظمـةِ ، والـرّغـبةِ في الانـتقـامِ ، بعـدَ الـتـمـكـينِ والانـتـصارِ المـؤزَّرِ فـقدْ بـقـيتْ تلكَ الكـلـماتُ الـتي ألـقـاهـا رَسـولُ اللهِ ، نـاصـعةً خـالـدةً على صـفـحـاتِ التـاريـخِ فـقدْ خـاطـبَ أهـلَ مـكـةَ قـائـلاً : " يا معشرَ قـريـشٍ مـا تـظـنـونَ أنـي فـاعـلٌ بكـمْ ؟ فـقـالُوا : أخٌ كـريمٌ وابن أخٍ كريمٍ فقـالَ صـلىَّ اللهُ عليـه وسلّم : " لا تـثـريـبَ عـلـيكـمُ اليـومَ يـغـفرُ اللهُ لكُمْ " اذهـبـوا أنـتـمُ الطـلـقـاءُ ".[1]

وقـد ذكـرَ تـومـاس أرنـولد واقـعَ المـسيحـيـينَ في فـتـرةِ خـلافـةِ مـعـاويـةَ ( 661 – 680 م / 41 – 60 هـ ) ، بـأنهـا كـانتْ نـعـمةً عليهـم وأنهـم قـد تمـتـعـوا بحـريـةِ التـفـكـيرِ والأمـنِ عـلى ممـتلـكاتهم و حيـاتهِمْ بـلْ أكـثرَ مـنْ ذلك ، فـقدْ تـوسـعَ مـعـاويـةُ في إلحـاقِ المـسيحـيـينَ بمـراتـبِ هـامـةٍ فـي الـدولـةِ ، وحـذا حـذوَهُ أفـرادٌ آخـرُونَ مـنَ الـبيـتِ المـالكِ.[2]

**المـبحـثُ الثـاني : الجـزيـةُ وأهـلُ الـذمـةِ :** يحـاولُ بعـضُ المـشـكـكينَ والنـاقـمينَ على الإسـلامِ ، أنْ يجـدُوا دائـمـاً ثـغـراتٍ يـتـسـللـونَ مـنْ خـلالهـا لـضـربِ بنـاءِ هـذا الـديـنِ ، ومحـاولـةِ إثـارةِ الـشـبـهاتِ ، ولعلَّ مـنْ أبـرزِ هـذه الـثـغـراتِ _ حسـبَ اعـتـقـادهم _ قـضـيـةُ أهلِ الذمـةِ ومـا يـلـحـقُ بهـمْ مـنَ الأحـكامِ ، وخـاصـةً مـا يـطلـقُ عليـهِ : الجـزيـةُ .

ولذلكَ سنـحـاولُ بـيـانَ الحـقـيقـةِ ، وتـوضـيحِ الفـكـرةِ وردِّ الشـبـهاتِ مـنْ خـلالِ التـطـرُّقِ للمـفهـومِ والأحكامِ المـتعـلـقةِ بالمـسألـةِ .

---

[1]- ابـن هشـام ، مـصدر سـابق ، جـ 4 ، ص 32.

[2]- تومـاس أرنـولد ، مـرجع سـابق ، ص 81.

**أوّلاً _ أهــلُ الــذِّمــَّةِ :**

***المَـــفـــْـــهُومُ :**

**أ ـ لـغَـةً :** الــذِّمــَّةُ هــي: الأمــَانُ والعــهــْدُ.(1)

**بــ ـ اصــْطــلاحــًا :** الــذِّمــِّيُّ : هــُوَ الــذي يــُقــِيمُ مــع المــُســْلــمــينَ علــىَ أنْ يــَكــُونَ لــَهُ مــا لهــُمْ وعليــهِ مــا عــَلَــيــهِمْ ، وهــُوَ يــُقــِيمُ مــعَ المــُسلمِينَ بــعــَقْــدٍ يــُقــَالُ لــَهُ : عــقــْدُ الــذِّمــَّةِ.(2)

*** الأحــْكَــامُ المــُتــعَــلــِّقــَةُ بهــِمْ :** يــُوجــِبُ الإســْلامُ علــى أصــْحابــهِ حمــَايةَ مــُوَاطِنــيــهِمْ مــنْ أهــْلِ الــذِّمــَّةِ ودفــْعِ الظــُّلمِ عــنــْهُم مــنْ أيِّ جهةٍ كــانتْ وإذا عــجــزَ المــُسْلــمــُونَ عــنِ الــوَفــاءِ بالعــهــْدِ فــقدْ وَجــَبَ عليهِم ردُّ الجزيةِ الــتي يــأخــُذُونهــَا مــنهُم ، ويــُعــدُّ العــقــْدُ مــلــْغــيــًّا.(3)

وقــد أقــامَ غــيــْرُ المــُسْلــمــينَ بــيــْنَ أحضــانِ المجــْتــمعِ المــُسلمِ مُــتمتِّعينَ بــعــُقــُودِ أمــَانٍ أعــْطِيــتْ لهمْ ، وقدْ كــانَ عــهــْدُ الأمــَانِ الــذي عــقدَهُ الرّسُولُ صلىّ اللهُ عليــهِ وسلّم لــنــصــارى نجــْرانَ ، هــُوَ النــَّمــوذَجُ الــذي ســارتْ علــَى شــاكــلــتِهِ الــعــُهُودُ فــي الأزمــَانِ اللاّحــقــَةِ.(4)

فالــعــلاَقــَةُ بــيــْنَ المــُســْلــمــينَ والآخــريــنَ الــذينَ يــعــيــشــُونَ بــينَ ظهــْرَانــيهــِم ، عــلاقــَةُ أمــَانٍ وعــَهــْدٍ ، فــعــَهــْدُ الــذِّمــَّةِ عــَهدٌ أبــديٌّ لمِــنِ الــْتــزَمَ بأحــْكَــامــهــَا ، فــلَــيــْسَ لأحــدٍ مــنَ المــُســلــمــينَ الاعــتداءُ عليــهِ أوْ إيــذَاؤُهُ ، وهــذهِ التــّســْمــِيَةُ : "الــذّمــّة" مــُشــتــقــَّةٌ مــنْ ذِمــَّةِ اللهِ ، وهــيَ أكــْبرُ كــفــيلٍ لأنْ لاَ تــضــيعَ حــقــُوقــهُ ، لأنَّ المــُســلــمَ يــعلمُ أنــّهُ إذا تــعرَّضَ لــهُ ، فــكــأنــَّهُ تجــرَّأ على اللهِ.(5)

---

1- ابــن مــنــظور ، مــصدر ســابق ، جــ 7 ، ص 202.

2- محمــّد أبــو زهــرة ، الــدّعوة إلــى الإســلام ، د ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1992 م ، ص 58.

3- أســعد الســّحمــراني ، مــرجع ســابق ، ص 86 – 88.

4- صــابر طــعيمــة ، الإســلام والآخــر ، ص 388.

5- عبــد الــرّحمــن عــزّام ، مــرجع ســابق ، ص 124.



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقــد تــقُــبُــلّ اليهــودُ وغــيــرُهُم فــي المــدينــةِ ، شــريطــةَ أنْ يــقْطــعُوا الصــلّــةَ بأعــدَاءِ الــدَّولــةِ ، مــع تمــكــينــهِمْ مــنَ الاحــتــفــاظِ بدينــهِم وتمتُّعِهمْ بحــقُــوقــهِمُ الشــخْــصــيّة ، بــلْ إنَّ هــذهِ الحــقُــوقَ كــانتْ مــعُــادِلةً لحــقُوق المــسْــلــمــينَ ، مــقُــابــلَ أنْ يــشْــاركُوا فــي نــفَــقــاتِ الحرْبِ دُون المــشاركةِ المــبُــاشــرةِ فيهــا إلاّ بــرغْــبْــتــهِمْ هــمْ ، فــقد كــانُــوا ــ حســبَ الاصــطلاحِ العــصري ــ مــسْــتــقــلّــينَ على الصــعّــيدِ الــدَّاخــليِّ ، فقــدْ كان هدفُ الــدَّولةِ تحــقْــيقَ الــرَّخاءِ للجــمــاعة المــتــعــايــشــةِ فــي وطــنٍ واحــدٍ مــادِّيــاً ورُوحيًّا بــقــصْدِ إســداءِ المــعْــرُوفِ ونــشْرِ الأخــوَّةِ الإنســانــيــةِ.[1]

وأمــّا مــا يــثُــارُ فــي بعــضِ الآراءِ مــنِ الادِّعــاءِ القــائلِ بإهــانــةِ أهلِ الــذِّمَّةِ مــنْ حــيْثُ المــسْتــوَى الاجــتماعيُّ ، فــإنَّ التــاريخَ يــكــذِّبــهُ ، ويــشهَدُ بعكسهِ تمــامــاً ، فــقــد بــلغَ الكــثــيرُ مــنــهُم مــراتــبَ عــالــيــةً فــي الــدّولــةِ ،لم يــبــلُــغهــا الكــثــيرُ مــنَ المــسْلــمــينَ ، وأمــّا عــنْ قــضــيــةِ الــزِّيِّ وأنهُم قدْ فــرضَ عليــهِم فــي فــتــرَاتٍ مــعُــيــنَّــةٍ زيٌّ يــهُــينُ إلى مــسْــتــواهُم ، ويحــطُّ مــنْ قــيــمــتــهِمُ الاجــتــمــاعــيَّةِ ، فــإنــّهُ لم يــرِدْ فــي ذلكَ نــصٌّ مــنَ القُرآنِ أوِ الســنّــةِ ، ولا حــتّ فــي إشــارةٍ مــنْ ذلكَ فــي عــهُــودِ الخــلافــةِ الــرّاشــدةِ إلاّ مــا كــانَ فــي عهــدِ عــمُرَ بنِ الخــطّــابِ رضي اللهُ عنــهُ ، وذلك بعــدمَا اتّسعتْ رُقــعْــةُ الفــتُــوحــاتِ إلــى خــارج الجــزيــرةِ العــربــيــةِ ، فطــلُــبَ في بعــضِ الأحيــانِ مــنْ أهــالي تلكَ البــلُــدانِ المــفْــتــوحــةِ ، ألاّ يــقُــلّــدُوا زيَّ الفــاتحِينَ وذلكَ لــضَرُوراتٍ أمــنــيــةٍ ، وهــذا مــا تــفْــعــلُــهُ الحــكُــومــاتُ الحــديثــةُ تمــامــاً ، حــيْــثُ أنهَّــا

[1]– مــارســيــل بــوازار ، إنســانــيــةُ الإســلام ، تــرجمــة : عــفيــف دمــشــقــيــة ، ط 1 ، دار الآداب بيــروت ، لبنــان ، 1980 م ، ص 155.

تَمْنَعُ رعايَاهَا مِنْ تَقْليدِ رجَالِ الأمْنِ والجيشِ في زَيِّهِمُ الرَّسْمِيِّ.[1]

ويذكُرُ السّير تُوماس أرنولد : أنَّ بعْضَ الانحرافَاتِ التي حدثَتْ في التّاريخِ الإسْلامِيِّ تُجَاهَ أهْلِ الذِّمَّةِ ، وإقْصَاءَ هُمْ مِنَ الوظائفِ الحكوميةِ كَانَتْ مواقفَ شاذَّةً راجعَةً إلى أمْرَيْنِ رئيسيّيْنِ هُمَا :

- سَخَطٌ شَائِعٌ ، أثَارَهُ سُلوكُ المُوَظَّفِينَ المَسِيحيّينَ المُنحرِف .

- أوْ إلى سَوْرَاتٍ مِنَ التَّعَصُّبِ ، حمَلَتِ الحُكُومَةَ على القيَامِ بأعمال تَعَسُّفِيَّةٍ ، تتَنافَى مَعَ الرُّوحِ العَامَّةِ للإسْلامِ .

إلاّ أنَّ هذِه الحالاتِ سُرعَانَ ما كانت تتَلاشَى، ولم تكُنْ إلى حَدٍّ كبيرٍ نابِعَةً مِنْ شعُورٍ دينيٍّ لأصْحَابهَا، بقَدْرِ ما كانت صَادِرَةً إثْرَ ظُرُوفٍ سِيَاسِيَّةٍ، غَلَبَتْ على العَصرِ الذي انتَشرَتْ فيهِ هذهِ المُمَارَسَاتُ المحْدُودةُ.[2]

كما تحَدَّثَ في مَوضعٍ آخرَ عَنْ وضْعِ الأقْبَاطِ حَيْثُ يقُولُ: " وقد جَلَبَ الفتْحُ الإسْلامِيُّ إلى هؤُلاءِ القبْطِ حياةً تقُومُ على الحُرِّيَّةِ الدِّينيَّةِ التي لم ينْعَمُوا بهَا قبْلَ ذلك ، بقَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ وقد ترَكَهُمْ عمْرو أحرارًا على أنْ يدْفعُوا الجزيَةَ ، وكَفَلَ لهُمُ الحُرِّيَّةَ في إقامَةِ شعَائِرِهِمُ الدِّينيَّةِ ، وخلَّصَهُمْ بذلك مِنْ هذا التّدخُّلِ المُسْتَمِرِّ الذي أنُّوا مِنْ عبْئِهِ الثّقيلِ في ظِلِّ الحُكمِ الرُّومانِيِّ ، ولم يضَعْ عمْرو يدَهُ على شَيْءٍ مِنَ مُمْتلكَاتِ الكنَائِسِ ، ولم يرْتكِبْ عمَلاً مِنْ أعمَالِ السّلْبِ والنّهْبِ ".[3]

---

[1]- أسعد السّحمراني ، مرجع سابق ، ص 89 – 90.

[2]- توماس أرنولد ، مرجع سابق ، ص 95.

[3]- المرجع نفسه ، ص 123.

كمـــا أنَّ المـَـســـيـــحيـــّينَ قـــدْ تمـَـتـــَّعـــُوا في عـَـصـــرْ صلاح الدِّينِ الأيُّـــوبيِّ (*) فـــي مـــصْرَ بالســـّعـــادَةِ إلـــى حـــدٍّ كـــبَـــيرٍ ، فـــقـَـدْ عـــرُفَ عـــهـــْدُهُ بالتـــّســـامُحِ الـــدّيـــنيّ ، وتخـْـفـــيـــفِ الضـــَّرائـــبِ المـَـفـــرُوضـــةِ علـــيـْـهم ، وإزالـــةِ بعضها جمُلَةً وأكـــثـــرُ مـــنْ ذلكَ فـــقـــد مـــكـــَّنـــهُم مـــنَ الارتـــقـــاءِ إلـــى وظـــائـــفَ عـــالـــيةٍ فـــي الـــدَّولـــةِ لم يـَـصـــلـــهْـــا الكـــثـــيرُ مـــنَ المـــُســـلمـــينَ ، كالوزارةِ ، والصَّيـــْرَفَةِ ولم يـــكُن هـــُناكَ بـــوُجـــهٍ عـــامٍّ مـــا يـــُعـــكـــِّرُ عـــلـــيـْـهِم صـــفـــْوَ حيـــاتهِمْ.[1]

ونخـْـتـــمُ هـــذهِ الفـــكـــْرَةَ بـــرأيِ الكـــاتب : ألـــيسكي جـــُورافسكي حيثُ يـــُقرِّرُ بـــأنَّ انـــتشـــارَ الإسـْـلامِ الـــسـّـريـــع ، وتـــرَســـُّخـــهُ الـــقـــَويَّ علـــى مـــُســـْتـــوى القـــارَّتـــيـْـنِ الآســـيـــويـــَّةِ والإفـــريـــقـــيـــَّةِ ،أثـْـنـــاءَ الفـــتـــُوحـــاتِ الـــدّيـــنـــيـــَّةِ للعـــرَب ، حـــيثُ اســـتـــقـــبـَـلَ مـــَســـيـــحـــيـــُّو الشـــَّرقِ هـــذا الـــدِّينَ الجـــديـــدَ _ الإســـْلامَ _ دُونَ مـــُقـــاومـــةٍ ، بـــلْ و بالتـــِّرحـــابِ فـــي كـــثـــيـــرٍ مـــنَ المـَـناطِقِ ومـــنْ أهـــمِّ العـــوامـــلِ الـــتي ســـاعـــدَتْ علـــى ذلكَ :

**أوَّلاً** : الـــتـــّســـامُحُ الـــذي يـَـتـــمـــيـــَّزُ بـــه الإســـْلامُ ، تجُـــاهَ إقـــامـــةِ الطـــُّقـــُوسِ والـــشـــَّعـــائرِ المـَـســـيـــحـــيـــَّةِ .

**ثـــانـــيـــًا** : حمـــايـــةُ المـــُســـْلـــمـــينَ الفـــاتحـــينَ للســـُّكـــَّانِ المـَـســـيـــحـــيينَ مِنَ الاعـــتـــداءَاتِ _ لا ســـيـــَّمـــا _ مـــنَ الإمـــبـــرَاطـــُوريـــّةِ البـــيـــزنـــطـــيـــَّةِ غـــيـــْرِ المـــتـــســـامحـــةِ.[2]

(*) – صـــلاح الـــدّين الأيـــّوبـــي : ( 532 – 589 هــ / 1137 – 1193 م ) ، قائـــد مـــسلم شهـــيـــرٌ ، وُلـــد بتـــكـــريت بالعـــراق ، عـــُنيَ بدراســـة المـــذهب الســـُّنيّ ، مـــنْ أشهـــر انتـــصـــاراتـــه : مـــعـــركـــة حـــطـــّين بـــفلسطين ( 583 هـــ – 1187 م ) وفتـــحُ بـــَيت المـــقـــدس فـــي نفـــس العام ، ومواجهته للملك ريتشارد الأول (قلب الأسد ) في الحروب الصـــّليبيـــة ، تـــوفي بدمشـــق ودُفـــنَ بهـــا _ رحمه الله _ رحمـــةً واسعـــةً ( ياسين صلواتي ، مرجع سابق ، جـــ 5 ، ص 2279 ) .

1– تومـــاس أرنـــولد ، مـــرجع ســـابق ، ص 128 – 129.

2– ألـــيسكي جـــورافسكي ، الإســـلام والمسيـــحية من التـــّنافس والتـــّصادم إلى الحوار والتـــّفاهم ، ترجمة : خلف محمد الجراد ، ط 3 ، دار الفكر ، دمشق ، 1425 هـــ – 2005 م ، ص 169 – 170.

ومـــنْ خــلالِ هــذهِ الكــلمــَاتِ ، نـَســتطـيعُ القــَوْلَ بــأنَّ الإســْلامَ يحــْتَضِنُ مـُواطـنـيـه علـى اخـتــْلافِ مــَشارِبهــِمْ ، مــادامَ الجــَمـيعُ يلـتزمُ بالقانُونِ الــذي يحـْكُمُ الجــَمـيعَ دُونَ تمــْيـيــزٍ .

**ثــانيــًا :الجــزيــَةُ :**

***المــفــهــُومُ :**

أ _ **لغـــةً** : وهي مــِنَ الجـَزاءِ ، وهــوَ المــُكــَافــَأةُ علــى الشــَّيْءِ .[1]

**بــ _ اصطلاحــًا** : هي ضـَريـبـَةٌ سـَنـَويـَّةٌ ، بمـِقـْدارٍ بـَسـيـطٍ مــِنَ المــَالِ مـَفـْرُوضـَةٌ علـَى المــُقـْتـَدِرينَ مـِنَ الـرِّجـَالِ دُونَ سـِواهُم مـِنْ أهـْلِ الكتابِ الــذينَ دخـَلـُوا بـِلادَ المــُسـْلـمينَ بمـُوجـبِ عـَقـْدِ الـذِّمــَّةِ.[2]

*** الأحكـــَـــامُ** : سـبـَقَ أنْ أشـَرْنـَا إلـَى أنَّ فـرْضَ الجـزيـَةِ على أهـْلِ الذِّمَّةِ لم يـَكـُنْ مـِنْ قـَبـيـلِ العـقـَابِ الـدِّيـني ، بـسـَبـبِ امـتـناعهم عن الدُّخولِ فـي الإسـْلامِ ، وإنَّمـَا كـَانَ بمـَثـَابـَةِ الـتـَّشـْريعِ الذي يخُـوِّلُ لهـُمُ الـتـَّمـَتُّعَ بمـُخـْتـَلفِ الحـُقوقِ المـَدنـيـَّةِ ، كحـمـَايـَةِ الأرواحِ والمـُمـْتلـكاتِ ، وممارسةِ الشـَّعـَائـرِ والطـُّقـُوسِ دُونَ مـُضـَايـَقـَةٍ .

وحــتىّ إذا نـَظـَرْنـا بالمـُقـابـِلِ إلـى التـَّبـِعـَاتِ المـُلـْقـَاةِ علـى المـُسلمِ الــذي يـَعـِيشُ بجـَانبِ هـذا الـذِّمـِّي فـسـَنـَجـِدُهـَا أكـْبَرَ بـكـثـيرٍ ، فمِنْ جـِهـَةِ الالـتـزامـَاتِ المـَالـيـَّةِ ،نجـِدُ أنَّ المـُسْلـمَ مـُطـَالـَبٌ بالـزَّكاةِ ، والتي تـرتـَفـعُ قـيـمـَتـُهـَا كـُلـَّمَا ازدادَ مـقـْدارُ المـَالِ ، ولا يـُعـفَى منهَا المسلمُ بـِسَـبَبِ جـنـسِهِ رجـُلاً كـانَ أو امـرأةً ، ولا سـنـِّهِ صـَغيـرًا أمْ كـبيرًا ، فهيَ واجـبـَةٌ فـي عـَينِ المـَالِ ، بـيـنـَمَا لا تـُفرضُ الجـزيـَةُ إلاّ على القـادِرينَ علىَ القـِتـَالِ ، وهـيَ مـعَ ذلك مـقـْدارٌ ضـَئـِيلٌ ، إذا مـَا قـُورِنـَتْ بمـِقـْدارِ الزّكاةِ الــذي يخـرجـُه المـُسلِمُ .

---

1– ابن منـظور ، مـصدر سـابق ، جــ 8 ، ص 137.

2– أسعـد السـّحمـراني ، مـرجع سـابق ، ص 83.

أضِفْ إلى ذلك أنَّ المُسْلمَ يُلْزَمُ بالجهادِ والدِّفاعِ عَنِ الوطنِ ،ولا يُلزمُ الذِّمِّيُ بذلك ، وإذا أراد التّطوُّعَ بمَحْضِ إرادتهِ للقتالِ ، فإنَّ الشَّريعة تُسقِطُ عنْهُ الجزيةَ في هذه الحالِ.[1]

ولَوْ كانَ فَرْضُ الجزيةِ بسببِ الاختِلافِ في الدِّين ، لمَا كانَ هُناكَ مُبرِّرٌ أنْ تَسْقُطَ عنِ البَعْضِ منهُم ، كما أنَّ منْ أحكامها وُجوبُ حمايةِ الذين يُؤَدُّونَها منْ أيِّ عُدوانٍ داخليٍّ كَان أو خارجيٍّ.[2]

ولذلك فقدْ رَدَّ المُسْلمُونَ الجزيةَ إلى أصْحابِها في بعضِ العهُودِ وذلك عندما عَجزُوا عَنِ الوفَاءِ بحَقِّ الحمَايةِ منَ العُدوانِ الخارجيِّ فقد ثبَتَ تاريخياً أنَّ أبا عُبَيْدَةَ عامرَ بنَ الجرَّاحِ ، أمرَ حَبيبَ بنَ مَسْلَمَة ، أنْ يرُدَّ على أهْلِ حمْصَ ما أخذَ منْهُم منْ مَالِ الجزيةِ لعَدَمِ قُدْرَةِ المُسلمينَ على الدِّفَاعِ عَنْهُم ، فكان موَقفُ أهلِ البلَدِ أنْ قَالُوا :" رَدَّكُمُ اللهُ إلينَا ، ولَعَنَ الذينَ كانُوا يمْلكوننا منَ الرُّومِ ، ولكنْ واللهِ لوْ كانُوا هُمْ ، ما رَدُّوا علَيْنَا بَلْ غَصَبُوا وأخذُوا مع هذَا ما قَدَرُوا عليه منْ أموالِنَا ".[3]

وإذا رأيْنَا في قوانينِ الدُّول الحديثَةِ ، فَسَنَجدُ جزْءا غَيرَ يسيرٍ منَ النّفقَاتِ الاقتصاديّةِ للدَّولَةِ، مَبْنيٌّ على الضَّرائب التي تُفْرَضُ على المُواطنينَ مُقَابلَ الخدماتِ المُخْتَلفةِ.

وإذا ما قارنّا موضُوعَ الجزيةِ بالزَّكاةِ في عَهْدِ عُمرَبن الخطّابِ رضي اللهُ عنهُ مثلاً ، فإنّنا سنَجدُ البوْنَ واسعًا ، حيْثُ أنَّ مقدَارَ الجزيةِ في عَهْدِهِ كانَ : 48 درهم في العامِ ، ونصفَ هذا المقدار علىَ متُوَسّطِ الغنِيَ ، ورُبْعَهُ على الفقيرِ ، وفي حالَةِ

[1] - صابر طعيمة ، مرجع سابق ، ص 403 – 404.
[2] - أسعد السّحمراني ، مرجع سابق ، ص 86 – 87.
[3] - محمّد حميد الله ، مرجع سابق ، ص 470.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عـَجــْزِهِ عـَن أدائِهَا فــإنــّهُ يـُعــْفَى مــنـهــَا وتـَسْقـُط عنـهُ ، كمـا يـُعـْفَى مـنهـَا الصـِّبـْيـَانُ والنـِّسـَاءُ ، والمـرضى بأمـراضٍ مـُزمـِنـَةٍ وكـذا الـرُّهبـانَ فـي صوامـعهم.[1]

وقد ذكر القـُرطبي : أنّ مذهــبَ مالكٍ أنّ الجزيةَ تـُؤخذُ منْ كلِّ عابد وثنٍ أو نارٍ ، إلاّ المرتدَّ وكـُفَّارَ قـُريش الـذين وردَ الأمـْرُ بقتـالهم.[2]

هــذا وقـد اخـتـَلـَف المـُفـَسِّرُونَ فـي مـَعـنَى الصـَّغـَارِ المـَقصـودِ فـِي الآيـَةِ :" حـَتَّ يـُعـْطـُوا الجـزْيـَةَ عـَنْ يـَدٍ وهـُمْ صـَاغـِرُونَ ".[3]

وخـُلاصـَةُ ذلك أنَّ الصـَحـِيحَ مـِنَ الأقـوالِ أنَّ المـَقـْصـُودَ بالصَّغـارِ في الآيةِ : الإذعـَانُ والالـتِزَامُ بأحكـَامِ الـدَّولـَةِ الـتي يـَعـيـشُونَ فـي كـَنـَفـِهَا وعدمُ إثـارَةِ الفـتـَنِ والمـَشـَاكِلِ ، ولم يـَرِدْ نـَصٌّ مـِنَ الشـَّرْعِ ولا تطـبيقٌ من العـُهُودِ الأولى يـَدُلُّ علىَ أنَّ المـُرادَ بالصـَّغـَارِ هـُوَ : الاحـتـِقـَارُ والامـتـِهـَانُ و المـَذَلَّةُ بـَلْ لم يـَقـْبلِ الشـَّرْعُ حـَتَّ تـَكـلـِيفـَهُم بمـا لا يـُطـِيقـُونَ.[4]

**المـبـْحـثُ الثـَّالـِثُ : قـَضـِيـَّةُ الـرِّدَّةِ والمـَوقـِفُ منهـَا** : لـقدْ أثارت هذهِ القـَضـِيـَّةُ بالـذَّاتِ ، الكـثيرَ مـِنَ التـُّهَمِ والشـُّبـُهـَاتِ ، حـوْلَ مـَسألة حـُرِّيَةِ المـُعـْتـَقـَدِ فـي الشـَّريعـَةِ الإسـلامـِيـَّةِ ، وطـُرِحَتِ العـَدِيدُ من التـَّسـَاؤلاتِ حـوْلَ قـَضـِيـَّةِ التـَّشـْدِيـدِ فـي عـُقـُوبـَةِ المـُرْتـَدِّ ، وذلكَ مـا سـَنـُحَاولُ الإجـابـَةَ عنـُه فـي هـذه النـِّقـَاطِ .

---

[1]- إبـراهيم أحمـد الـوقـفي ، السـّماحـة فـي الإسـلام والمسيحية ، د ط ، دار الفـكر العربي ، القـاهرة د س ن ، ص 68.

[2]- أبو عبد الله محمـّد بن أحمد بن أبي بكر القـُرطـُبي ، الجـامـع لأحكـام القـرآن ، تحقيـق : عبـد الله بن عبد المحسـن التـّركي وآخـرون ، د ط ، دار الـرّسـالة ، جـ 10 ، ص 164.

[3]- التـّوبـة : 29.

[4]- إبـراهيم الوقـفي ، مـرجع سـابق ، ص 23 – 24.

* مــَفــْهــُومُ الــرِّدَّةِ :

أ_ لغـَـــةً : ارتـــدَّ وارتـــدَّ عنـــهُ : تحـَــوَّلَ ، والاسمُ : الـــرِّدَّةُ ، ومنـــهُ الـــرِّدَّةُ عنِ الإسلامِ أيْ : الـــرُّجـــُوعُ عنـــهُ.[1]

بـــ _ اصطـــلاحـــاً : بعـــدَ أن ذكـــرَ مجـْمـــُوعـَـةً مـــنْ أقـْـوالِ الفـُـقـَـهـَـاءِ خـَـلُصَ الأســتـــاذُ : جـــبر محـــمود الفـُـضـَـيلات إلـــى أنَّ أدَقَّ تـــعـَـرْيفٍ للـــرِّدَّةِ هـــُوَ : " أنها قـــطـْـعُ الإسـْـلامِ بـــنـِـيـــَّةِ أوْ قـــوْلِ كـــُفـــرٍ أو فعـــلٍ، ســـواءً قـَـالـــهُ اسـْـتـِـهـــْزَاءً أوْ عـِـنـَـادًا أوِ اعـْـتـِـقـــادًا ".[2]

* كـــيـــفَ ظـَـهـَـرَتْ هـــذه القـَضـِـيـــَّةُ ؟ : لقـَـد بـــَدأ ظـُـهـُـورُ هذهِ الإشكالـــيّةِ مـــُنـْـذُ البـــدَايـَـاتِ الأولـــى للـــدَّعـْـوةِ الإســـلامـــيـــَّةِ ، فـَـقـَـدْ حاولَ بعضُ اليهـــُودِ إثـَـارَةَ الشـــُّكـُـوكِ و بـَثـــِّهـَـا بـَـيـْـنَ المـُـسـْـلـمـــينَ ، أوْ فـــي وجـــهِ مـــَنْ يـــُريدُ اتـــّبـَـاعَ الـــدِّيـــنِ الجـَـدِيـــدِ ، وقـــَدْ ســـَجـَّلَ القـــُرآنُ الكـــريمُ مـــُؤامـَـرَاتهـــم هـــذِهِ فـــي قـــولـــِهِ تعـــالى :" وقـَـالـــَتْ طـَـائـِفـَـةٌ مـــِنْ أهـــلِ الكـــتاب آمـــنـــُوا بالـــذي أُنــْزلَ علـــىَ الـــذِيـــنَ آمـــنـــُوا وَجـــْهَ الـــنـــَّهـــارِ واكـْـفـــُرُوا آخـــرَهُ لـعـَـلـــَّهـــُمْ يـــَرْجـِـعـــُونَ ".[3]

وقـــد نـــَزَلـــَتْ هـــذهِ الآيـــَةُ فـــي كـــَعـبِ بنِ الأشـْـرَفِ ومالك بن الصّيف وغـــيرهمـــَا حـَـيـْـثُ قـــالـــُوا لـِقـَـوْمـِـهـِـمْ هـــذا المـَـقـَـالَ .

ومـــعـــْنَى الآيـــَةِ : " أنَّ اليـَـهـُـودَ قـَـالـــُوا لـِبـَـعـْـضـِـهـِم : أظـْـهِرُوا الإيمـــان بمحمَّدٍ فـــي أوَّلِ النـــَّهارِ ثمّ اكـْـفـــُرُوا بـــهِ آخـــرَهُ ، لـِيـَـرْتـَـابَ الـــذينَ اتـــَّبـَـعـــُوهُ ".[4]

---

1– ابن منـــظور ، مـــصدر ســـابق ، جـــ 2 ، ص 568.

2– جبـــر محمـــود الفـــضيلات ، أحكام الـــرّدة والمرتدّين ، د ط ، الدار العربية ، عمان ، 1987 م ، ص 19

3– آل عـــمران : 72.

4– القـــرطبي ، مـــرجع ســـابق ، جـــ 5 ، ص 168 – 169.

*** كـيـْفَ واجـهَ الإسـْلامُ هـذهِ القـضـيـَّةَ ؟** : سـبـَقَ أن رأيـنـا أنَّ الإسلامَ لا يـُكـْرِهُ أحدًا على اعـتـنـاقـهِ ، بـلْ يـتـرُكُ لـهُ مـُطـْلقَ الحـُرِّيـَّةِ فـي أنْ يـبـْقى علـى ديـنـهِ ، أوْ يـعـْتـنـقَ دِيـنَ الإسـْلامِ فـي جـوٍّ مـنَ الحـُرِّيَّةِ والنـّظـرِ دُونَ ضـغـْطٍ أوْ إكـراهٍ ، إلاّ أنـّهُ لا يـسـْمـحُ بالـتـّلاعـُبِ بالـدِّيـنِ بعـدَ ذلكَ ، لأنَّ القـضِـيـّةَ فـي مـثلِ هـذهِ الحـالِ سـتـصـيرُ تهـْديـدًا للأمـنِ الـفـكـريِّ والعـقـديِّ ، وضـرْبـًا لـوحـْدةِ الجـمـاعـةِ المـؤمـنـةِ ، وإثـارةً للفـتـْنـةِ فـي صـفـُوفـهـا ، ممـَّا قـد يـُسـبـِّبُ الانـْشـقاقَ والـتـّشـرْذُمَ ونحـْنُ إذا نـظـرْنـا فـي قـوانـينِ الـدُّولِ الحـديـثـةِ ، سـنـجـدُهـا تُعـاقِبُ كـُلَّ مـنْ يحُـاولُ ضـرْبَ وحـدتهـا وتهـديـدَ هـوِيـّتـهـا ، سـواءً كان عـنْ طـريـقِ الاتجّـاهـاتِ الفـكـْريـّةِ ، أو بإنـْشـاءِ كـيـانـاتٍ تـعـْمـلُ علـى تـصـدُّعِ الأمـنِ الـقـوْمـيِّ ، أوْ تمـسُّ بـثـوابـتِ الوطـنِ ، ولأنـَّهُ لـوْ تـُرِكَ البـابُ مـفـْتـُوحـًا لمـثـْلِ هـذهِ المـُمـارسـاتِ فـسـتـؤولُ الأوضـاعُ إلـى فـوْضى لا يمـْكـنُ التـّحـكـّمُ فـي مـدَى خـطـُورتهـا ، ولـضُرِبـتْ هـيـبـةُ الـدَّولـةِ واسـتـِقـْرارُهـا فـي الصـَّمـيمِ ، فالـقـضـيَّـةُ إذَا نـظـرْنـا إليهـا مـنْ هـذا الجـانب ، قـضـيـّةٌ سـيـاسـيـّةٌ أكـْثـرُ منهـا دِيـنـيَّـةٌ .

وقـد خـصَّـصَ الأسـْتاذُ " تـيـسـير خمـيس العـُمر " لهـذه القـضـيـَّةِ قـدْرًا لابـأسَ بـه مـنْ كـتـابـهِ الـذي يـقـُولُ فيـهِ :" وهـذا الأمـرُ _ معاقبةُ المُرتدِّ _ لا تـنـْكـرُهُ شـرائـعُ الـدُّنيـا ولا قـوانـيـنـُهَا الـوضـْعـيـَّةُ ، فـجـريمـةُ الـرِّدَّةِ تـشـْبـهُ إلـى حـدٍّ بعـيـدٍ مـا يـُسـمـُّونـهُ فـي هـذا العصر :بالخيانةِ العـُظـمَى ، فـلـيـْسَ هـُناكَ دوْلـةٌ تـسـْمـحُ لأحـدٍ ، وإنْ كـانَ من أبنـائـهـا أنْ يخـْرِقَ صـفـّهـا ، ويـهـدِّدَ وجـُودَهـا وكـيـانهـا ".[1]

---

[1]- تـيسـير خمـيس العـمر، حـرّية الاعـتقـاد في ظـلّ الإسلام ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق ، سـورية 1419 هـ - 1998 م ، ص 435.

* **مــَنْ لــَهُ الحــَقُّ فــي تــطــْبــيق حــدِّ الــرِّدَّةِ ؟** : لــقدْ صــان الإســْلامُ حــقُوقَ النــَّاسِ ، وعــمــِلَ على إرْســاءِ قــَواعــدِ المحُــافــَظــَةِ عليهــَا ، وإنَّ مــِنْ أشــَدِّ هذهِ الحــُقــُوق قــيمــَةً : حــَقُّ الحــيــَاةِ والمحُــافــَظــَةِ عــَليهَــا ، وبــَذْلِ كــُلِّ السُّبُلِ للحــُؤولِ دُونَ المــَســَاسِ بهــَا ، وكــكــُلِّ الحــُدُودِ المــَنصــُوصِ عليهــا في الشــَّريعةِ الإســْلامــيــَّةِ ، فــإنَّ إنــْفــَاذَهــا لــَيْسَ أُلــْعــُوبــَةً كمــَا قــد يــتــخــيــَّلــُهُ البعضُ ، أو يحُــبُّ أنْ يــُرَوِّجَ لــَهُ ، فــقــَدْ وَضــَعتِ الشــَّريعــَةُ ضــوابطَ كــثــيرَةً ذكــرهــا الفــُقــَهــاءُ مــِنَ الاســتــتــَابــَةِ ، ودَرْءِ الحــَدِّ بالشــُّبــْهَةِ ، والاستــماعِ للمــُرتــَدِّ وإعــْطــَائــِهِ الفــُرْصــَةَ ، لــيــُعــبِّرَ عــَنْ مــبــَرِّرَاتِ فــعــْلــَتــِهِ ، كمَا فــرَّقــُوا بــَيــْنَ مــَنْ يجُــَاهــِرُ بِردَّتــِهِ ، ويــَدعــُو إليــهــَا وبــَينَ الــذي تــقــْتصرُ رِدَّتــُهُ علــى نــَفــْســهِ ...

وكــُلُّ تلكَ التــَّفــاصِيلِ مــذكــُورَةٌ في مــظــَانهِّــَا ، لمــَنْ أرادَ الرُّجُــوعَ إلــيهــَا و الاطــِّلاعَ الكــَافــيَ عــلــَيهــَا .

كمــا أنــَّهُ لــيــْسَ لأيِّ أحــَدٍ الحــَقُّ فــي تــَطــْبــيقِ الحــَدِّ ، فالحــَاكــِمُ وحدَهُ أوِ الســُّلطــَاتُ المــُخــَوَّلــَةُ قــَانــُونــًا بالمــَفــْهــُومِ الحــديثِ ، هــي وحــدَها التي مــَنــَحــَهــَا الشــَّرْعُ الحــَقَّ فــي إقــامــَةِ مخُــْتــلــَفِ الأحــْكــَامِ والحدود ، وذلكَ بعــدَ تــَوافــرِ كــُلِّ المــُعــْطــَيَاتِ القــضــَائيــَّةِ ، المــَبــْنــيــَّةِ على آراءِ أهلِ العِلمِ المــَوثــُوقــينَ وجمــْعِ كــُلِّ القــَرَائــنِ والأدِلــَّةِ كمــا ســَبَق وأنْ ذكــَرنــَا.[1]

[1]- يــوسف القــرضاوي ، جــريمــة الــرّدّة وعــُقوبــةُ المــُرتــدّ ، ط 3 ، المكــتب الإسلامــي ، بيــروت 1418 هــ - 1998 م ، ص 48 – 51.

# خَـاتِمَـةٌ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## خـــــاتمـــَـــــــــةٌ :

مِـنْ خِـلالِ دِرَاسـتِـنـا لهـذا المـوضـُـوعِ ، يمكن أن نستخلصَ بعـْضَ النـّـتـائـِجِ، نُـوجـزُهـا كـالآتـِـي:

- أنَّ الحـوارَ أسـلُوبٌ للتـَّواصُل الحضاري الـرَّاقي لا يمـْكِنُ الاسـْتِـغـنـاءُ عنـهُ أوِ الـتـَّقـْلـيلُ مِـنْ شـَأنـهِ، فـَمِـنْ خِـلالـهِ يمـكـِنُ تجَـاوُزُ الكـثـيـرِ مِـنَ الإشـْكَـالاتِ المـُعَـاصِـرَةِ.
- أنّ القـُرآنَ الكـريمَ كـتابُ حـوارٍ بامـتـيازٍ، وأنّ الأسـُسَ الـتي وضعـها في ذلكَ كـافـيـَةٌ بـأنْ تـكـُون تـأصـيلاً شـَرْعـيـًّا لهـذهِ المـَسـْألـَةِ.
- لا بـُدَّ أنْ نمُـيـِّزَ بـيـنَ المـُمـَارَسـَاتِ الخـاطـئةِ لـكـثـيرٍ مـِنَ المـُسـْلـمينَ وبـيْـنَ التـَّأصـيـلِ والـتـَّنـظـيرِ الشـّرعي، والـذي يـبقَى دائمـًا هو الفيصلُ .
- أنَّ الـرَّعـيلَ الأوَّلَ ، انطـلاقـًا مِـنْ شـَخـْصِ الـرَّسـُول صلـّى اللهُ عليـهِ وسلّمَ وصـحـابـتـهِ الكـرامِ عـليـهِمُ الـرِّضْـوانُ ، وكـذا مـَنْ جـاء بـعـْدهُم مِـنْ حـُكـَّامِ المـُسلـمـينَ المـُتـشـبـِّعـينَ بـرُوحِ الإسـْلام المـتـسـامحـةِ ،علـى مـرَاحـلَ مخُـتـلـفـةٍ مـِنَ التـَّاريخِ ، قـد أحـسـنـُوا تـطـبـيـقَ مـبـدأ الحـوار، ومـُنطـلـقـاتـهِ مـع الآخـرِ المـُخـتـلـفِ قـلـبـًا وقـالبـًا .
- أنَّ القـُرآنَ الكـريمَ ، يـدعـُو إلـى ضـرُورة التـّواصـُلِ مـَعَ الآخـرِ وفـهـْمـهُ ولايـقـفُ عـائـقـًا بـينَ التـعـايـُشِ الـذي يـكـْفُلُ حـقُوقَ الجـَميـعِ .
- أنـّهُ قـدْ وضـعَ الأسـاسَ المـكـينَ ، لمـا يـُعـرفُ بحُـرِّيـّةِ المـُعـتـقد و الرّأي فـهـُوَ لا يـُريـدُ مـِنَ الإنسـانِ أنْ يـعـيشَ فـي جـوٍّ مِـنَ الفـوضى الفكريةِ ، بلْ لا بـُدَّ مِـنْ إيجـادِ مـُناخٍ فـكـْريٍّ حـُرٍّ ، يـعـرِضُ فيـه كـُلَّ مـا لـديهِ ، فإنْ كانَ حـقـًّا يـَسـنـُدُهُ الـدَّلـيلُ كـانَ مـقـبـُولاً ، وإنْ كـانَ باطـلاً يـعُوزُهُ البرهانُ طـُرِحَ مـرْدُودًا .
- أنَّ النـَّظـْرَةَ القـرآنـيـَّةَ لـبـَني الإنسـانِ ، نـظـْرَةٌ مـُتـكـامـلةٌ تـنـطـلِقُ مِـنْ مـبـدأِ التـّكريمِ الإلهـيِّ ، وتجـعلُ مـعـيارَ التـَّفاضـُلِ هُـوَ إحسـانُ العمـلِ وبـذْلُ النـَّفـعِ للإنـسـانـيـَّةِ قـاطـبـةً .

- كمـا نـَرجـُو مـِنْ خـِلال هـذا العـَمـَلِ المـُتـَواضـِع ، أنْ نـتمـَكـَّنَ مـِنَ الإسـْهـَامِ ـ ولوْ بالقـَلـِيلِ ـ فـي تـَفـْعـِيلِ بعضِ الاقـتراحاتِ و التي نذكر منهَا :
  ـ ضـَرُورَةُ التـَّعامـُلِ مـَعَ القـُرآنِ الكـريمِ انـْطـِلاقـًا مـِنَ الأصـُولِ الثـَّابـِتـَةِ وتـَفـَاعـُلاً مـع الـوَاقعِ المـُعاصرِ ، فـيحـْدُثُ بذلك التـَّناغُمُ بينَ النـَّصِّ والواقـعِ .
- مُحَاوَلـَةُ تجـْديـدِ الخـِطـَابِ الـدِّيـني والأكـاديمـي، لـيـَتـَحـَوَّلَ مِنْ مُجُرَّدِ خـِطـَابٍ وعـْظـِيٍّ، عـَدَائـِيٍّ تـارَةً أوِ انهـزامـِيٍّ طـَوْرًا إلـى خـِطاب إيجَـابِيٍّ أكـثـَرَ واقـِعـِيـَّةً ، حـتىَّ يـَتـَسـَامَى إلـى عـَظـَمـَةِ الإسـْلامِ الخـَالـِدِ .
- عـَدمُ الإسـَاءَةِ إلـى الإسـْلامِ ، مـِنْ خـِلالِ الأفـْهـَامِ القـَاصـِرَةِ والمُمـَارَسَاتِ الخـَاطـِئـَةِ ، والعمـلُ المـُضـَاعـَفُ لـِتـَدَارُكِ النـَّقـَائـِصِ .
- تـَشـْجـِيعُ الأعـْمالِ والبـُحوثِ العـِلميـَّةِ، الـتي تخـْدُمُ مـِثلَ هذهِ القـَضايـَا ومـُكـَافـَأةُ أصـْحاب الأعـْمالِ الجـَادَّةِ مـَادِّيـًّا ومـَعـنـَويـًّا.
- المـُشـَارَكـَةُ فـي مـُؤتمـَرَاتِ الحِوارِ المـُنـْعـَقـِدَةِ بـَيـْنَ الحـينِ والآخـَرِ فـي مُختلـَفِ أقـْطـَارِ العـَالمِ، والعـملُ علـى إبـْداءِ الـوَجـْهِ المـُشـْرِقِ للإسـْلام.
- تـَشـْجـِيعُ ثـَقـَافـَةِ الحـِوارِ ، فهـْمـًا وتـَطـْبـِيقـًا فـي مجُـْتـَمـَعـَاتـنا انـطـلاقـًا مـِنَ المـَراحـلِ التـّعلـيمـيـَّةِ الأولـَى وحـتىَّ داخـلَ الأسـْرَةِ ، حتىّ يـَنـْشـَأَ جـِيلٌ مـُتـَوَازِنٌ فـِكـْرًا ومُمـَارَسـَةً ، يـَعـْتـَزُّ بـِدِينـِهِ ويـَتواصلُ معَ الآخـريـنَ دُونَ تمـَاهٍ أوْذَوَبـَانٍ ، ولا تـَقـَوقـُعٍ علـى الـذَّات وانغلاق على النّفس .

وخـِتـَامـًا نـَقـُولُ : هـذا مـَا اسـْتـَطـَعـْنـَا جمـْعـَهُ فـي هـذه الدِّراسةِ فمـا كـَانَ فيـهـَا مِـنْ صـَوابٍ فـَمـِنَ اللهِ وحـْدَهُ ، ومـا كـَانَ مِـنْ خـَطـَأٍ أوْ نِـسـْيـَانٍ ، فـَمـِنْ أنـْفـُسـِنـَا والشـَّيطـَانِ .

واللهُ المـُوَفـِّقُ والهـَادِي إلـى سـَواءِ السَّـبـِيـلِ.

# المصادر و المراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## قـــــائـِمــَةُ المـَصــَادر والمـَراجــِع :

1. إبــراهيـــم أحمـــد الــوَقــفي ، الســّماحةُ في الإسلامِ والمــسيحية ، د ط ، دار الفكر العــربي ، القـــاهرة ، مصر ، د س ن .
2. أبو عبـــد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر القــُرطُبي ، الجامع لأحكام القُرآن ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التــُّركي وآخرون ، د ط ، دار الرسالة ، د م ن ، د س ن .
3. أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحــُسين التــّيمي الــرّازي ، التــّفسير الكــبير المعروف بمفـــاتيح الغــَيبِ ، ط 1 ، د م ن ، د ب ن ، 1401 هــ - 1981 م .
4. أبو محمــّد عبد الملك بن هشـــام ،سيرة النــّبي صلىّ اللهُ عليه وسلّم ، تحــقيـــق : محمّد محُــي الدّين عبـــد الحميد ، د ط ، دار الفكر ، د ب ن ، 1401 هــ - 1981 م .
5. أحمد بن علي بن حجر العسقـــلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ط 3 ، دار السلام ، الرياض ، دار الفيحاء ، دمشق ، 1421 هــ - 2000 م .
6. أحمـــد ســُوسَة ، مــُفَصَّل العــرب واليهود في التــّاريخ ، ط 5 ، مــنشــُورات وزارة الثــّقافـــة والإعلام ، الجــُمهورية العـــراقية ، 1981 م .
7. أسعـــد الســّحمراني ، الإسلام بين المـــذاهب والأديان ، ط 1 ، دار النــّفائس ، بيروت 1406 هــ - 1986 م .
8. أليسكي جــُورافسكي ، الإسلام والمــسيحية من التــّنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم تــرجمة : خلف محمّد الجــرَّاد ، ط 3 ، دار الفكر ، دمشق ، 1425 هــ - 2005 م .
9. تومـــاس أرنــولد ، الــدّعوة إلى الإسلام ، تــرجمة : حســَن إبراهيم حسَن وآخــرُون ط 3 ، مكــتبة النــّهضة المـِصرية ، القـــاهرة ، 1981 م .
10. تــَيســـِير خمــِيــس العــُمر ، حــُرّيــّة الاعــتــقاد فــي ظــلّ الإســلام ، ط 1 دار الفكر ، دمــشق ، ســورية ، 1419 هــ - 1998 م .
11. جــَبر محــمُود الفــُضيلات ، أحكام الــرّدّة والمــُرتــَدّين ، د ط ، الــدّار العــربية عمـّان ، 1987 م .

12. حسـَـن خالد ، موقــف النـّبيّ صلىّ الله عليه وسلّم من الــدّيانات الثلاث " الوثــنية واليهــُودية والنــّصرانيــة " ، دط ، دار الكتــاب الإسلامي ، د ب ن ، د س ن .
13. خــالد عبــد الــرّحمن العــَكّ ، تــاريخ تــوثيــقِ نــَصِّ القــُرآن الكــريم ، ط 2 دار الفكر ، دمشــق ، ســُوريــة ، 1406 هــ - 1986 م .
14. سيــّد أميــر عليّ ، رُوح الإســلام ، تــعريب : عــُمر الــدّايــْراوي ، ط 1 ، دار العــِلم للمــلايين ، بيــروت ، لبنــان ، 1961 م .
15. سيــّد قــُطب ، فــي ظــِلال القــُرآن ، ط 12 ، دار الشــُّروق ، بيروت ، لبنــان
1986 م – 1406 هــ .
16. شــُكري فيــصل ، المجــتمعاتُ الإســلامية فــي القَــرن الأوّل ، ط 5 ، دار العلــمِ للمــلايــين ، بيــروت ، لبنــان ، 1981 م .
17. شهــاب الــدّين محمــُود بن عبــد الله الحــُســيني الألــُوسي ، رُوحُ المــعاني فــي تفــسير القــُرآن العــَظيم والسـّبع المــثــَاني ، ط 1 ، دار الكــتب العــلميــة ، بيــروت لبنــان ، 1415 هــ - 1994 م .
18. صــابر طــُعــَيمة ، الإسلام والآخر ، ط 1 ، مكــتبــة الــرُّشــد ، الســّعــُودية 1428 هــ - 2007 م .
19. صالح بن عبد الله بن حميد ، أصول الحوار وآدابه فــي الإســلام ، ط 1 ، دار المنــارة جــدّة الســّعوديــة ، 1415 هــ - 1994 م .
20. عــائــشة عبــد الــرّحمن ، القــُرآن وقضــايــا الإنســان ، د ط ، دار المعــارف القــاهــرة ، د س ن .
21. عبــّاس محــمُود العــقــّاد ، الإنســانُ فــي القــُرآنِ الكــريمِ ، د ط ، دار الهــلال مصــر ، د س ن .
22. عبــد الــرّحمــن الــنــّحــْلاوي ، الــتــَّربــيــةُ بالحــوارِ ، ط 1 ، دار الفكــر دمشــق ، 2000 م .



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

23. عبـد الـرّحمن عـزّام ، الـرّسالةُ الخـالـدةُ ، ط 2 ، المجلس الأعلى للشــؤونِ الإســلامـية ، القــاهرة ، 1384 هـ - 1964 م .
24. عبـد العـزيز بن عـثمـان التـّويجـري ، الحـوارُ مـِنْ أجل التـّعايـش ، ط 1 دار الشّـروق ، القــاهرة ، 1419 هـ - 1998 م .
25. عبـد العـظيـم إبراهـيم المـطعني ، مبـادئ التـّعايش السّلمي في الإسلام منهجًا وسـيرةً ، د ط ، دار الفـتح للإعلامِ العـربي ، القــاهرة ، 1417 هـ - 1996 م .
26. عبـد الغـنيّ عبـّود ، المـسيح والمـسيحيـة والإسـلام ، د ط ، د م ن ، القاهرة 1986 م – 1396 هـ .
27. عبـد الكـريم غـلاّب ، صراع المـذهب والعـقيـدةِ فـي القـُرآن ، ط 1 ، دار الكـتاب اللُّـبنـاني ، بيـروت ، لبنـان ، 1973 م .
28. عبـد الله بن حـُسين المـوجان ، الحوارُ فـي الإسلام ، ط 1 ، مـكتبـة الملك فهد الـوطنيـة ، جـدَّة ، السـّعوديـة ، 1427 هـ - 2006 م .
29. عرفـان عبـد الحميـد فتـّاح ، النـّصرانيـة نشأتهـا التـّاريخيـة وأصُول عقائدها ط 1 ، دار عمـّار ، عمـّان ، الأردن ، 1420 هـ - 2000 م .
30. فلهلم رودلـف ، صـلِةُ القـُرآن باليـهودية والمـسيحية ، ترجمة : عصام الدين حفني ناصـف ، ط 1 ، دار الطـّليعة ، بـيروت ، 1974 م .
31. مـارسيل بوازار ، إنسـانية الإسلام ، ترجمـة : عفـيف دمـشـقيـة ، ط 1 ، دار الآداب ، بـيروت ، 1980 م .
32. مـانع بن حمـّاد الجـُهَني ، المـوسوعة المـُيسّرة فـي الأديان والمـذاهب والأحزابِ المـُعاصـرة ، ط 4 ، دار النـّدوة العـالمية ، الرّيـاض ، السـّعوديـة ، 1420 هـ .
33. محمـّد أبـو زهـرة ، المجـتـمع الإنسـاني فـي ظـلّ الإسـلام ، ط 2 ، الـدّار السـّعودية للنـّشر والتـّوزيع ، السـّعوديـة ، 1401 هـ - 1981 م .
34. محمـّد أبـو زهـرة ، الـدّعـوة إلـى الإسـلام ، د ط ، دار الفـكر العــربـي القــاهـرة ، 1992 م .

35. محمــّد أبــو زهــرة، محــاضــرات فــي النــّصرانيــة، تقــديم: عمــّار طــالبي د ط ، دار الشهاب ، الجزائر ، د س ن .

36. محمــّد الطــّاهر بن عــاشور ، أصول النــّظام الاجــتماعي فــي الإســلام ، ط 2 الدّار التــّونسية للنــّشر والتوزيع ، تونس ،المكــتبة الوطنيــة للكتــاب ، الجزائر ، د س ن .

37. محمــّد الطــّاهر بن عــاشور ، التــّحرير والــتــّنوير ، د ط ، المــُؤسّسة الوطنيــة للكتــاب ، الجــزائر ، 1984 م .

38. محمــّد الفــاضل بن عــاشور ، رُوحُ الحضارةِ الإســلامية ، تقديم : عمر عبيد حسنة ط 2 ، المــعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجــينيــا ،الو م إ ، 1413 هــ – 1992 م .

39. محمــّد أحمــد الخــطيب ، مــُقارنــة الأديــان ، ط 1 ، دار المــســيرة ، عمــّان الأردن ، 2008 م – 1428 هــ .

40. محمــّد الطــّالــبي ، عــِيــَالُ اللهِ ، د ط ، دار ســراس للنّشر ، تونس ، 1992 م .

41. محمــّد بن جــرير الطــّبري ، جــامع الــبيان عن تأويــل آي القــُرآن ، د ط ، دار الفكــر ، بــيروت ، لبنــان ، 1405 هــ – 1984 م .

42. محمــّد بن محــمــّد أبو شــُهبــة ، المــدخــل لــِدراسةِ القــُرآن الكــريم ، ط 1 مــكــتبة الســُّنة ، القــاهرة ، 1412 هــ – 1992 م .

43. محمــّد بن مُكرِم بن مــَنظــُور الإفــريقي المــِصــري ، لســان العرب ، ط 1 ، دار الكــُتب العــلمية ، بــيروت ، لبنــان ، 2005 م – 1426 هــ .

44. محمــّد حــُسين فضل الله ، الحــوارُ فــي القــُرآن ، د ط ، دار المــنصوري للنــّشر قــســنطينــة ، الجــزائر ، د س ن .

45. محمــّد حميــد الله ، مجــموعــة الوثــائق الســّياسية للعــهد النــّبوي والخــلافــةِ الــرّاشــدة ، ط 6 ، دار النــّفائــس ، بــيروت ، 1407 هــ – 1987 م .

46. محمـــّد سيـّد طنطــاوي ، أدب الحوار فـــي الإســـلام ، د ط ، دار نهـــضة مـــصر مصـــر ، يـــونيـــو 1997 م .
47. محمـــّد سيـّد طنطــاوي ، التـّفســـيرُ الــوسيــط ، ط 2 ، مـــطبـــعة الســّعادة القـــاهرة ، 1407 هـــ - 1987 م .
48. محمـــّد عبـــد اللطيـــف عبـــد العـــاطي ، مـــنهجـــية الحوار فـــي القـُرآن الكـــريم مجـــلّة الشّريعة والقـــانون ، العـــدد : 35 ، رجب 1429 هـــ - جويلة 2008 م .
49. محـــمـــّد عبـــد الله درّاز ، النـــّبـــأُ العـــظـــيم ، ط 4 ، دار القـــلم ، الكـــويـــت 1397 هـــ - 1977 م .
50. محمـــّد عبـــد الله درّاز ، الـــدّين : بحـُوثٌ ممُـَهـــدّة لدراســـَةِ تـــاريـــخ الأديـــان د ط ،د م ن ، د س ن
51. محمـــّد عبد الله درّاز ، مـَدخل إلـــى القـــُرآنِ الكـــريم ، تـــرجمـــة : محمـــّد عبـــد العـــظـــيم علي ، د ط ، دار القلـــم ، الكـــويت ، 1406 هـــ - 1986 م .
52. محمـــّد عُـــمارة ، هـــذا هـــُو الإسلام ( المـــوقفُ منَ الدِّيانـــاتِ الأخـــرَى ) ، ط 1 مـــكـــتبة الشـــُّروق الـــدّوليـــة ، 1426 هـــ - 2005 م .
53. محمـــّد فـــريد وُجـــدي ، دائـــرة مـــَعارف القـــرن العـــشرين ، د ط ، دار الفـــكر بـــيروت ، لبنـــان ، د س ن .
54. محمـــّد نـــفيســـة ، الحـــوارُ ســـَبيـــلُ التـّعـــايـُش مـــع التـّعـــَدُّد والاخـــتـــلاف ط 1 ، دار الفكـــر المـــُعاصر بـــيروت ، لبنـــان ، 1415 هـــ - 1995 م .
55. محمـــود بن الشـــّريف ، الأديـــانُ فـــي القـــُرآن ، ط 5 ، شـــركة مكـــتبات عُكاظ للنـــّشر والتـــّوزيع الســـّعوديـــة ، 1404 هـــ - 1984 م .
56. محمـــود حمـــدي زقـــزُوق ، الإســـلام وقضـــايـــا الحـــوار ، ترجمة : مـــُصطفى ماهر د ط ، القـــاهرة ، 1423 هـــ - 2002 م .

57. مختـــار فوزي النـــّعّال ، موسوعة الألفاظ القرآنية ، ط 1 ، مكتبة دار التراث ، دمشق 1423 هــ - 2003 م .
58. وِلْ وايـــريل ديـــُورَانـــتْ ، قـــِصَّـــةُ الحضـــارةِ ، تـــرجمـــة : مُحَمـــّد بـــَدران ، دار الجيـــل ، بـــيروت ، لبنـــان د ط ، د س ن .
59. ياســـين صـــَلواتي ، المـــَوسُـــوعة العـــربية المـــُيسّرة والمـــُوَســـّعة ، ط 1 ، مُؤسّسة التـــّاريخ العـــربي ، بـــيروت ، لبنـــان ، 1422 هــ - 2001 م .
60. يـــوسُف القـــَرضاوي ، جـــريمـــَةُ الـــرِّدّة وعـــُقـــُوبة المـــُرتـــَدّ ، ط 3 ، المكـــتب الإسلامـــي ، بيروت ، 1418 هــ - 1998 م .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# فهرس الآيات القرآنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## فهـــــرسُ الآيـــاتِ القـُـرآنيـــة :

| السورة | الآيــــــــةُ | الصفحة |
|---|---|---|
| **سـُـورَةُ البقــــرَةِ:** | | |
| وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ | 111 | |
| لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ... | 255 | |
| قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا... | 136 – 135 | |
| لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ... | 256 | |
| وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ | 111 | |
| أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ | 258 | |
| وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ | 96 | |
| فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ | 24 | |
| **سـُـورَة آل عمــــران:** | | |
| ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ... | 03 | |
| إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا ... | 33 | |
| وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ .. | 199 | |
| قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ ... | 64 | |
| هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ | 66 | |
| إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ | 60 | |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | |
|---|---|---|
| وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ | 72 | |
| سـُــــورةُ النـــِّســـاَءِ: | | |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ | 01 | |
| وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ | 125 | |
| وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ | 157 | |
| سـُــورة المـــَـائـــدَةِ: | | |
| وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ | 72 | |
| لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا | 48 | |
| وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ | 64 | |
| لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ | 73 | |
| وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ | 18 | |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ | 8 | |
| وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ | 5 | |
| لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ | 82 | |
| سـُـورةُ الأنعـَـام | | |
| وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ | 100 | |
| تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا | 91 | |
| وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ | 35 | |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | |
|---|---|---|
| قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ | 149 | |
| وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ | 108 | |
| فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ | 78 | |
| **سورة الأعراف** | | |
| قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ | 158 | |
| إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ | 194 | |
| وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ | 28 | |
| إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ | 156 | |
| قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ | 12-11 | |
| **سورة التوبة** | | |
| قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ | 29 | |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | |
|---|---|---|
| **سورة يونس** | | |
| وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ | 18 | |
| وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ | 99 | |
| **سورة هود** | | |
| وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ | 118 | |
| **سورة يوسف** | | |
| قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ | 108 | |
| **سورة النحل** | | |
| وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ | 93 | |
| ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ | 125 | |
| **سورة الإسراء** | | |
| وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا | 46 | |

| | | |
|---|---|---|
| وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا | 70 | |
| **سورة الكهف** | | |
| فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا | 6 | |
| قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا | 37 | |
| **سورة مريم** | | |
| قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا | 47-46 | |
| **سورة طه** | | |
| قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى | 60 | |
| ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ | 44-43 | |
| **سورة الأنبياء** | | |
| وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ | 107 | |
| وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ | 105 | |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | |
|---|---|---|
| أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ | 24 | |
| قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ | 63 | |
| سورة الحج | | |
| إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ | 17 | |
| وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ | 8 | |
| أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ | 40-39 | |
| سورة المؤمنون | | |
| وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ | 117 | |
| سورة الشعراء | | |
| وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ | 196 | |
| سورة النمل | | |
| أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ | 64 | |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| الآية | رقمها | |
|---|---|---|
| **سورة العنكبوت** | | |
| وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ | 46 | |
| **سورة سبأ** | | |
| قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ | 25-24 | |
| وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ | 40 | |
| قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ | 46 | |
| **سورة فاطر** | | |
| وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا | 45 | |

| | | |
|---|---|---|
| **سورة الصافات** | | |
| مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ | 157-154 | |
| **سورة غافر** | | |
| ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ | 35 | |
| إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ | 56 | |
| وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ | 42-41 | |
| **سورة الشورى** | | |
| شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ | 13 | |
| وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ | 8 | |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | |
|---|---|---|
| **سورة الزخرف** | | |
| وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ | 89-88 | |
| **سورة الجاثية** | | |
| وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ | 24 | |
| **سورة الأحقاف** | | |
| قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ | 4 | |
| **سورة الحجرات** | | |
| يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ | 13 | |
| **سورة الطور** | | |
| أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ | 35 | |
| **سورة النجم** | | |
| إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ | 23 | |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | | |
|---|---|---|
| **سورة الممتحنة** | | |
| لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ | 9-8 | |
| **سورة الصف** | | |
| يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ | 14 | |
| وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ | 6 | |
| **سورة الأعلى** | | |
| إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ | 19-18 | |
| **سورة الغاشية** | | |
| فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ | 21 | |
| **سورة العلق** | | |
| ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ | 3-1 | |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| سورة القدر | | |
|---|---|---|
| لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ | 3 | |
| **سورة الكافرون** | | |
| قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ | 6-1 | |

**فهرس فقــــرات الكــتاب المــُقــدّس:**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**فهرس الموضوعات**


المـــقدّمـــة.................................... أ-د

**الفصـــل التـــمهـــيـــدي**

المبحث الأول: تحليـــل العنـــاصر الواردة فـــي العـــنوان.................. 1

المبـــحث الثـّـاني : عالميـــةُ الإســـلام.................... 4

المبـــحث الثــّـالث : الأديـــانُ المذكورة في القرآن................ 6

أوَّلاً : الوثـــنيـــة.................................. 6

ثانـــيـــًا : الحـــنـــيفيـــة.................................. 8

ثالثـــــًا : المجـــوسيـــة.................................. 8

رابعـــًا : الصـــّابئـــة.................................. 9

خامســـًا : اليهـــُوديـــة.................................. 9

سادســـًا : النـــّصرانيـــة.................................. 11

**الفصـــل الأوّل : الأســـُس القـــُرآنيـــة لمـــَا قبـــل الحـــوار**

المبحث الأول : وحدة المصدر.................................. 14

المبحث الثـّـاني : الاختـــلافُ ســـُنـــّةٌ كـــونيـــةٌ.................... 26

المبحـــثُ الثـــّالث : لكُلِّ طرفٍ الحرّيـــَّةُ فيمـــا يعتنـــقُ من دينٍ.................... 29

المبحـــث الـــرّابع : تهـــيئـــة الظـــُّروف المـــناسبة للحوار.................... 35

المبحـــث الخامـــس : عدم التعصُّب لفكرة مسبقة والتسليم بالحقّ أينما ظهر.................... 38

المبحـــث السادس : مبـــدأ التـــّكريم الإلهـــي للإنســـان.................... 40

**الفصـــل الثـــّاني : الأســـُسُ القـــُرآنيـــة أثنـــاء الحـــوار**

المبحـــث الأوّل : الانطـــلاق مـــِنَ المـــُشتـــرك.................... 43

المبحـــث الثـّـاني : الموضوعيـــة والتـــّخلص من الأفكار المسبقة عن الآخر.................... 47

المبحـــث الثـــّالث : عرض أقـــوال الآخـــر من مصـــادره.................... 49

المبحـــث الـــرّابع : التـــزام الحجـــّة والبرهـــان.................... 51

المبحـــث الخامـــس : التـــزام الأدب وحسن إدارة الحـــوار.................... 57

المبحـــث الســـّادس : خطـــاب العقـــل والفطـــرة.................... 60


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السّابع : اللّين وخفض الجناح........................ 63
المبحث الثّامن : المعرفة لموضوع الحوار........................ 64
المبحث التّاسع : الحوار مع أيّ طرفٍ كان........................ 65


**الفصل الثّالث : الأسُسُ القُرآنية لِمَا بعد الحوار**


المبحث الأوّل : التّسليم بنتائج الحوار........................ 67
المبحث الثّاني : العمل على خدمة القضايا المشتركة........................ 68
المبحث الثّالث : التّعايُشُ........................ 69
- التّعايش على الصّعيد الاجتماعي........................ 74


**الفصل الرّابع : قضايا مُثارة حول الموقف القُرآني من الآخر**


المبحث الأوّل : القتال أو الحرب في نظر الإسلام........................ 81
المبحث الثّاني : الجزية وأهل الذّمّة........................ 84
أوّلاً : أهل الذّمّة / المفهُوم والأحكامُ........................ 85
ثانياً : الجزية / المفهوم والأحكام........................ 89
المبحث الثّالث : قضيّة الرِّدَّة والموقف منها........................ 91
- مفهُوم الرِّدَّة........................ 92
- كيف ظهرت هذه القضيّة ؟........................ 92
- مَنْ لهُ الحقُّ في تطبيق حدِّ الرِّدَّة ؟........................ 94
خاتمة........................ 95
قائمة المصادر والمراجع........................ 97
فهرس الآيات القُرآنية........................ 103
فهرس الموضوعات........................ 114


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## مُلَخَّص البَحث :

يَهدِفُ هذا البحثُ إلى بيان رأي القُرآن الكريم في قضيّةٍ من أكثر القضايا حساسيّةً وإثارةً للتّساؤلاتِ، ألا وهيَ قضيّةُ العلاقة مع الآخر المُختلف ديناً وعقيدةً، و هل هي علاقةُ شِقاقٍ أم وفَاقٍ ؟ وما هي الآلياتُ والسُّبل لبناءِ علاقَة حوارٍ جادٍّ وعمليٍّ ؟

ولأنَّ الوصُول إلى هذا الآخر، لا يكُونُ مُجديًا وإيجابيًا إلاَّ بالحوار الرّاقي، الذي يُراعي مبادئ الشّرع ، و يُثَمِّنُ القيَمَ الإنسانيةَ المُشتركة ، بعيدا عن التعقيدِ والتّهويل ، أو التّسيُّب والتّهوينِ .

وقد كان القُرآنُ الكريمُ، كفيلاً بوضْعِ اللّبناتِ والأسُسِ الرَّكينة في هذا البناء الشّامخ، لأنَّ الذي قَال بهِ ليس بشرًا، تعتريه الأهواءُ والنّقائص وإنّما هو الخالق العادل بين كُلِّ الخلائق، فالكُلُّ عبيدُهُ.

وهذا البحثُ دعوةٌ إلى الرُّجوع إلى القُرآن الكريم، لِنَستَقي منهُ الأصُولَ الرَّاسخةَ، ثمَّ نَصِفَ مِنْ خلالها الحلُولَ النَّاجعةَ للإشكالاتِ المُعاصرةِ، فنَربطَ النّصَّ بالواقع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**Résumé de la recherche** :

Cette recherche vise à déclaration Coran opinion dans le cas des questions les plus sensibles et soulever des questions d', à savoir la question de la relation avec l'autre différent de notre doctrine, et s'il s'agit d'une relation discorde ou à l'harmonie? Quels sont les mécanismes et les moyens de construire un dialogue relation sérieuse et pratique?

Parce que l'accès à celui-ci, de ne pas avoir un dialogue réaliste et positive seulement haut de gamme, qui prend en compte les principes de l'Islam, et apprécie les valeurs humaines communes, loin de la complexité et de l'intimidation, ou l'oisiveté et sous-estimé.

Il était le Coran, un garant de mettre les blocs de construction et Alrkina fondations dans ce grand bâtiment, car qui dit qu'il n'est pas un homme, les passions des défauts et des imperfections, mais juste est le créateur de toutes les créatures, les fonctionnaires tout le monde.

Cette invitation recherche de se référer au Coran, à apprendre de l'actif établie, puis la moitié des solutions efficaces aux problématiques contemporaines, la réalité du texte Fenrbt.:

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية